المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
الدراسات العليا
كلية الدعوة والاعلام
قسم الدعوة والاحتساب

الشيخ محمد رشيد رضا
في كتابه الوحي المحمدي

بحث متمم لنيل درجة الماجستير

إعداد

عبيد الله بن رجاء العصيمي

إشراف

الدكتور / محمد زين الهادي
الأستاذ المساعد بكلية الدعوة والاعلام

١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

قال الله تعالى :

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً)[1]

---

(١) سورة الأحزاب آية ٧٠ .

المُقَدِّمَة

مقدمة البحث

إنّ الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا اله الاّ الله وحده لاشريك له القائل في كتابه العزيز " وقل اعلموا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون "(١)، والقائل " واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى "(٢)، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله القائل : " من سلك طريقا يطلب به علما ، سلك الله به طريقا الى الجنّة "(٣) صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه الى يوم الدين وسلم .

فإن العقيدة التى يدين بها أى شعب أو أمه هى التى ترسم وتحدد معالم سير ومنهج ذلك الشعب أو الأمة في الحياة بصرف النظر عن صحة تلك العقيدة أو خطئها ، وأن دين الاسلام الذى أشرقت الأرض بنور رسالته وهدى نبيّه ، عندما ظهر في الأفق فجره ، منذ بعث محمد صلى الله عليه وسلم الذى أبان طريق الخير والسعادة والفلاح للإنسانية جميعا ، ولكن هذا الدين وما يحمله من صلاح للإنسان في دنياه وآخرته لم يمنع غطرسة الإنسان وظلمه واعتدائه ، على نبيّ الله ودينه ، فمازال هذا النور المشرق يلقى المحاولة من أعداء الرسالات في كل حقبة من الزمن بوضع العراقيل في طريق انتشاره باطفاء نوره ، وصد الناس عن هدايته ، ولكن الله سبحانه وتعالى يهيّء في كل فترة من الزمن رجالا يزودون عن دينه بالسيف والقلم ويزيلون الأشواك والموانع من طريقه ، وكان ومن هؤلاء الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله ، الذى وقف نفسه ،واستل قلمه للدفاع عن النبى صلى الله عليه وسلم ورسالته فصار قلمه حساما يلجم به كل ناعق ومعتوه ومحزق يرمى الرسول صلى الله عليه وسلم بالتهم أو يلصق الشبهه بالوحى الالهى. ولعل خير شاهد على مانقوله ، كتبه

---

(١) سورة التوبة آية ١٠٥.

(٢) سورة الأنعام آية ١٥٢.

(٣) مسند الامام أحمد- ج٤ ص ٣١ ،ط ٢ (١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م) دار الفكر - المكتب الاسلامى .

العديدة،وخاصة مجلة المنار وتفسير المنار ، وكتاب الوحى المحمدى الذي تضمنت فصوله الدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم والرسالة واثبات الوحى، والرد على المنكرين للوحى ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم، فخص الكتاب لذلك فصار الكتاب مشتملا على محاسن الاسلام والدعوة اليه والدفاع عنه .

وهذه الأمور من الدوافع التى جعلتنى أختار الكتاب موضوعا للبحث ، وأما السبب والدوافع وراء اختيارى للبحث وكذلك منهجي والصعوبات التى واجهتنى وأهم المصادر التى اعتمدت عليها في اعداده ،والمصطلحات التى استخدمتها فهى تتلخص في الآتى :-

أولا : الأسباب والدوافع وراء اختيارى للبحث :

نقول إنه ينبغي لكل طالب علم وخاصة طلاب كلية الدعوة والاعلام أن يعرفوا عن رجال الدعوة الى الله ورجال الاصلاح في العالم الاسلامى خاصة ، ومن هذا المنطلق ، فإن الكلية لم تغفل هذا الجانب ، بل قررت بعض الشخصيات من الدعاة الى الله على طلابها ومن ضمن هذه الشخصيات الاصلاحية الشيخ محمد رشيد رضا ، وكنت لا أعرف عن هذا الداعية الا الشيء القليل ، ولكنني عندما اطلعت على بعض المصادر والمراجع التى تحدثت عن شخصيته ، وجدت أن الشيخ محمد رشيد رضا من دعاة الاسلام الافذاذ الذين أسهموا في اليقظة الاسلامية ، ويجب على طلاب العلم الشرعى خاصة أن يعرفوا عن حياتهم وسيرهم في دعوتهم ومنهجهم الاصطلاحى في المجتمع الاسلامى الكبير،وما قاموا به من جهود في سبيل تبليغ الدعوة من خلال كتاباتهم ومؤلفاتهم ، وما كتبه العلماء الموثوق بعلمهم ونزاهتهم العلمية ، فلما اطلعت على كتاب الوحى أعجبت بمواضيعه ، وكانت الفرصة مواتية على أن أتقدم به الى الكلية كبحث متمم لرسالة الماجستير، لأتعرف وأطلع من خلاله على حياة الشيخ وآثاره العلمية وجهوده الاصطلاحية في مجال الدعوة ، وكان كتابه الوحى المحمدى يحوى جلّ أفكاره في هذا المجال .

ثانيا : الصعوبات التى واجهتنى أثناء اعدادى البحث : من المعلوم أن أى مجهود انسانى لابد وأن يكتنفه بعض الصعوبات ، ويحتاج الى مزيد

من الجهد والعمل. ولذلك فإنني عندما تناولت وبدأت أقرأ وأتصفح موضوعات الكتاب قابلتني مشكلتان منها :-

أ- الأولى عندما أردت وضع الخطة للبحث ، وجدت أن المؤلف قد تناول في كتابه الإسلام بشموله في العقيدة والشريعة والمعاملات والسياسة والاقتصاد وغيرها ، وهذا أمر في غاية الصعوبة أن يشتمل عليه بحث كهذا البحث المبسط الذى سوف أتحدث فيه عن هذه المواضيع الكثيرة والمتشعبة والمسائل المتعددة والقضايا المتنوعة ولذلك اجتزينا من الخضم الكثير بعض المواضيع التى تعرض لها المؤلف ، وتحدثت عنها بمزيد من التفصيل والشرح والايضاح ، وأحيانا التعليق الموجز حسب أهمية الموضوع .

ب - المشكلة الثانية : إننى عندما - أريد أن أحدد مسألة أو قضية تطرق إليها المؤلف في كتابه أجد أن هذا الموضوع أو هذه القضية متعددة الجوانب ومتفرعة الجزئيات ، وتحتاج هذه الجزئيات الى مزيد من الشرح والتعليق والايضاح ، مما يترتب عليه مصادر ومراجع جديدة ، بل بعض الجزئيات من المسائل داخل المواضيع تحتاج الى بحث مستقل ، فيتطلب الأمر منى مزيدا من الجهد ومزيدا من البحث عن المصادر والمراجع التى تتحدث عن هذه الجزئيات أو الجزئية كما تستغرق وتستنفد بعض الوقت الذى هو بالفعل غير كاف لبحث مثل هذا ، ثم عرض ومناقشة هذه المسائل بدون اسهاب ممل ولا إيجاز وإختصار مخل ، وهذه المسألة من أصعب مستلزمات البحث كما هو معلوم لدى طلاب العلم ، وهذا مابذلت فيه وسعي وطاقتى واستنفد الوقت المحدد للبحث بسرعة ، مما سبب لى بعض الارباك في اعداد بعض مواضيع البحث واخراجه أفضل من صيغته وحالته الراهنة .

ثالثا : أهم المصادر والمراجع التى اعتمدت عليها في اعداد البحث وكذلك المصطلحات المستخدمة في البحث :

أ- ١- القرآن الكريم وكتب التفاسير منها تفسير المنار ، وتفسير

سيد قطب في ظلال القرآن وكذلك الكتب التى ألفت في علوم القرآن منها مناهل العرفان للزرقانى ، وبماحث في علوم القرآن للشيخ مناع القطان وغيرهما .

٢- كتب الحديث منها الصحيحان - صحيح البخارى ومسلم وغيرهما من كتب الحديث ، مثل مسند الامام أحمد وكتب السنن الأربعة .

٣- كتب المعاجم - مثل المعجم المفهرس لألفاظ القرآن وكذلك المعجم المفهرس لألفاظ الحديث ، والمعاجم الخاصة باللغة العربية مثل لسان العرب والمعجم الوسيط .

كتب التراجم الخاصة بالرجال مثل الاعلام للزركلى ، ومعجم المؤلفين عمر كحالة ، والمستشرقون لنجيب العقيقى .

٤- كما استخدمنا في البحث كثيرا من الكتب العامة ، والخاصة التى تتحدث عن المستشرقين والمنصرين وغيرها مما له علاقة بمواضيع البحث كما يتضح من قائمة المراجع الملحقة بالبحث .

ويأتى في مقدمة هذه المصادر والمراجع تفسير المنار ، ومجلة المنار وكتاب الوحى المحمدى .

ب - المصطلحات المستخدمة في البحث كالآتى :

- حرف الميم (م) يرمز الى أى مجلد من مجلدات مجلة المنار فقط .
- حرف الجيم (ج) يرمز الى أى جزء أو أى مجلد من مجلدات الكتب التى استخدمت في البحث .
- حرف الطاء (ط) يرمز الى الطبعة .
- حرف الصاد (ص) يرمز الى الصفحة .

رابعا : منهجى في اعداد البحث :

من خلال اطلاعى على الكتاب ومايتضمنه من الموضوعات والمسائل الكثيرة الشاملة لكليات الدين وجزئياته كما سبقت الاشارة إليه ، اخترت بعض الموضوعات وحددتها موضوعا للبحث ، ووضعت خطة للبحث على أساس ذلك ،

وشرعت أكتب وأبحث في المواضيع والمسائل وأجمع مادة البحث مستخدما في ذلك المنهج التحليلي في مناقشاتي للقضايا والمسائل التي تطرقت لها بالتحليل لبعض الألفاظ والمصطلحات بالاضافة الى عدة مناهج وخاصة المقارن عندما يكون هناك ردوداً ومقارنة بين الأقوال وايراد بعض الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال العلماء مع الاشارة الى رأي المؤلف في بعض المسائل وردوده .

خامسا : الملاحظات التي توصلت اليها أو وجدتها ، فقد أفردتها بالفصل الرابع وقسمتها الى ايجابيات وسلبيات ، وكل واحدة من الايجابيات والسلبيات خصصتها في مبحث مستقل ، فمثلا السلبيات الموضوعية قد حددتها في سبع نقاط منها التكرار والتداخل الحاصل في بعض مواضيع الكتاب .

سادسا : سيرى في اعداد البحث من خلال خطة البحث ومدى التزامي بالخطة . تتكون خطة البحث من مقدمة للبحث وأربعة فصول كالتالي :-

الفصل الأول : التعريف بالمؤلف وقد قسمته الى ثلاثة مباحث على النحو التالي :-

المبحث الأول : بعض المعلومات عن المؤلف ويتضمن أربعة مطالب :

أ- المطلب الأول : تحدثت فيه عن عصر المؤلف والأوضاع السائدة في العالم، وخاصة العالم الاسلامي في تلك الفترة .

ب- والمطلب الثاني : خصصته لترجمة موجزة عن حياته ونشأته ، أي المرحلة المبكرة من حياته وطفولته .

ج- أما المطلب الثالث فتحدثت فيه عن مراحل دراسته من الابتدائي وحتى حصل على الإيجازة بالتدريس وحصول تكوينه العلمي .

د- المطلب الرابع ذكرت فيه رحلاته العلمية ، وآثاره العلمية ، منها تأسيسه مجلة المنار، واصدارها كما أوردت قائمة بمؤلفاته .

المبحث الثاني : معلومات عن الكتاب ويشتمل على ثلاثة مطالب :-

أ- المطلب الأول : بينت فيه الهدف من تأليف الشيخ لكتابه (الوحى المحمدى) وأوردت بعضا من كلام الشيخ للاستشهاد به على ذلك .

ب - أما المطلب الثانى : فقد خصصته لقيمة الكتاب العلمية وذكرت بعض كلام العلماء الذين قرظوا الكتاب حين صدور الطبعة الأولى والثانية .

ج - والمطلب الثالث تحدثت فيه عن بعض المصادر والمراجع التى اعتمد عليها المؤلف في تأليفه لكتابه .

المبحث الثالث : مكانة الكتاب في الأوساط العلمية ويتضمن ثلاثة مطالب :

أ- المطلب الأول : أوردت بعض تقاريظ العلماء للكتاب مع ترجمة لهؤلاء العلماء وأشرت الى مجمل التقاريظ بالنسبة لكتاب الوحى .

ب - أما المطلب الثاني : تناولت فيه احصاء لطبعات الكتاب والزيادات والتعديلات التى أدخلها المؤلف في الطبعة الثانية والثالثة .

ج - المطلب الثالث ، خصصته لترجمة الكتاب إلى اللغات غير العربية ورواجه ، وذكرت الذين قاموا بترجمته ، وكذلك اللغات التى ترجم اليها .

الفصل الثانى :إثبات النبوة بشواهد القرآن والرد على منكريها ، وهذا الفصل قسَّمته الى ثلاثة مباحث أيضا :-

المبحث الأول : الوحى وأنواهه ويشتمل على ثلاثة مطالب :-

أ- المطلب الأول : تحدثت فيه عن تعريف الوحى في اللغة والشرع وذكرت تعريف المؤلف كذلك واستشهدت بأقوال العلماء على التعريف الذى رجحته ثم ذكرت الفرق بين معنى الوحى عند المسلمين وعند أهل الكتاب،خاصة النصارى .

ب - المطلب الثانى : تحدثت فيه عن الاتفاق بين القرآن والتوراة والانجيل في الأصول الثلاثة التى ذكرتها وهى :-
الإيمان بالله ، والإيمان باليوم الآخر ، وإثبات النبوات .

ج - المطلب الثالث : تحدثت فيه عن إتفاق الشرائع على النبوات وإثباتها.

المبحث الثانى : إعجاز القرآن ويشتمل على ثلاثة مطالب :

أ- المطلب الأول : تحدثت عن إعجاز القرآن في الأسلوب والبلاغة واستشهدت بالآيات وأقوال العلماء .

ب - المطلب الثانى : ذكرت فيه الإعجاز العلمى وبعض الحقائق التى سبق اليها القرآن العلم في هذا الزمن .

ج - أما المطلب الثالث : فقد خصصته للإعجاز الكونى وبينت إعجاز القرآن الكونى بالنسبة للسماء وكذلك الأرض وأوردت الشواهد على ذلك.

المبحث الثالث : شبهات المنكرين لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ومزاعمهم والرد عليها ويشتمل على ثلاثة مطالب :-

أ- المطلب الأول : تحدثت فيه عن شبهة منكرى الاخبار بالغيب وأوردت طائفة من تلك الشبهة ثم عقبت بالرد عليها وذكرت رأى المؤلف وردوده على ذلك .

ب - المطلب الثانى : فقد ذكرت فيه تصورهم لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم كما بينت موقف المؤلف ازاء تلك الشبهة .

ج - المطلب الثالث : خصصته لمزاعم المستشرق الفرنسى درمنغام التى ذكرها الشيخ في كتابه والتى وجدتها في كتابه (حياة محمد) .

الفصل الثالث : الدعوة في الكتاب ورأى المؤلف في بعض المسائل ويتضمن ثلاثة مباحث :-

المبحث الأول : محاسن الاسلام ومزاعم المستشرقين والمنصرين ويتضمن مطلبين فقط :-

أ- المطلب الأول : تحدثت فيه عن الدعوة الى الاسلام وتبيين محاسنه وأوردت مزاياه التى ذكرها المؤلف وأضفت اليها بعض المزايا والمحاسن .

ب - المطلب الثانى : ذكرت فيه الرد على مزاعم المستشرقين والمنصرين بعد أن أوردت طائفة من تلك المزاعم .

المبحث الثانى : حرية الفكر ومحاربة الجمود الفكرى ويشتمل على مطلبين :-

أ- المطلب الأول : ناقشت فيه الدعوة الى حرية الفكر في إطار النص الشرعى الذى جاء به الاسلام وذكرت الأدلة من القرآن والسنة وأقوال العلماء .

ب - المطلب الثانى : بينت أن الاسلام ذم التقليد والجمود الفكرى وحث على استخدام العقل والفكر والنظر .

المبحث الثالث : عنوانه الولاية والكرامات ويشتمل على مطلبين:-

أ- المطلب الأول : تحدثت فيه عن تعريف الولاية والكرامة في اللغة والشرع وبينت تعريف المؤلف وأنواع الولاية كما ذكرت مذاهب الناس في ذلك .

ب - المطلب الثانى : أوردت مجمل رأى المؤلف في الولاية والكرامة بشكل عام ، ثم بينت رأيي في ذلك مؤيدا بالأدلة الشرعية وأقوال العلماء .

أما الفصل الرابع : الإيجابيات والسلبيات لكتاب الوحى المحمدى ويتضمن مبحثين فقط :-

المبحث الأول : الايجابيات قسمته الى مطلبين :-

أ- المطلب الأول : تحدثت فيه عن الإيجابيات المنهجية التي انتهجها الشيخ في اعداد مواضيع الكتاب وكيفية ترتيبها. وتسلسل تلك المواضيع منطقيا.

ب - المطلب الثاني : خصصته للإيجابيات الموضوعية وبينت فيه كيفية اختيار الشيخ لموضوعات الكتاب وكيف تحليل ومناقشة المؤلف لتلك الموضوعات واستدلاله وردوده على الخصوم .

المبحث الثاني : سلبيات كتاب الوحي المحمدي ، وقسمته الى مطلبين أيضا :

أ- المطلب الأول : بينت وجهة نظري من ناحية ترتيب فصول الكتاب منهجيا وقد لاحظت تفاوت حجم الفصول حيث الفصل الخامس شغل أكثر من نصف الكتاب . وعدم تناسب تلك الفصول في الحجم حيث اسهب في بعضها واختصر في البعض الآخر.

ب - المطلب الثاني : وقد خصصته للسلبيات الموضوعية ، وقد حددت بعضها في نقاط مثل مخالفة الشيخ لرأيه في الولاية والكرامات وقوله في ذكر المولد النبوي ، والجن بأنهم ميكروبات، والتكرار والتداخل بين موضوعات بعض الفصول .

والله أسأل عونه وتوفيقه والسداد في القول والعمل والحمد لله رب العالمين وسلام على المرسلين وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجه ودعا بدعوته الى يوم الدين .

الفصل الأول

التعريـــف بالمؤلـــف

ويشتمل على ثلاثـــة مباحث :-

١- المبحث الأول : وفيه بعض المعلومات العامة عن المؤلف ويشتمـــل على أربعة مطالب :-

أ- المطلب الأول : عصر المؤلف .

ب - المطلب الثانى: ترجمة عن حياته ونشأته .

جـ - المطلب الثالث: تكوينه العلمى .

د - المطلب الرابع : آثاره العلمية .

٢- المبحث الثانى : معلومات عن الكتاب وتشتمل على ثلاثة مطالب :-

أ- المطلب الأول : الهدف من تأليف الكتاب .

ب - المطلب الثانى : قيمة الكتاب العلمية .

جـ - المطلب الثالث : ذكر بعض المصادر والمراجع التى اعتمد عليها المؤلف .

٣- المبحث الثالث : يتضمن ثلاثة مطالب :-

أ- المطلب الأول : تقاريظ الكتاب .

ب - المطلب الثانى : عدد الطبعات للكتاب ، والاضافات بعد الطبعة الأولى .

جـ - المطلب الثالث : ترجمة الكتاب الى اللغات الأجنبية وروا جه .

المبحـــث الأول

بعض المعلومات العامة عن المؤلـف

ويشتمل على أربعة مطالـــب :-

المطلب الأول : عصر المؤلف .

٢- المطلب الثانى : ترجمة عن حياته ونشأته .

٣- المطلب الثالث : تكوينه العلمى .

٤- المطلب الرابـــع : آثارة العلميـــة .

المطلب الأول

عصر المؤلف :

إن الفترة التى عاش فيها الشيخ محمد رشيد رضا وهى السنوات الأخيرة من القرن الثالث عشر الهجرى والنصف الأول من القرن الرابع عشر مابين (١٢٨٢ هـ / ١٨٦٥م) - (١٣٥٤هـ / ١٩٣٥م)[١] حيث تعتبر تلك الفترة من أشد الفترات ضعفا في تاريخ الأمة الاسلامية عامة والعرب خاصة . إذ تكالب الاستعمار الأوروبى وتحالف من أجل تمزيق شمل الأمة واقتطاع أراضيها ونهب خيراتها وتفكيك وحدتها السياسية ، وخلخلة العقيدة الاسلامية بين صفوف أبنائها ، وذلك بظهور المسألة الشرقية على مسرح الأحداث التاريخية[٢].

وهى تتلخص في أن دول أوروبى كانت تحتقر الدولة العثمانية وتنعتها بالرجل المريض ، لايكون شفاؤه إلا بالخلاص منه ، وتقسيم تركته فيما بين دولها ، ومن أجل ذلك حرصت على أن تبقى الدولة العثمانية منشغلة بالحروب الخارجية والفتن الداخلية ، حتى لاتستعيد غافيتها ، وتعود تشكل خطرا على دول أوروبى، كما أشار الى هذه الفترة الصعبة إبراهيم العدوى حيث قال (أصبحت المسألة الشرقية تعبيرا عن اصطدام الدسائس الاستعمارية لالتهام خيرات العالم العربى ... الى أن قال وقف الشيخ رشيد رضا وسط ميدانه وقفة المنازل والمبارز ، يدافع عن العروبة والاسلام

---

(١) أ. خير الدين الزركلى . الاعلام جـ٦ ص ١٢٦ ، الطبعة السادسة ١٩٨٤م ، نشر دار العلم للملايين .. بيروت ، لبنان .

ب. كحالة ، عمر رضا .. معجم المؤلفين جـ ٩ ص ٣١٠-٣١٢ طبعة دمشق ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٩م.

جـ. ابراهيم العدوى : رشيد رضا الامام المجاهد ،ص١٩، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٤م.

(٢) عبد المتعال الصعيدى ، المجدون في الاسلام ، طبعة القاهرة ١٩٦٢م ص ٤٤٦-٤٤٧.

بما تدرب عليه من أسلحة الحق والعلم والخلق المتين).[١]

أما الدولة العثمانية فقد جابهت أطماع الأوروبيين بأمرين :-

أولهما : فرض نطاق عسكرى على البلاد العربية لتمنع وصول الجيوش الأوربية

وثانيهما: الاستبداد بالعنصر العربى ، لاسيما في أواخر الحكم التركى وأصبح العالم الاسلامى يعيش في حالة من الجمود والركود الذى انتابه الى العزلة والانطواء على نفسه ، يبين ذلك ماقاله أحمد أمين[٢] (فليس هناك بين الشعوب الاسلامية والشعوب الأوروبية اتصال فيالثقافة والعلم والصناعة ونظم الحكم)[٣] وفي ذلك الوقت كانت أوروبا قد قامت من غفوة العصور الوسطى وتقدمت في مجالات العلم المختلفة ، بفضل ما اقتبسته من العرب المسلمين في بلاد المغرب والأندلس ، وما أخذته من التراث والمخطوطات والكتب أثناء الحروب الصليبية ، فقد فتحت أمامهم آفاق واسعة في العلوم والتطور في جميع مجالات الحياة ، هذا مكن دول أوربا من السيطرة على العالم الاسلامى ، وبلاد العرب خاصة في ناحيتين :

الأولى التجارةوالثانية تطور أساليب الحروب لدى الأوروبيين وفنون آلات تلك الحروب[٤].

ونتج عن هذه الحالة المضطربة في العالم الاسلامى انقسام المفكرين المسلمين الى ثلاثة فرق أساسية :

---

(١) إبراهيم العدوى،رشيد رضا الامام المجاهد ، المرجع السابق ص ١٥

(٢) أحمد أمين بن الشيخ إبراهيم الطباخ ١٢٩٥ هـ - ١٣٧٣ هـ ، عالم مصرى غزير الاطلاع على التاريخ، من كبار الكتاب ، عين بالقضاء بمصر ثم عين مدرسا بكلية الآداب وكان من أعضاء المجتمع العلمى العربى بدمشق والمجمع اللغوى بالقاهرة والمجمع العلمى ببغداد، مزيدا من المعلومات راجع خير الدين الزركلى ، المرجع السابق ، جا ص ١٠١.
ملاحظة: " ان المسلمين ليسوا في حاجة أن يأخذوا الثقافة ونظام الحكم من غير مبادىء الشريعة الاسلامية .

(٣) أحمد أمين ، زعماء الاصلاح في العصر الحديث ، بيروت دار الكتاب العربي ص ٠٧

(٤) العدوى ، رشيد رضا ، المرجع السابق ص ١٢.

الأولى : فرقة الجامدين الذين وجدوا أن علوم الشريعة قد انحصرت في الكتب التى دونها أصحاب المذاهب المختلفة . ويعتبر هؤلاء أن كل من لايأخذ منها بمذهب فليس على ملة الاسلام ، وكل منهم يفضل مذهبه على غيره من المذاهب .

الثانية : فرقة دعاة الحضارة العصرية والقوانين الوضعية والنظم المدنية يرون أن الشريعة الاسلامية لاتصلح لهذا الزمان،ولذلك على المسلمين أن يقلدوا أوروبا في كل شيء .

الثالثة : دعاة الاصلاح الاسلامى المعتدلين .. يقيمون دعوتهم على الايمان بأن الاسلام والتمسك به وبكتابه (القرآن) والسنة النبوية الصحيحة وهدى السلف الصالح .. هو الطريق الوحيد لإنقاذ البشرية ، وهو النظام الصالح للحضارة والتقدم ، وأن الاسلام والحضارة صديقان[١] يتفقان ولا يختلفان[٢].

ونتيجة لهذه الأوضاع السيئة في العالم الاسلامى ، أصبحت الأمة الاسلامية منهكة القوى وحطمتها الحوادث من الخارج من قبل الاستعمار الأوروبى ،وما تعانيه من الداخل من فساد نظام الحكم واستبداده وتفكك المجتمع ، وجمود فكرى عام ، فقد الدين روحه ، وصار شعائر ظاهرية ، لاتمس القلب ولا تحيى الروح ، سادت الخرافات وانتشرت البدع والأوهام ، أصبح التصوف هو الظاهرة الشكلية في جميع أقطار الوطن الاسلامى ، وهو وسيلة النجاح في الحياة وليس الجد والعمل ولكن التمسح بالقبور والتوسل بالأولياء ، هى مقومات الحياة وهى التى تحقق النصر على الأعداء والبلاد مملوءة بالدجالين والمشعوذين[٣].

---

(١) بل الاسلام هو الحضارة نفسها وليس صديقا لها فقط كما يقول الشيخ رضا .

(٢) من كلام الشيخ رشيد رضا، انظر الى رشيد رضا،مجلة المنار مج ٢٩ ، ص ٦٧ طبعة المنار ١٩٢٨م.

(٣) أحمد أمين،زعماء الاصلاح ، المرجع السابق ص ٧ بتصرف .

هذه روح العصر الذى نشأ فيه الشيخ محمد رشيد رضا ، ومما لاشك فيه هذه الروح والأفكار السائدة ، والسيطرة على المجتمع الاسلامى، تؤثر على المفكر ، والكاتب والفيلسوف والمصلح الاجتماعى تأثيرا عظيما، فأما أن يسير لمناصرتها ويتبنى أفكارها ، وأما أن يحاول اصلاحها واعادتها الى الطريق الصحيح . وهذا مافعله الشيخ محمد رشيد رضا، الذى اطلع على مختلف التيارات الفكرية والأحوال السياسية ، وشاهد كافة المفاسد، والمساوئ التى تسرى في المجتمع وتدمر الأمة والأخطار التى تحيط بالوطن العربى ،خاصة والأمة الاسلامية عامة ، كما شاهد أسباب الضعف وأخذ على عاتقه مسئولية تصحيح هذه الأوضاع يقول في مجلة المنار(يجب بذل النفس والنفيس في السعى الى تربية اسلاميةوتعليم اسلامى تظهر بهما دعوة الاسلام وصحيته وتنقذ ملايين المسلمين من الجهل بدينهم ودنياهم)[1].

هذه نبذه عن الفترة التى عاش فيها الشيخ محمد رشيد رضا .

---

(١) رشيد رضا،مجلة المنار ، م١٣ ص٥٧٦ الطبعة الثانية ١٣٢٧ هـ طبع بمطبعة المنار ، مصر ، جامعة الامام المركزية قسم الدوريات تحت رقم ٥ ر ٠٢١٠

المطلب الثاني

ترجمة عن حياة المؤلف :

محمد رشيد رضا عاش (١٢٨٢هـ/١٣٥٤هـ) - (١٨٦٥م/١٩٣٥م) (١)

مولده : ولد الشيخ محمد رشيد رضا في بلدة القلمون القريبة من طرابلس (الشام) من أسرة تنتسب الى آل البيت ، فرع الحسين بن علي بن أبي طالب ، لذلك كان يلقب نفسه بالحسيني وقد اشتهرت أسرته ، في القلمون بالرئاسة الدينية لأن أفرادها قد جمعوا بين النسب الشريف والدين والتقوى وعزة النفس ، انصرف أفراد هذه الأسرة الى العلم والدين كما ذكر (٢) ذلك أنه انحدر من سلالة الأشراف الحسينين الذين استقروا بالعراق منذ القدم وأنه انتمى الى بيت مجد وشرف ودرج على اكتساب العلم أبا عن جد ، معتبرا أن ذلك من أهم الأسباب التي دفعته الى الانكباب على العلم منذ الصغر . قام جده الثالث ببناء مسجد في قرية القلمون يطل على البحر ، وكان يقيم فيه الشعائر من إمامة وخطابة وتدريس ،وما لبث أبناؤه أن توارثوا هذه الوظائف من بعده .

(وقد ضرب آل الرضا المثل الأعلى لمواطنيهم في الانقطاع للعبادة وتكريم العلماء ، والترحيب بأولى الفضل ، دون تملق لأصحاب السلطان مهما كانوا عليه من تجبر وسطوة) (٣).

---

(١) أ. فتاوى الامام رشيد رضا ، حققه صلاح المنجد ، يوسف الخوري دار الكتاب بيروت م ١ ص٩.
به خير الدين الزركلي ، الاعلام ج ٦ ص١٢٦.
ج . إبراهيم العدوى رشيد رضا الامام المجاهد ص١٩.
د. رشيد رضا ، كحالة : عمر رضا، معجم المؤلفين ، ج ٩ ، ص ٣١٠-٣١٢.

(٢) كتاب المنار والأزهر ص١٣٦ مطبعة المنار ، مصر عام ١٩٣٤.

(٣) إبراهيم العدوى ، رشيد رضا ، الامام المجاهد ص١٩.

ولكن هذه المآثر لم تحل دون تعرض عائلته الى التعسف العثماني أيام سلطة عبدالحميد الثاني[١] عام ١٩١٨م فصودرت أملاكها وتعرض بعض أفرادها الى التعذيب والسجن خاصة بعدما هاجر محمد رشيد رضا الى مصر واستقر بها وبدأ ينشر نصوص العروة الوثقى التى اندثرت ، ويندد بالطريقين فيها .

ومنهم الشيخ أبو الهدى الصيادى[٢] مستشار السلطان عبدالحميد وشيخ الرفاعية[٣] وهى من الطرق الشهيرة في البلاد السورية .

نشأته مرحلة دراسته الأولى :

نشأ محمد رشيد رضا نشأة دينية خالصة جعلته يقبل على تعلم قواعد الحساب والخط والقراءة بما فيها قراءة القرآن الكريم في مدرسة قريته القلمون ثم التحق بمدرسة حكومية ابتدائية بطرابلس (المدرسة الرشيدية الابتدائية) ومنها انتقل الى المدرسة الوطنية الاسلامية التى كان يشرف عليها

---

(١) عبد الحميد الثانى (١٨٤٢-١٩١٨م) وهو السلطان العثمانى السادس والثلاثون وخامس أولاد السلطان عبد المجيد الذي حكم مابين سنتين ١٨٣٩ -١٨٦١م) ولى العرش العثمانى بعد عزل أخيه مراد الخامس في عام ١٨٧٦م على شرط العمل بالدستور العثمانى الذي وضع بنوده الوزير المصلح مدحت باشا عبدالحميد خلع عام ١٩٠٩م من قبل جماعة الاتحاد والتراقى وضباطها العسكريين . توفى مبعدا عن تركيا عام ١٩١٨م. دائرة المعارف الاسلامية ، ج ٥ ، ص ١٨٨-١٨٩ ط ٠١.

(٢) أبو الهدى الصيادى (١٣٢٨/١٢٦٦ هـ) -(١٩٠٩/١٨٤٩م) شيخ الطريقة الصوفية الرفاعية بسورية ، ولى نقابة الاشراف فيها ثم قلده السلطان عبد الحميد مشيخة الاسلام بالاستانه عند توليه الحكم ١٨٧٦ م واستمر في خدمة الدولة العثمانية مايزيد عن ثلاثين سنة توفى منفيا مع عبد الحميد بعد خلعه عام ١٩٠٩م عن السلطة ، الأعلام للزركلى ط ٦ ج ٦ ص ٩٤ ، مرجع سابق .

(٣) الرفاعية : طريقة صوفية انتشرت بسورية نسبة الى صاحبها أحمد بن علي أبو العباس الرفاعى المتوفى سنة ٥٧٨هـ / ١١٨٣م ذكره الذهبى في كتابه تاريخ الاسلام .

شيخه فيما بعد حسين الجسر(١)، وذلك في عام ١٨٨٣م ببيروت ونال الاجازة منها في علوم الدين عام ١٨٩٦م .. وسرعان مابدأ محمد رشيد رضا يكتب في الصحافة وغشى المساجد والمحافل العامة للوعظ والارشاد. وكان أثناء تحصيله للعلم مولعا بمطالعة كتب العلم والأدب ، وبصورة خاصة كتاب احياء علوم الدين لحجة الاسلام أبى حامد العزالى(٢)، الذى أثر فيه تأثيرا عظيما حتى كان يكثر من مراجعته ويقرأه للناس ويذكر أن كتاب احياء علوم الدين استاذه الأول الذي حبب اليه العلم والتصوف(٣)، وكان يحث في مجلة المنار على مطالعة كتاب الأغانى لأبى فرج الأصفهانى ، وكتاب نهج البلاغة للامام علي بن أبى طالب والجزء الثالث من كتاب احياء علوم الدين . حتى أنه اختلف مع شيخه حسين الجسر عندما اقترح عليه استبدال كتاب المقامات للحريرى ، المقرر للمدرسة

---

(١) الشيخ حسين الجسر (١٣٢٧/١٢٦٣هـ) -(١٩٠٩/١٨٤٥م) وهو الذي أسس المدرسة الوطنية بعد تخرجه من الأزهر وهو من المتأثرين بالأفغانى في سورية له جهودا في الاصلاح ألف عدة كتب أهمها الرسالة المحمدية أحمد الشرباص رشيد رضا ، ص ٢٣١-٢٤٦.
وفتاوى الامام رشيد رضا ، تحقيق صلاح المنجد ويوسف خورى جـ١ ص ١٠ مرجع سابق .

(٢) أبو حامد الغزالى(٤٥٠-٥٠٥ هـ) محمد الغزالى الطوسى فيلسوف سنى أشعرى الاتجاه ومتصوف ولد بخراسان ورحل الى بغداد ونيسابور وتولى التعليم بالمدرسة النظامية التى أسسها السلاجقة ببغداد عام ٤٥٩ هـ من كتبه . لجام العوام عن علم الكلام ، ميزان العمل ، المبسط في الفقه ... الخ الزركلى ، الاعلام ، م ٧ ص ٢٢.

(٣) لقد عدل عن الطريقة الصوفية وانتهج مذهب السلف (وله اجتهادات خالف فيها أهل السنة وخاصة في التفسير) ويعد تحوله بقوله (لقد تحولت الى طريق جديد في فهم الدين الاسلامى وهو أنه ليس روحانيا أخرويا فقط بل هو دين روحانى جسمانى ، أخروى دنيوى ..الخ)
محمد رشيد رضا ، تاريخ الأستاذ الامام . القاهرة مطبعة المنار ١٩٣١م جـ ١ ص ٨٤.
ملاحظة : له اجتهادات خالف فيها جمهور المفسرين من أهل السنة في تفسيره المنار مثال ذلك قوله في حكم الوصية للوالدين والأقربين باق لم ينسخ وذلك عندما فسر قوله تعالى " كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت أن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين " سورة البقرة آية ١٨٠.

====

الوطنية الاسلامية بهذه الكتب الثلاثة فلم يوافق شيخه على ذلك(١).

وفي هذه المرحلة قد تأثر بالروح الصوفية كما أسلفنا وخاصة بسبب قراءاته المتكرره لكتاب الغزالى ، ومعاشرته لأهل الطرق الصوفية في طرابلس وخاصة النقشبندية (٢) لكنه سرعان ما أعرض عنها بعدما شاهد الذى كان يصنعونه في اذكارهم الصوفية ، وقام بمحاربتهم خاصة بعد تأثره بمقالات الأفغانى ، واطلاعه ، وقراءته لعدد من مجلة العروة الوثقى(٣).

=== فنجده قد خالف جمهور العلماء الذين قالوا أن الآية منسوخة بآية المواريث أو حديث لا وصية لوارث ، أو بهما معا.

(١) مجلة المنار جـ٤ (١٩٠١م) ص٦٦ تفسير المنار جـ٢ ص١٣٤-١٣٧ ، دار المعرفة للطباعة .

(٢) النقشبندية طريقة صوفية فارسية تسربت الى العراق وسورية .

(٣) مقالات العروة الوثقى منشورة في المنار م ٢٤ ص٤٦٦ ، م٢٥ ص٥٩٣ ، م ٢٦ ص٤٤٠

المطلب الثالث

المرحلة الثانية من تكوينه العلمي :

هجرته الى مصر واصدار مجلة المنار عندما أجيز بالتدريس سنة ١٨٩٦م [١] ، ونال الشهادة العالمية من المدرسة الوطنية الاسلامية عزم على الرحيل الى مصر للاتصال بالشيخ محمد عبده ، ومما تجدر الاشارة اليه أنه سبق وأن التقى به عندما قدم إلى بيروت عام ١٨٨٥م من باريس حيث درس في الجامع الكبير، وجامع الباشورة حيث زادت هذه الدروس في شهرته ، لأنها دلت على سعة اطلاعه وحسن ادراكه ورجحان عقله وكان يحضرها الجمع الغفير [٢] ، وقام الشيخ محمد عبده بزيارة لمدينة طرابلس عندما قابله كثير من طلاب العلم ومنهم محمد رشيد رضا ، ولكن محمدا سبق أن اطلع على مجلة العروة الوثقى فأعجب بها وراسل الأفغاني في الاستانة، راغبا في صحبته [٣] ، وأن يتتلمذ على يده لكنه بعدما مات الأفغاني بدأ يسعى للاتصال بخليفته محمد عبده ، وقد وصل محمد رشيد رضا الى الاسكندرية عام ١٨٩٨م حسب ما أكده بنفسه [٤] ، وانتقل بعد وصوله الى القاهرة ثم الى ضاحية عين شمس حيث كان يقيم الأستاذ الامام محمد عبده بعد عودته من بيروت ، وبحث معه انشاء مجلة دينية تنهج منهج مجلة العروة الوثقى ، وبعد شيء من مداولة الحديث اقتنع الرجلان بفكرة انشاء المجلة التي اتفق على اسمها (مجلة المنار) وهي مجلة تعتني بالاصلاح التربوي ، والاجتماعي ، والديني، تمكن الشيخ محمد رشيد رضا من اصدار العدد الأول من جريدته المنار الأسبوعية بالقاهرة في (٢٢ شوال ١٣١٥ هـ) الموافق ١٥ مارس عام ١٨٩٨م [٥] . وقد لازم السيد رشيد

---

(١) فتاوى الامام رشيد رضا ، صلاح المجد، يوسف الخوري ج ١ ص ١٢.

(٢) أحمد أمين ، زعماء الاصلاح ص ٣٠٨، الطبعة الثانية ١٩٦٥م.

(٣) محمد عبده ، الأعمال الكاملة ، تحقيق الدكتور عمارة ، بيروت لبنان ١٩٧٢م ج ١ ص ١٧-٣٢.

(٤) محمد رشيد رضا ، تاريخ الاستاذ الامام ج١ ص ٩٩٨ مطبعة المنار ١٩٣١م والشرباص ، رشيد رضا، ص ١٣٦.

(٥)

رضا استاذه وقلده في كثير من الأمور الدينية والاصلاحية والاجتماعية ، وكان الأستاذ محمد عبده يملىء دروسه وتفاسيره القرآنية والشيخ محمد رشيد رضا يدون أفكار استاذه ، وينشرها في مجلة المنار[١]، ولما توفى الامام محمد عبده عام ١٣٢٣هـ /١٩٠٥م)[٢] ، أخذ ينشر أفكاره ومنهجه الاصلاحي السلفى في مجلة المنار مدافعا عنه في الميدان ولكنه أحيانا يخالف استاذه في بعض المسائل وحدث هذا بعد وفاة استاذه ، وكان الشيخ محمد رشيد رضا ذو حيوية وتحمس لخدمة الفكر السلفى وكانت مساعيه الجادة في نشر الدعوة التى خلفها جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده ، واظهارها من حدود الكتابة الصحافية النظرية من خلال مجلة المنار الى العمل السياسى المباشر داخل العالم الاسلامى وحتى وصل صوت الحق الى خارج العالم الاسلامى. ويتضح ذلك من أثاره العلمية التى سوف يأتى تفصيلها في المطلب الرابع . والى جانب ماذكر نورد أسماء بعض المشايخ الذين كان رشيد رضا قد تتلمذ عليهم ولهم تأثير في تكوينه العلمى . وكان منهم الشيخ محمود نشابه الطرابلسى[٣]، المتوفى عام ١٣٠٨ هـ / ١٨٩٠م) وعبد الغنى الرافعى[٤] المتوفى عام (١٣٠٨هـ/١٨٩٠م). الذى حضر عليه كتاب نيل الأوطار للقاضى

---

(١) رشيد رضا، تاريخ الاستاذ الامام ج١ ص ٨٩١-٨٩٢.

(٢) خير الدين الزركلى .. الاعلام م٦ ص ٢٥٢.

(٣) أقام في الأزهر ثلاثين سنة يطلب العلم ويدرس ، قرأ عليه رشيد رضا في طرابلس الأربعين النووية واجازة فيها . ثم حضر عنده شرح البخارى وقرأ عليه صحيح مسلم ،وشرح المنهج ، وقسما من فقه الشافعية . رشيد رضا، مجلة المنار م ٢١ طبعة القاهرة ١٩١٩م ، ص ١١٥-١٥٧.

(٣) عبد الغنى الرافعى ابن أحمد بن الشيخ عبد القادر الفاروقى ولد في طرابلس عام ١٢٣٢هـ/١٨١٦م) وقرأ القرآن وأخذ العلوم العقلية والنقلية وبرع في الفنون والأدب والتصوف وكان محدثا صوفيا، فقيها وأصوليا وشاعرا وأديبا. من أشهر مؤلفاته كتاب ترصيع الجواهر المكية في تزكية الأخلاق المرضية، راجع عبد الله نوفل ، تراجم علماء طرابلس ١٩٨٤م ، ص ٨٣-٨٦ ، ورشيد رضا ، مجلة المنار م ٢١ ص ٢١٤.

الشوكانى[١]، المتوفى عام (١٢٥٠هـ/١٨٣٤م) والشيخ محمد القاوقجى[٢]، المتوفى عام (١٣٠٥هـ/١٨٨٧م) أخذ عنه كتابه في الأحاديث المسلسلة وبعض كتابه المعجم الوجيز ، أضف الى ذلك تأثر رشيد رضا بوالده وأخذ عنه الكثير من السجايا والخصائص الحميدة[٣].

رحلاتـــــه :

لاشك أن الرحلات العلمية والاستطلاعية لهما قيمتان ، الأولى مـــن الناحية العلميةحيث يستزيد صاحب الرحلة خبرة مباشرة وعلما بالوقـــوف على حقيقة الشيء . أى مايتعلق بأمور العباد الدينية والسياســـة والاجتماعيةوالاقتصاديةوغيرها ، وهذا الأمر قد سبق اليه العلماء المسلمون وحثوا عليه في طلب العلم ، بينما نجد أن الأوربيين قد أولوا الرحـــلات العلمية والاكتشافات الجغرافية اهتماما خاصا لاسيما المستشرقينوالمنصرين والسياسيين منهم في بلاد المسلمين .

أما القيمة الثانية : إن الرحلات ذات مردود وأثر ايجابى أو سلبى على البلاد التى يزورها العالم أو طالب العلم ، وخاصة الذين لهم تأثيـــر

---

(١) هو محمد بن علي الشوكانى(١١٧٣/١٢٥٠هـ)-(١٧٦٠/١٨٣٤م) امام أصولى وحافظ محدث من اليمن ، خيرالدين الزركلى الاعلام ج ٦ ص ٢٩٨.

(٢) هو الشيخ محمد القاوقجى الشهير بأبى المحاسن ولد بطرابلس عام (١٢٢٤هـ - ١٨٠٩م) تلقى علومه الابتدائية في طرابلس ثم رحل الى مصر وجاور في الأزهر مدة سبع وعشرين سنة عاد بعدها الى طرابلس ترك أكثر من سبعين كتابا من أشهرها ربيع الجنان في تفسير القرآن والذهب الابريز على المعجم الوجيز . توفى بمكة عام (١٣٠٥ هـ - ١٨٨٧م)
عبد الله نوفل تراجم علماء طرابلس ص ٥٨-٥٩.
وأحمد أمين،زعماء الاصلاح ص ١٠٦-١٠٧.

(٣) ابراهيم العدوى ، رشيد رضا ص ٢٢.

علمى واصلاحى أو تأثير فكرى مذهبى يقصد منه صاحبه كسب الانظار وبلـــــوغ الأهداف المقصودة من الرحلة فإن الشيخ رشيد قد عرف أهمية تلك الرحـــلات العلمية والاستطلاعية ومالها من الأثر الحميد في مجال الاصلاح الاجتماعـــــى والسياسى والدينى ، فقام بعدة رحلات نجملها فيما يلى :-

الرحلة الأولى :

قام بها الى سورية في عام (١٩٠٨م)[١] عند قيام الدستور العثمانى والعمل به وذلك للاتصال بأهله وتفقد أحوال الأهالى وحثهم على تطبيـــــق الاصلاح الادارى الذى دعت اليه الحكومة العثمانية .

الرحلة الثانية :

قام بها الى الاستانة[٢] بتركيا. القصد منها التوفيق بين العـــرب والترك وازالة أسباب الخلاف السياسى والسعى للحصول على اعانات ماديـــــة من كبار رجال الدولة الاتحاديين بعد خلع السلطان عبد الحميد عام (١٩٠٩م) حيث قد أسس جمعية الدعوة والارشاد بعد وفاة الشيخ محمد عبده عام ١٩٠٥م.

الرحلة الثالثة :

قام[٣] بها الى الهند عام ١٩١٢م بدعوة من رئيس جمعية (ندوة العلماء) المسلمين هناك ، الهدف من الرحلة الحصول على اعانة مالية من صديقه (شبلى) للاسهام في تدعيم المدرسة المذكورة .

---

(١) المنار م ١١ (١٩٠٨-١٩٠٩م) ص ٧٠٦-٧١٦.

(٢) محمد رشيد رضا ، الفتاوى المجلد الأول ص ١٧.

(٣) الشيخ شبلى النعمانى (١٨٥٨ - ١٩١٤م) من أهم رجال الاصلاح الاسلامـى السني في الهند. إبراهيمى الأصل ثم اعتنق الاسلام ولد في قريـــــة (البندول) بالهند وتعلم في لاهور ، شارك في التعليم بمدرســـــة عليكرة التى أسسها أحمد خان سنة ١٨٧٥م ، ثم زار مصر حين أســـــس رشيد المدرسة ، خير الدين الزركلى ج٣ ص ١٥٥

الرحلة الرابعة :

قام بها الى الحجاز[١]، والهدف منها أولا الحج وثانيا تهنئة الشريف حسين[٢] بنجاح الثورة ضد الأتراك .

الرحلة الخامسة :

كما أن الشيخ محمد رشيد رضا رحل الى الديار السورية ثانية بعد الحرب العالمية الأولى أثر استيلاء جيوش الحلفاء عليها عام (١٩١٩م) وتنصيب الانجليز الأمير فيصل[٣] أحد أبنا الشريف حسين ملكا على سورية سنة ١٩٢٠م. وهناك عين رشيد رضا رئيسا للمؤتمر السوري[٤] العام وكانت مهمته المطالبة باستقلال البلاد ورفع الوصاية الفرنسية عنها ، ومكث الشيخ رشيد سنة كاملة.

الرحلة السادسة :[٥] فكانت الى مدينة جنيف بسويسرا في أوربا حيث شارك

---

(١) مجلة المنار م ٩ (١٩١٦-١٩١٧م) ص ٣٠٧-٣١٠.

(٢) الشريف حسين بن علي(١٨٥٤-١٩٣١م) من أولاد عون من اشراف مكة ولد في الاستانة وتولى ولاية مكة بعد حصول ثورة الاتحادين الاتراك (١٩٠٨م) ثم أعلن الثورة العربية في الجزيرة (١٩١٦م) وذلك بالتحالف مع الانجليز . استولى عبد العزيز بن سعود على الحجاز عام ١٩٢٤م ذهب الى جزيرة قبرص سنة ١٩٢٥م ثم انتقل الى عمان حيث توفي ودفن بالقدس . الاعلام ، الزركلي ج٢،ص ٢٤٩-٢٥٠.

(٣) الأمير فيصل (١٨٨٣-١٩٣٣م) وهو ملك العراق من أشهر ساسة العرب في الشرق في العصر الحديث ، ولد بالطائف ورحل مع والده الحسين الى الاستانة سنة (١٨٩١م) ثم اختير نائبا عن جده في مجلس النواب العثمانى عام ١٩٠٩م مزيدا من المعلومات ، خير الدين الزركلي الاعلام جـ٥ ص ١٦٥.

(٤) نشر المؤلف الفصل الأول من رحلته لسورية الثانية بالمنار م ٢١ (١٩١٨-١٩٢٠م) ص ٣٧٧-٣٨٣.

(٥) نشر بالمنار م ٢٣ عام ١٩٢٢م ص ١١٤-١٢٠ .

في المؤتمر السورى الفلسطينى الذى انعقد هناك قبل قيام الثورة السورية عام ١٩٢٥م . وهناك طاف الشيخ بصحبة صديقه شكيب ارسلان[١]، في أرجاء البلاد الألمانية وزار مدينة برلين ، حيث كان يقيم أرسلان هناك .

الرحلة السابعة :

قدم فيها الشيخ لزيارة الحجاز مرة ثانية بعدما استولى الملك عبد العزيز بن سعود[٢] على الحجاز[٣]، وانتصر على الشريف حسين بن علي حيث حضر الشيخ مؤتمرا اسلاميا عاما عقد عام ١٩٢٥م للبحث في شئون الحكم الاسلامى .

الرحلة الثامنة والأخيرة :

فقد كانت الى فلسطين سنة (١٩٣١م) حيث حضر مؤتمرا اسلاميا عاما عقد في مدينة القدس بدعوة من صديقه وتلميذه الحاج أمين الحسينى[٤] مفتى فلسطين.

---

(١) شكيب أرسلان (١٨٦٩-١٩٤٦م) هو شكيب بن محمود بن يونس أرسلان مصلح سياسى سورى من الذين تأثروا بدعوة الأفغانى ومحمد عبده ، ولد في الشويفات بلبنان وسكن دمشق ثم هاجر الى سويسرا وألمانيا حيث أصدر مجلة (الامة العربية) بالفرنسية سنة ١٩٣٠م وله كتب كثيرة منها كتاب السيد رشيد رضا أو اخاء ٤٠ سنة ، مزيدا من المعلومات ، الاعلام الزركلي جـ٣ ص ١٧٣-١٧٤.

(٢) عبد العزيز بن سعود (١٢٩٣/١٣٧٣ هـ) -(١٨٨٠/١٩٥٣م) عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل بن تركى بن عبد الله بن محمد بن سعود (المؤسس الأكبر للدولة السعودية في الجزيرة العربية ابتداء من سنة ١٣١٩ هـ - ١٩٠٢م وتوسع في الغزو حتى شمل الاحساء والقطيف وبلاد عسير ثم استولى على الحجاز عام ١٩٢٤م حيث أعلن توحيد المملكة العربية السعودية عام ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢م . مزيدا من المعلومات الزركلي ، الاعلام جـ٤ ص ١٩-٢٠.

(٣) الفصل الأول من رحلته الحجازية الثانية (المنار م٢٣) (١٩٢٣م - ص ١١٤ ، ٣٠٦، ٣٨٣، ٤٤١، ٥٥٣، ٦٣٥.

(٤) الحاج أمين الحسينى ١٨٩٧م. ولد من عائلة عربية فلسطينية ذات ثروة سافر الى القاهرة للدراسة في الجامع الأزهر وكان يتردد على مدرسة محمد رشيد رضا (الدعوة والارشاد) عاد الى القدس نسة ١٩١٦م اعتقله الانجليز سنة ١٩٢٠م بسبب تزعمه لبعض الثورات ضد اليهود. تولى الافتاء بفلسطين سنة ١٩٣١م ورياسة المجلس الأعلى الاسلامى توفى عام ١٩٧٢م في لبنان. كتاب مجيد خدورى، عرب معاصرون الباب الثانى ص ١٢٩-١٦٢ طبعة الدار المتحدة للنشر ، بيروت لبنان عام ١٩٧٣م.

المطلب الرابـــع

آثاره العلميـة :

إن لهذا العالم العديد من المؤلفات والرسائل والمقالات والجهـــود الاصلاحية والتربوية والعلمية . ويأتي في مقدمة تلك الجهود والأعمال مجلـة المنار ، وتأسيس مدرسة (جمعية الدعوة والارشاد ، وتفسيره الشهير (باسم تفسير المنار) . لتدعيم مسيرة الدعوة وانتهاج طريق السلف الصالح والسعى الى تحقيق الجامعة الاسلامية بين الشعوب الاسلامية ، ومقاومته الشديدة لاشكال الاستعمار والعمل على استقلال البلاد العربية ، ومحاربته للنزعات العنصريـة ونبذ كل مايدعو الى التفرقة بين المسلمين .

الايضاح :

١- مجلة المنار [(١)] تعتبر من أهم آثار الشيخ العلمية بل أنها المدونـة الكبرى الجامعة لتفكيره ومواقفه المختلفة من قضايا العصر التى تهم كل المسلمين في شتى ميادينه ، الدينية ، والسياسية ، والاجتماعيـة والتربوية ، والاقتصادية وغيرها . حوت غالبية فصول من رسائله ومؤلفاته ومقالاته في مواضيع متعددة ، ومسائل مختلفة .

٢- تفسير المنار: يأتى تفسير المنار بعد مجلة المنار في الأهمية قال عنه مؤلفه في المجلد الأول" هذا هو التفسير الوحيد الجامع بين صحيـح المأثور وصريح المعقول الذى بين حكم التشريع ، وسنن الله في الانسان وكون القرآن هداية للبشر في كل زمان ومكان "[(٢)] .

---

(١) هذه المجلة ،سياسية ، دينية ، علمية تبحث في فلسفة الدين وشئون العمران شهرية شعارها ((إن للاسلام صوى ومنارا كمنار الطريق)). حديث شريـف ، صدر العدد الأول منها في الثانى والعشرين من شهر شوال سنة ١٣١٥هـ .توقفت عن الصدور عام ١٣٥٤هـ الامام رشيد رضا، الفتاوى، المجلد الأول ص ١٣.

(٢) تفسير المنار المجلد الأول ص ١، الطبعة الثانية دار المعرفة بيـروت لبنان .

هذا التفسير يقع في اثنى عشر مجلدا ، وقد صدر المجلد الأول منه عام ١٩٢٨م الطبعة الأولى ، منها خمسةمجلدات الأول ، هى من تفسير الشيخ محمد عبده فى مابين سنتى(١٩٠٠-١٩٠٥م) فسّر فيه بعض السور الطويلة (سورة البقرة آل عمران ، النساء الىالآية ١٢٥ (١) .

وقد بدأ رشيد رضا في تجريد التفسير من مجلة المنار في حياة الشيخ محمد عبده ولم يطبعه الا بعد وفاته . وقد ذكر رحمه الله أنه أتم تفسير الجزء الثانى عشر في العشر الأخير من المحرم سنة ١٣٥٤ هـ وذلك عند تمام تفسير آية ٥٢ من سورة يوسف (٢) . وقد ذكر العدوى في كتابه رشيد رضا الامام المجاهد أن آخر آية فسرها هى قول الله تعالى " رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث ، فاطر السموات والأرض أنت ولىّ في الدنيا والآخرة توفنى مسلما والحقنى بالصالحين "١٠١ سورة يوسف (٣) .

٣- الوحى المحمدى : وهو من أهم مؤلفات الشيخ ، وأحب كتبه اليه (٤) ألفه في الدفاع عن دين الاسلام ورسوله ورسالته ودحض شبهات النصارى التى اثيرت حول الرسول والرسالة ، ثم بعد مابين وجه الحق في ذلك وجه الدعوة الى مفكريهم لاعتناق الاسلام (٥) .

---

(١) تفسير الشيخ محمد عبده منشورا ضمن الأعمال الكاملة للامام محمد عبده (تحقيق الدكتور عماره . الجزءان الرابع والخامس في تفسير القرآن بيروت ١٩٧٣م.

(٢) وقد واصل رشيد رضا تفسيره للمنار من حيث وقف استاذه مخالفا طريقة استاذه نوعا ما ، ومتوسعا فيالاستشهاد. الدكتور عمارة . الأعمال الكاملة للامام محمد عبده .

(٣) إبراهيم العدوى ، رشيد رضا ، ص ٢٨٢-٢٨٣.

(٤) انظر الى مقدمة الوحىالمحمدى ، الطبعة التاسعة بقلم الشيخ محمد بهجت البيطار ص ب .

(٥) سوف نتكلم بمزيد من التفصيل عن كتاب الوحى المحمدى في الفصول اللاحقة ان شاء الله .

أما بقية المؤلفات فاننا نذكرها على سبيل الاجمال . تلافيا للاطالة في البحث :

٤- حقوق النساء في الاسلام أو نداء للجنس اللطيف .

٥- مساواة المرأة بالرجل .

٦- حقيقة الربا والمعاملات في الاسلام.

٧- تاريخ الاستاذ الامام محمد عبده ثلاثة أجزاء

٨- تيسير الاسلام وأصول التشريع العام .

٩- الخلافة أو الامامة العظمى .

١٠- الوهابيون والحجاز .

١١- الوحدة الاسلامية .

١٢- الحكمة الشرعية في محاكمة القادرية والرفاعية[١].

١٣- رسالة في الصلب والفداء .

١٤- خلاصة السيرة النبوية[٢] وحقيقة الدعوة الاسلامية (تحقيق عبد العظيم سبيع).

١٥- خلاصة السيرة المحمدية[٣] ، وحقيقة الدعوة الاسلامية ، وكليات الدين وحكمه .

١٦- كتاب المنار والأزهر.

١٧- المقصورة الرشيدية ، وهى عبارة عن منظومة شعرية طويلة كتبها الشاعر على بحر الرّجز في أطوار مختلفة من حياته ويبلغ عدد أبياتها أربعمائة

---

(١) رسالة انتهى من تأليفها سنة ١٨٩٦م قصد منها مهاجمة الطرق الصوفية المنتشرة في سورية وشيخها (أبى الهدى الصيادى) ، كتاب المنار والأزهر للشيخ رشيد رضا ص ١٨٩.

(٢) مكتبة السلام العالمية ، دار الاعتصام .

(٣) نشر باشراف محمد زهير الشاويش ، المكتب الاسلامى .

بيت[1] ، هذا بالاضافة الى العديد من الخطب والرسائل والمقالات التى كان ينشرها على صفحات المنار والجرائد المصرية الأخرى .

ومما تجدر الاشارة اليه أن أغلب مؤلفات كانت تنشر على شكل مقـــالات في مجلة المنار.

---

(١) كامل المقصورة محققا منشورا من قبل الدكتور أحمد الشرباصـــى في كتابه بعنوان مقصورة رشيد رشا ص ١٥٧ ، مطبعة الرسالة ، مصـــر عام ١٩٧٠م منشور جزء منها في المنار م٢(١٨٩٩ - ١٩٠٠م) ص ١٨٦ - ١٨٩ الشعر العصرى .

المبحث الثانـــــى

معلومـــــات عن الكتـــــــاب

ويشتمل على ثلاثة مطالب :-

١- المطلب الأول : الهدف من تأليف الكتاب .

٢- المطلب الثانى : قيمة الكتاب العلميـــة .

٣- المطلب الثالث : ذكر بعض المصـــادر والمراجع التى اعتمـــــد عليهـــا المؤلف .

المطلب الأول

الهدف من تأليف الكتاب :

إن كتاب الوحى المحمدى ، كتاب يحوى بين طياته شمولية الاسلام في العقيدة ، والشريعة ، والمعاملات ، والسياسة ، والاقتصاد وغيرها وان كان الهدف الأول من تأليفه هو الدفاع عن الرسالة وإثبات النبوة لمحمد صلى الله عليه وسلم ، وإثبات حقيقة الوحى ، وكون القرآن كلام الله ، إلا أن هذا الكتاب أصبح بحثا علميا وعقليا في إثبات معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم ، ودعوة الى الاسلام ، ودحض شبهات بعض النصارى وغيرهم من اليهود ، وتناول فيه جوانب كثيرة من شمولية الاسلام لمجالات الحياة وفصل في ذلك قال عن الأهداف الرئيسية من تأليفه للكتاب في مقدمة الطبعة الأولى منه ونشر في مجلة المنار تحت عنوان :-

(بيان هذا الكتاب لحقيقة الاسلام، بما تقوم به الحجة على جميع الانام)

(أما بعد فاننى أقدم لهم هذا الكتاب الذى صنفته في إثبات الوحى المحمدى وكون القرآن كلام الله عز وجل ، وكونه مشتملا على جميع مايحتاج اليه البشر من الاصلاح الدينى والاجتماعى والسياسى والمالى والحربى .. الى أن قال : على أننى لم أكتب هذا البحث أول وهلة لهذا الغرض وانما بدأت منه بفصل استطرادى لتفسير آية " أكان للناس عجبا أن أوحينا الى رجل منهم "..[1] ، ثم بدا لى في أثناء كتابته أن أجرده في كتاب خاص أدعو به شعوب الحضارة المادية من الأفرنج واليابان الى الاسلام بتوجيهه أولا الى علمائهم الأحرار حتى اذا ما اهتدوا به تولوا دعوة شعوبهم ودولهم اليه بلغاتهم ، ولهذا زدت فيه على ماكتبته في التفسير ووضعت له الخاتمة التى حرصت فيها بالدعوة وجعلها هى المقصود بالذات منه[2])اهـ .

---

(١) أول سورة يونس آية ٢ ، انظر الى تفسيرها في المنار ج ١ ص ١٤٣ ، الطبعة الثانية ، دار المعرفة - بيروت .

(٢) انظر الى ماقاله في مقدمة الطبعة الأولى من كتاب الوحى المحمدى ص ٢٩ ، ٣٠ منشور بمجلة المنار م٣٣ ص ٢٨٩ الطبعة الأولى بالمنار (١٣٥١هـ) .

ان هدف الشيخ رحمه الله من تأليفه كتابه لم يتحقق بالنسبة للنصارى وغيرهم ، وما زادتهم الدعوة الى الاسلام الا نفورا واستكبارا في الأرض وذلك لأن العداوة والبغضاء والحنق الذى يكمن في نفوس مفكرى الغرب بالذات ضد الاسلام وأهله أعماهم عن رؤية الحق واتباع الهدى ، أضف الى ذلك الاطماع الاستعمارية والمخططات التنصرية التى مازال الغرب يرددها ويعمل من أجلها ، والهدف منها احتواء العالم العربى والاسلامى وتوسيع النفوذ التنصيرى في العالم الاسلامى وصهره في بوتقة الثقافة الغربية ، حتى يسهل عليهم تدمير وحدته الدينية ، ومن ثم السيطرة على أرضه ونهب خيراتها وربطه بذيل السياسة الأوربية ، هذه الأهداف وغيرها جعلتهم يغمضون عيونهم ويصمون أذانهم عن الحق لا بلج الذى جاء به الاسلام على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وعن العدالة والمساواة والحرية التى لاتوجد الا فيه وعن مبادئه السامية التى شملت جميع مجالات الحياة .

بل إن الرسالة الخالدة ، هى المنقذه للبشرية ، من تخبط الانسانية الهوجاء التى لاتعرف للحق مكان ، وخاصة في هذا الزمن الذى لايعرف فيه الا لغة القوة واغتصاب حق الضعيف تحت ستار المصالح ، لاشك أن الكتاب يحوى بين صفحاته أدلة وبراهين علمية وعقلية ، تناول فيها المؤلف عموميات دين الاسلام وشموليته لمصالح البشر ، وبين فيه محاسن الاسلام على غيره من الأديان (١) .

كما دحض شبهات أعداء دين الاسلام من المسيحيين وغيرهم والرد عليهم بالحجة والبرهان المدعومة بالأدلة ودعوتهم الى اعتناق الاسلام مما قل أن يحويها كتاب مثله .

---

(١) رشيد رضا ، الوحى المحمدى ص ٣٤٥.

المطلب الثاني

قيمة الكتاب العلمية :

إن كتاب الوحى المحمدى فريد في مواضيعه .

إن الكتاب يجمع بين تفسير القرآن الكريم وعلومه ومعجزاته بالاضافة الى اشتماله على عموميات الدين وأساسياته ومحاسنه ومميزاته ، بل إنه منهاج للهداية التى جاء بها رسول الاسلام ، فبهذه المعانى السامية التى يتضمنها هذا السفر في صفحاته أصبح بحق ذو قيمة علمية ، أورد المؤلف رحمه الله فيه فصولا جامعة في أصول الدين وفروعه ومشتملة على العديد من القضايا التى أثارها أعداء الاسلام ضده ، مفندا تلك الشبهات بالأدلة السمعية أولا وبالبراهين العلمية والعقلية ثانيا ، مع بيانه لمقاصد القرآن الكريم الذى يدعو الى حرية الفكر وابداء الرأى ضمن ضوابط الاسلام وذم التقليد والحض على أعمال العقل السليم دون الخروج عن اطار النص كما بين في هذا الكتاب الأسباب التى حجبت علماء وأحرار الافرنجه من معرفة حقيقة الاسلام واعتناقه ، وأن المؤلف قد أجاد وأبدع في هذا الكتاب بشهادة العلماء الذين قرظوا الكتاب في زمن تأليفه ومنشورة تقاريظهم في الكتاب ومجلة المنار ، والبعض منها نشر بالصحف والمجلات في حينه . وكلها تحمل الثناء والتمجيد للكتاب وصاحبه ، كما قرر تدريسه للطلاب[1] ، وهذه مقتطفات مما قاله العلماء حين وزعت منه الطبعة الأولى وأطلعوا عليها :

قال العلامة : ابراهيم أطفيش[2] الميزابي الجزائرى " أجل كتاب في علوم

---

(١) في الصفحة الأولى من الطبعة الثالثة . مطبعة المنار(١٣٥٤هـ) قال المؤلف : قررت وزارة المعارف العمومية كتاب الوحى المحمدى لطلبة دار العلوم العليا كما ذكر المؤلف أن كتاب الوحى المحمدى يدرس في بعض المدارس الاسلامية في دمشق وبيروت ص ٢، ١٣.

(٢) إبراهيم بن يوسف أبو سجاق أطفيش (١٣٠٥-١٣٨٥ هـ) قال عنه الزركلى في الاعلام جـ١ ص ٧٣ أديب من علماء الأباضية ولد في قرية بنى بسجن بودى(ميزاب في الجزائر) قرأ الفقه والنحو والتفسير بعد حفظ القرآن ، أنشأ مجلة المنهاج وصنف كتاب منها الدعاية الى سبيل المؤمنين، شارك في بعض المؤتمرات السياسية وله بعض التحقيقات .

القرآن ،وأفخم سفر في جلال القرآن ، ومعجزة من معجزات القرآن ، كتاب (الوحى المحمدى) طالع أيها المعتز بالقرآن ويا طالب منهاج الهداية المحمدية هذا السفر الجليل "[1] .

وقال العلامة الأستاذ سعدى ياسين الدمشقى[2] :-

" ما ان اطلعت على هذا الكتاب العظيم العديم المثال حتى علمت علم اليقين ان كتاب (الوحى المحمدى) هو خير كتاب أخرج للناس في هذا العصر بل لم يؤلف قبله في بابه نظيره "[3] اهـ.

وقال الاستاذ/ محمد لطفى جمعه[4] ، في جريدة البلاغ المصرية الصادرة في ٢٢ من جمادى الأولى عام ١٣٥٢ هـ(الوحى المحمدى) كتاب من تأليف العالم العلامة السيد محمد رشيد رضا منشئ المنار الأغر ، وغاية المؤلف ثبوت النبوة بالقرآن ، ودعوة شعوب المدنية الى الاسلام دين الأخوة الانسانية والسلام." وفى الحق أنه كتاب جليل يلفت الأنظار ، بما أورده الاستاذ مؤلفه من الأدلة العقلية والحجج النقلية بوضوح وجلاء على طريقة حديثة لم تسبق

---

(١) التقاريظ بعد الخاتمة بكتاب الوحى المحمدى الطبعة التاسعة المكتب الاسلامى ص ٠٣٧٨.

(٢) سعدى بن ياسين الصباغ(١٣٠٥هـ - ١٣٩٦هـ) قال عنه خير الدين الزركلى عالم دمشقى شارك في الثورة السورية ثم استوطن ببيروت تاجرا ومعلما منذ عام ١٩٢٩م حتى وفاته في ١٤ ربيع الثانى ١٣٩٦ هـ ودفن فيها كان خطيبا حاضر البديهة، راوية للأدب والشعر والنوادر ، قوله شعر رفيق من كتبه " أوضح البحث في اثبات البعث " خير الدين الزركلى جـ ٣ ص ٠٩٠.

(٣) التقريظ منشورا في مجلة المنار م ٣٣ جـ١٠ ص ٧٦٨ وكتاب الوحى المحمدى ص ٠٣٩١.

(٤) محمد لطفى (١٣٠٣-١٣٧٢هـ) بن الشيخ جمعه من أصل عربى، محام من كبار الكتاب والخطباء والمترجمين . من أعضاء المجمع العلمى العربى يجيد الفرنسية والانجليزية . سكن القاهرة وتوفى فيها كتب كثيرا في صحف (المؤيد) و(الظاهر) و(البلاغ) اليومية والأسبوعية ، له عدة مؤلفات وترجم عددا من الكتب خير الدين الزركلى الأعلام جـ ٧ ص ١٥-١٧٠.

للمؤمنين في المسائل الدينية "[1].

كما قام الأستاذ الشهير محمود العقاد[2]، بتقريظ الكتاب ونشر في حينه في جريدة الجهاد قال بعد مقدمة تناول المؤلف فيها بالثناء عليه (وكتاب الوحى المحمدى) الذي أظهره صاحب المنار في الأشهر الأخيرة هو من أفضل ماكتب في مباحثه الدينية ، توخى فيه كما قال أن يكون أمضى مُديّة يقطع بها ألسنة الطاعنين في الاسلام من دعاة الأديان الأخرى ،وأراد به أن يكون كتابا يصلح لدعوة شعوب المدنية الحاضرة الى الاسلام ببيان البراهين العقلية والتاريخية على كون القرآن وحيا من الله تعالى لا وحيا نفسيا نابعا من استعداد محمد صلى الله عليه وسلم ، كما يزعم بعض المتأولين لإعجازه منهم ، وبيان مافيه من الأصول والقواعد الدينية والاجتماعية والسياسية والمالية والدفاعية السلمية التى يتوقف على اتباعها صلاح البشر وعلاج المفاسد المادية وفوضى الإباحية وخطر الحرب العامة التى استهدفت لها جميع الدول والشعوب في هذا العهد)[3] اهـ.

---

(١) مقال منشور بمجلة المنار م ٣٣ ج ١٠ ص ٧٨٧ ، وكتاب الوحى المحمدى ص ٣٩٩ تحت عنوان تقاريظ الوحى المحمدى.

(٢) العقاد (١٣٠٦ - ١٣٨٣ هـ) عباس محمود إبراهيم العقاد، قال عنه الزركلى في الاعلام إمام الأدب ، مصرى ، من المكثيرين كتابة وتصنيفا مع الابداع ولد في اسوان وتعلم في مدرستها الابتدائية ، شغف بالمطالعة ، كان موظفا بالسكة الحديدية ثم بوزارة الأوقاف بالقاهرة ثم معلما في بعض المدارس الأهلية وانقطع الى الكتابة في الصحف والتأليف بلغت مؤلفاته ٨٣ مؤلفا في أنواع مختلفة من الأدب الرفيع . مزيدا من المعلومات ، الزركلى الاعلام ج٣ ص ٢٦٦.

(٣) تقاريظ كتاب الوحى المحمدى منشورة في مجلة المنار تحت عنوان تقاريظ الوحى المحمدى - م ٣٣ ص ٧٦٩-٧٩١، وكذلك منشورة في كتاب الوحى المحمدى نفسه من ص ٣٥٩-٤١٧.

وبهذا القدر من التقاريظ لكتاب الوحى المحمدى نكتفى لظننا أننا بهذا الإيجاز من التقاريظ قد بينا قيمة الكتاب العلمية ولأن التقاريظ كثيرة جدا ولا متسع لسردها في البحث ولكن معظم التقاريظ موجودة ومنشورة بمجلة (١) المنار وكتاب الوحى المحمدى .

---

(١) مجلة المنار - م ٣٣ من ص ٧٦٩-٧٩١ ، وكتاب الوحى المحمدى من ص ٣٥٩-٤١٧.

المطلب الثالث

ذكر بعض المصادر التى اعتمد عليها المؤلف في تأليف كتابه :-

أ- المصادر والمراجع العربية :

من المعلوم أنه لابد لكل علم أو بحث علمى يأتى به العالم أو الباحث أن يقوم على قواعد ومرتكزات قد استنبطها من مصادر ومراجع مادة أخرى وجمع بينها حتى تصبح مادة ذات قيمة علمية لها مصادرها ومراجعها ولايستطيع أى عالم أو باحث أن يأتى بشىء جديد في مجال العلم والبحث ، الا بالرجوع الى المصادر ، فمن الضرورى أن يكون لكل علم أو بحث مصادر ومراجع ، لذلك فإن مؤلف كتاب الوحى المحمدى قد اعتمد على عدة مصادر ومراجع ويأتى في مقدمتها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .

١- القرآن الكريم : يأتى في مقدمة تلك المصادر القرآن ، حيث استشهد بآيات من القرآن الكريم في اعداد موضوعات الكتاب الأمر الذي جعل كل صفحات الكتاب تكاد أن لاتخلو منها ، وهذا أمر لابد منه لاسيما وهو يتحدث في موضوعات الكتاب عن مقاصد القرآن الكريم ، وعن اثبات الوحى ، وعن رسالات الأنبياء ، ومعجزاتهم وعن شمولية الاسلام لمجالات الحياة ، ومحاسنه على غيره من الأديان ، فهذا شىء طبيعى أن يستشهد بالقرآن الكريم ، بل اعتمد عليه في الرد على الشبهات التى أثيرت حول الاسلام ودحض حجج الخصوم .

٢- السنة النبوية : تأتى بعد القرآن الكريم السنة الشريفة في الأهمية حيث استشهد المؤلف بطائفة من الأحاديث النبوية المروية في صحيح البخارى ومسلم في أكثر من ثلاثين موضعا (١) في الكتاب ، كما

---

(١) صحيح البخارى ومسلم مثلا : ص ٨ ، ٩٦، ١١٠، ١١١، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٦ ١١٧، ١٥٢، ١٥٣، ١٧٣، ١٨٢ وغيرها من الصفحات .

استشهد بطائفة من الأحاديث مروية في كتب السنن ومسند الامام أحمد وسيرة ابن اسحاق وغيرها من كتب الأحاديث .

٣- تفسير المنار: يعتبر تفسير المنار المرجع الرئيسى والأساس لغالبية مواضيع كتاب الوحى المحمدى ، لأن كتاب الوحى المحمدى جمع من شتات مواضيع طرقها الشيخ في تفسير المنار ، حيث تحدث فيه على سبيل المثال" لا الحصر عن مقاصد القرآن العشرة [١]، وهذه المقاصد هى في حقيقة أركان الدين الثلاثة، وبيان ماجهل البشر من أمور النبوة ورسالة الاسلام دين الفطرة السليمة ، والاصلاح الإنسانى الاجتماعى السياسى ...الخ ، تلك المقاصد التى أوردها المؤلف في كتاب الوحى المحمدى [٢] ، كما طرق المؤلف موضوعات شتى سبق أن أوردها في أجزاء مختلفة من تفسير المنار مثال لذلك نبوة محمد أوردها في عدد من الصفحات [٣] ، كما تحدث أيضا عن الوحى [٤] والنبوة في بنى اسرائيل وعن الصلب والفداء واعجاز القرآن الكريم [٥] ، بل قال في كتاب الوحى المحمدى [٦] ، أنى أحيل القارىء الى تفسير المنار في كل أجمال في موضوعات كتاب الوحى المحمدى.

بعد هذا الايجاز ، فان خلاصة القول أن السيد رشيد رضا قد طرق معظم موضوعات كتاب الوحى المحمدى من قبل في تفسير المنار حيث تناول الوحى والرسالة والنبوة ، وحقيقة إعجاز القرآن الكريم والايمان بالغيب ، كما دعا علماء النصارى ومفكريهم الى الاسلام تحت عنوان نصرانية الأفرنج.، ولماذا لايسلمون [٧] والأسباب العائقة لهم عن دخول الاسلام.

---

(١) تفسير المنار جـ١١ ص ٢٠٦-٢٨٨.
(٢) كتاب الوحى المحمدى ص ١٦٨-٣٣٨.
(٣) تفسير المنار جـ١١ ص ١٥٩، ١٩٥، ٢٣٩.
(٤) نفس المرجع جـ ٦ ص ٦٧-٧١، ٣٢٢، ٣٢، ٤٠.
(٥) نفس المرجع جـ ١ ص ١٩٠-٢١٥.
(٦) كتاب الوحى المحمدى ص ٢١.
(٧) تفسير المنار جـ ١٠ ص ٣٤٥.

٤- رسالة التوحيد: ان رسالة التوحيد للإمام محمد عبده ، قد اعتمد عليها المؤلف في بعض مواضيع كتابه ، فنجده قد نقل تعريف الوحى وحاجة البشر الى الرسالة عن الشيخ محمد عبده الذى أورده في رسالة التوحيد ، ونجد المؤلف قد أحال الذى سأله عن الشبهة التى عرضت له في وقوع الوحى الى ما أورده الشيخ محمد عبده في رسالته عن النبوة.(١)

٥- كما اعتمد الشيخ على بعض المراجع المعينة له في تاليفه كتابه مثل :- دلائل النبوه لأبى نعيم(٢) ، ودلائل النبوة للبيهقى، وإعجاز القرآن للبقلانى ، والاتقان في علوم القرآن للسيوطى .

٦- لقد نقل الشيخ في كتابه (الوحى المحمدى) بعض الأخبار والمقالات من بعض الجرائد اليومية والمجلات الأسبوعية في تدعيم كتاباته لبعض المواضيع التى أوردها في الكتاب واستشهد بهذه الأخبار والمقالات .(٣)

٧- مجلة المنار : لقد جمع الشيخ بعض مواضيع كتابه من مقالاته التى سبق أن نشرها في مجلة المنار ، فنجده قد تناول عدة مسائل بالنقد والتحليل ونشرت على شكل مقالات في مجلة المنار ، وتاريخ نشر هذه المقالات سابق لتأليف كتابه (الوحى المحمدى) حيث أن أول طبعة صدرت منه عام ١٣٥٢ هـ فنجده في مجلة المنار م٣٣(١٣٥٠ -١٣٥١هـ) ص ٣٣١ - ٣٣٢ قد كتب تحت عنوان اقامة الحجة على مثبتى الوحى المطلق وهذا العنوان موجود في كتابه الوحى المحمدى ص ٥٨، وفي م ٣٣(١٣٥٠-١٣٥١هـ) ورسالة الوحى المحمدى ص ٥٧٤-٥٧٥، وفي م٣٣(١٣٥١-١٣٥٢هـ)حاجة البشر الى الرسالة ص ٦٠٧-٦٠٨ وهذا العنوان موجود في كتاب الوحى المحمدى نفس العنوان ونفس الموضوع ص ٤٨ وفي م٣٣(١٩٣٣-١٩٣٤)عصمة الأنبياء ص ٦٠٩-٦١٤، وفي كتاب الوحى المحمدى يورد نفس الموضوع

---

(١) كتاب الوحى المحمدى ص ٤٤، ٨٨، ٩٤.

(٢) كتاب الوحى المحمدى ص ٨١، ١١٥، ١٤٥، ١٢٦، ١٥٨.

(٣) نفس المرجع ص ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٢٠٩، ٢١٨، ١٨٢.

ص ٥٠، كما نجده في م ٣٢(١٣٥٠-١٣٥١هـ) كتب فصل في تحقيق معنى الوحى ص ٣٧٢-٣٨٠ ، وهذا الموضوع نجده عنوان الفصل الأول من كتاب الوحى بل كتب عن رواج كتاب الوحى المحمدى في م ٣٣ ص ٦٠١، وكتب عن مزية الطبعة الثانية عن الطبعة الأولى من كتاب الوحى المحمدى في م ٣٣ ص ٦٠٢، ونشر مجموعة تقاريظ العلماء لكتاب الوحى المحمدى م٣٣ ص ٧٦٩-٧٩١ ، وبهذا تبين أن الشيخ قد جمع بعض مواضيع كتابه من شتات مقالاته التى سبق وأن نشرها في مجلة المنار.

ب- المصادر والمراجع غير العربية :

١- كتب العهد الجديد الأناجيل الأربعة :

انجيل متى، انجيل يوحنا ، أنجيل لوقا ، انجيل مرقس ، فنجد الشيخ رحمه الله قد استشهد بنصوص كثيرة من هذه الأناجيل المحرفة عندنا وذلك على عدم عصمة الأنبياء عند أهل الكتاب ورمى الأنبياء بالمعاصى والفواحش وعجائب المسيح، والصلب والفداء، وترجيح فضائل القرآن على فضائل الانجيل وغيرها من المواضيع التى أوردها في كتاب الوحى المحمدى (١) .

٢- كتب العهد القديم : سفر التكوين ، سفر العدد، سفر الخروج ، سفر التثنيه. فقد استشهد المؤلف رحمه الله بنصوص من كتب العهد القديم، التى تصف الله ورسله بما لايليق به ، فضلا عن تنزيهه وتقديسه، بينما نجد وصف الله في القرآن الكريم ، إن الله وصف نفسه بأوصاف ونزهها عن كل نقص تعارف عليه الناس .

---

(١) انجيل متى استشهد به المؤلف في الصفحات التالية من كتاب الوحى المحمدى ٥١، ٥٢، ٧٥، ٨٢، ١٨١، ١٨٣.
انجيل يوحنا استشهد به المؤلف في الصفحات التالية من كتاب الوحى المحمدى ٢٢، ٣٤، ٣٧، ٨٣.
انجيل لوقا استشهد به المؤلف في الصفحات التالية من كتاب الوحى المحمدى ٥١، ٥٢، ٧٥.
انجيل مرقس استشهد به المؤلف في الصفحات التالية من كتاب الوحى المحمدى ٥٢، ٧٧.

تعالى الله عمّا يقولون علوا كبيرا ، كما نجد أنهم في كتب العهد القديم وصفوا الأنبياء بأوصاف لاتليق بمقام النبوة والاصطفاء، وتدل هذه النعوت المشينة لأنبياء الله على أن عامل التحريف البشرى قد دخل الى هذه الكتب مما جعل الإنسان سليم الفطرة يشك في أن ذلك من كلام الله لما تحويه من تناقض وتضارب في كثير من القضايا ، فإن المؤلف أحيانا يحيل القارىء الى هذه الكتب للاطلاع على بعض الاستشهادات التى أوردها المؤلف .

٣- وقد ذكر الشيخ في كتابه (الوحى المحمدى) أسماء طائفة من الكتب غير العربية لعدد من المستشرقين منها كتاب(حياة محمد) للمستشرق درمنغام وكتاب (حضارة العرب) للمستشرق غوستاف لبون وكتاب(أضرار تعلم التوراة والانجيل) وكتاب(الاسلام خواطر وسوانح) وكتاب (الحياة الزوجية) وغيرها من الكتب التى استشهد بها على مواضيع طرقها في الكتاب أورد على شبهة أوردها .

المبحث الثالث

مكانة الكتاب في الأوساط العلمية

ويتضمن ثلاثة مطالب :-

المطلب الأول : تقاريظ الكتاب .

المطلب الثانى : عدد الطبعات للكتاب ، والاضافات بعد الطبعة الأولى .

المطلب الثالث : ترجمة الكتاب الى اللغات الأجنبية ورواجه .

المطلب الأول

تقاريظ الكتاب :

إن كل كتاب يؤلفه صاحبه ويخرجه للناس جديدا ، يتعرض له القراء والكتاب والمفكرون ، فيشيرون الى الكتاب ومباحثه ، بين مادح ومثنى وبين ناقد ومفند ، وفى الحقيقة ان كتاب (الوحى المحمدى) قد حظى بالعديد من التقاريظ ، من العلماء والكتاب والأدباء والمفكرين ، على اختلاف مذاهبهم وميولهم وانطباعاتهم العلمية والفكرية. فإن التقاريظ الملحقة بالكتاب بلغت واحد وثلاثون تقريظا في سبع وخمسين (١) صفحة بالاضافة الى عدد من التقاريظ منشورة في مجلة المنار (٢) ومنها هذه التقاريظ المنشورة في الكتاب ومنها مالم يذكر فيه ومنها تقاريظ لم تنشر ، أشار اليها المؤلف في كتاب (الوحى المحمدى) (٣) وهذه التقاريظ كلها ، ثناء وتمجيد للكتاب وصاحبه وان الملاحظات التى أشار اليها بعض العلماء والنقاد لاتعتبر شيئا اذا قورنت برواج الكتاب في الأوساط العلمية ، والثناء على محتوياته ومادته العلمية لاسيما وأن صاحب الكتاب (رشيد رضا) تحظى كتاباته بالاهتمام من قبل العلماء والأدباء والمفكرين، وذلك لطرقه المواضيع الحيوية (من دينية وسياسية ، واجتماعية ، وتربوية) يعالج فيها قضايا المجتمع المسلم ، ثم تنشر هذه المقالات في مجلة المنار التى كان يشرف عليها .

ونظرا لكثرة التقاريظ ، فاننى اختار خمسة من العلماء الذين قرظوا الكتاب ثم نورد تعريفا موجزا لكل واحد منهم ومقتطفا مما قاله عن الكتاب حين صدور الطبعة الأولى منه واطلعوا عليها .

---

(١) رشيد رضا ، الوحى المحمدى ، ص ٣٦٠-٤١٧.

(٢) مجلة المنار(م٣٣ ص ٧٦٩-٧٩١).

(٣) رشيد رضا، الوحى المحمدى، ص ٣٥٩. قال فيها الشيخ رشيد رضا، قد جاءنا من كتب الثناء والدعاء ورسائل التقريظ لهذا الكتاب مايفوق المعهود في تقريظ الكتب .

١- الشخصية الأولى من الشخصيات المختارة ، التى قرظت الكتاب :-

الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن (١٢٩٣-١٣٧٣هـ) (١) .

أما مقالته عن الكتاب (الوحى المحمدى) في خطابه الذى وجه الى السيد رشيد رضا قال (لقد اطلعنا على كتابكم " الوحى المحمدى " فسرنا اهتمامكم باخراجه للناس ، وقيامكم بما فرض الله من الدعوة الى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة ، فكان كتابكم من أبلغ القول في إظهار حجة الله القائمة على عباده) (٢) .

٢- الشخصية الثانية من الشخصيات المختارة : التى كتبت عن كتاب الوحى المحمدى :-

الشيخ مصطفي المراغى(١٢٩٨-١٣٦٤هـ) محمد بن مصطفى بن محمد بن عبد المنعم المراغى ، قال عنه صاحب الاعلام باحث مصرى ، عارف بالتفسير من دعاة التجديد والاصلاح ، تولى مشيخة الأزهر سنة ١٩٢٨م عاما،ثم أعيد سنة ١٩٣٥م فاستمر الى أن توفى بالاسكندرية ودفن بالقاهرة له تأليف منها بحث في ترجمة القرآن الكريم الى اللغات الأجنبية رسالة مطبوعة ، تفسيره المعروف باسم تفسير المراغى ونحو ذلك من البحوث والرسائل والكتب) (٣) .

---

(١) سبقت ترجمته : ص ٢٥

(٢) رشيد رضا ، كتاب الوحى المحمدى ٣٦٠-٣٦١.

(٣) الزركلى ، الاعلام ج ٧ ص ١٠٣.

أما تقريظه لكتاب الوحى المحمدى. قال في رسالته الموجهة الى السيد رشيد رضا (استطيع بعد أن فرغت من قراءة كتابكم (الوحى المحمدى) أن أقول أنكموفقتم لفتح جديد في الدعوة الى الدين الاسلامى القويم ، فقد عرضتم خلاصته من ينابيعه الصافية) (١) .

٣- الشخصية الثالثة المختارة التى قرظت الكتاب

الشيخ محمد بن عبد الله الخليلى (١٢٩٩-١٣٧٣هـ) هو محمد بن (٢) عبد الله بن سعيد بن خلفان الخليلى ، من أئمة الإباضية في عمان ولد في قرية (سمائل) وتفقه في شرقية عمان ، وانتخب للإمامة سنة ١٣٣٨ هـ واستمر الى أن توفى بـ (نزوى) عاصمة عمان ، كان المرجع الأعلى لبلاده في القضاء والادارة وسياسة الدولة يبرم الأحكام بعد أن ينظر فيها (مجلس الشورى) من رجاله ، قال في رسالته الموجهة الى السيد رشيد رضا فما يتعلق بكتاب الوحى المحمدى (أما مؤلفكم العظيم فهو في غنى عن التقريظ والمدح ، واعجابنا به لايحد، ولاشك أنه الحجة الدامغة والقول المبين ، لمن لايدين بهذا الدين القويم وفقكم اللهلخدمة الاسلام والمسلمين) (٣) .

٤- الشخصية الرابعة المختارة : الأستاذ والكاتب عبد العزيز سليم البشرى (١٣٠٣-١٣٦٢هـ) قال عنه صاحب الأعلام : عبدالعزيز البشرى أديب مصرى من الكتاب المترسلين ، مولده ووفاتهبالقاهرة - تعلم بالأزهر وولى القضاء الشرعى في بعض الأقاليم المصرية ، ثم عين مراقبا اداريا للمجمع اللغوى الى أن توفى ، له أسلوب وذوق فذ تفرد به بين الكتاب ، وله عدة مؤلفات ومقالات (٤) . قال عن كتاب

---

(١) رشيد رضا ، كتاب الوحى المحمدى ص ٣٦٢.

(٢) خير الدينالزركلى ، الاعلام ج ٦ ص ٢٤٦.

(٣) رشيد رضا ، الوحى المحمدى ص ٣٦١-٣٦٢.

(٤) الزركلى ، الاعلام ج٤ ص ١٨.

الوحى المحمدى(كتاب الوحى المحمدى) يرجع موضوعه أو موضوعاته في الجملة الى إثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وأنها خاتمة لرسالات الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وأن شريعته هى الشريعة الجامعة لكل مافيه صلاح العالم وحضارته ويسره وأمنه وسعادتهفي كل مكان والى غاية الزمان .. الى أن قال عن الكتاب (هو مالم يسبق لأحد بيانه)[1] .

٥- الشخصية الخامسة المختارة : الأمير شكيب أرسلان(١٢٨٦-١٣٦٦هـ)[2] .

أما تقريظه للكتاب (الوحى المحمدى) قال (إن كتاب الوحى المحمدى) الذي جاء به الاستاذ السيد رشيد رضا في هذه الأيام قد أتى عصره على قدره ، لأنه زمن صار يجب فيه التعليل حتى في الأمور التى هى معدودة الى اليوم من البديهيات ... الى أن قال كان لابد لعلماء المسلمين من أعداد الأسلحة العقلية اللازمة لمكافحة الشبهات فكتاب الاستاذ واف بهذا الغرض ولا يخطر في البال معنى من المعانى التى يقتنع بها القارىء بعلو مزايا الاسلام الا وقد أشار اليه)[3] .

وبهذا القدر من التقاريظ[4] نكتفى لعلنا قد بيّنا ما للكتاب من الأهداف العلمية في جميع المواضيع التى طرقها الشيخ محمد رشيد رضا في كتابه (الوحى المحمدى).

---

(١) رشيد رضا ، الوحى المحمدى ص٣٩٥-٣٩٨ ومجلة المنار م٣٣ ص ٧٧٥-٧٧٩.
(٢) سبقت ترجمته : ص ٢٥ .
(٣) رشيد رضا ،كتاب الوحى المحمدى ص ٤٠٦-٤٠٩.
(٤) رشيد رضا ،كتاب الوحى المحمدى ص ٣٦٠-٤١٧.

أما الملاحظات التى أشار اليها بعض العلماء والكتاب في رسائلهم الى الشيخ فهى قليلة كما أسلفنا ، ولكننى أذكرها لأهميتها بالنسبة لقيمة الكتاب العلمية .

أما الملاحظة الأولى : فى صفحة ٣٦٩من كتاب الوحى المحمدى ، نجد تحت عنوان كتاب الوحى المحمدى نقد وتحليل - نظرة عصرية في اعجاز القرآن قال فيه كاتبه (١) : (الكتاب كله أدلة لإثبات صحة الوحى المحمدى أو بحث علمى في المعجزات والدعوة الى الاسلام ... الى أن قال (وقد ذكر الأستاذ رشيد رضا أسباب الحجب بين الافرنج وحقيقة الاسلام وعددها واحدا واحدا ،ولكنه لم يذكر المستشرقين في فصل خاص ، ولم يذكر أسباب طعنهم في الاسلام، ولم يفرد في كتابه فصلا يأتى فيه على ذكرهم وأثرهم في مطاردة الاسلام في بلاده) .

أما الملاحظة الثانية : أشار اليها مقال نشر في جريدة الاستقلال البغدادية في يومى ٢، ٣ من شهر صفر عام ١٣٥٣ هـ بقلم الأستاذ الأصولى (الراوى) من مناهل العرفان .(مجهول) (٢) . قال إن كتاب (الوحى المحمدى) والحق يقال أحسن كتاب أخرج للناس في هذا الموضوع ، اذا لم نقل انه الكتاب الوحيد ، ولكننا يجب أن لاننكر أن الكتاب يحتاج الى شئ من التفصيل أو الزيادة في بعض المواضيع التى تطرق اليها المؤلف بصورة موجزة ، كموضوع مطابقة القرآن للنظريات العلمية الحديثة ، وما شاكل ذلك (٣) .١٠.هـ.

أما الملاحظة الثالثة : بقلم الأستاذ العلامة إبراهيم أطفيس الميزابى (٤) قال عن كتاب الوحى المحمدى (أجل كتاب في علوم القرآن ، معجزة من معجزات القرآن كتاب (الوحى المحمدى)..... الى أن قال لعلى أكون قد أديت واجبا اذا لاحظت للمؤلف الجليل أن يعيد النظر في مسألة الرقيق ، فان الاسلام جعلها

---

(١) رشيد رضا كتاب الوحى المحمدى ص ٣٦٩-٣٧١ ، نشر هذا المقال في جريدة الجامعة الاسلامية بيافا بقلم الدكتور. حسين الهراوى بمصر.

(٢) لم نعثر له على اسم ضمن التقاريظ المنشورة في مجلة المنار.

(٣) رشيد رضا. الوحى المحمدى ص ٣٧٧.

(٤) سبقت ترجمته ص ٣٣ ، مقالة في الوحى المحمدى ص ٣٧٨.

حكما مستمرا لما فيه من حكمة اجتماعية ، ولم يوجد وضعا لإبطال الرقيق بالتدريج السريع ، ولكن الرق يبطل اذا انتهت أسبابه ودخل كافة الشعوب في الهداية الربانية)١٠هـ . بذلك يشير الى استمرار حكم الرقيق مادام هناك كفر واسلام. وسوف نشير اليها أيضا في الفصل الرابع .

الملاحظة الرابعة والأخيرة : بقلم الطبيب والعالم العصرى الدكتور سعد عيد عرابى[1]: قال عن كتاب (الوحى المحمدى) ان السيد رشيد رضا (قد عرف النبوة وأبان الفوارق بين المعجزات والكرامات ، وشرح مقاصد القرآن المجيد شرحا دقيقا من دينية واجتماعية وسياسية ومالية واستأذن أن أذكرَّه بالقواعد الصحية وهى كثيرة)[2] ١٠هـ.

---

(١) لم أعثر له على ترجمة في كتاب الاعلام للزركلى ، ومعجم المؤلفين عمر كحاله ،وغيرها من كتب التراجم الخاصة بالبلدان .

(٢) رشيد رضا ، الوحى المحمدى ص ٣٨٩.

المطلـــــب الثانى

عدد طبعات كتاب الوحى المحمدى و الاضافات في تلك الطبعات :

إن كتاب الوحى المحمدى قد طبع تسع طبعات ، منها الأولى و الثانية و الثالثة أصدرها المؤلف في حياته ، وكان الفارق الزمنى بين هذه الطبعات قليل جدا اذا قيس بغيره من الكتب وذلك لجدة المواضيع التى طرقها المؤلف مما جعل الاقبال كثيرا على اقتناء الكتاب من الأوساط العلمية مما جعل المؤلف يعيد طباعته بعد صدور الطبعة الأولى بأشهر قلائل ، حيث صدرت الطبعة الأولى في ربيع الأول عام ١٣٥٢ هـ وكانت صغيرة الحجم بالنسبة للطبعة الثانية والثالثة وقد نفدت بعد صدورها في نفس العام ،حيث أصدر المؤلف الطبعة الثانية في آخر العام ، بعد أن ضمنها اضافات جديدة ، كما صدرت الطبعة الثالثة بعد عام من الطبعة الثانية ، لكنها أقل تغيير و اضافات من سابقتها ثم توالت الطبعات بعد ذلك حتى صدرت الطبعة التاسعة عام ١٣٩٩هـ .

وهنا نذكر هذه الطبعات باختصار :-

١- الطبعة الأولى :

قد أصدرها المؤلف في ربيع الأول[(١)] عام ١٣٥٢-١٩٣٣م حيث ذكر رحمه الله أنه أصدرها في موعد ذكرى المولد النبوى ، تيمنا بظهور نوره المشرق على الانسانية[(٢)] ، وكانت قليلة الصفحات وصغيرة الحجم بالنسبة للطبعة الثانية و الثالثة ، حيث لايتجاوز عدد صفحات الكتاب مئتان صفحة من المقاس المتوسط ٢٦ سم x ٢٣ سم . وقد نفدت هذه الطبعةخلال تسعة شهور من تاريخ صدورها ، وذلك لأهمية الكتاب و الاقبال عليه ، وحساسية المواضيع التى تناولها المؤلف بالنقد

---

(١) رشيد رضا. الوحى المحمدى ص ١ تصدير الطبعة الثانية .

(٢) رغم حرص المؤلف رحمه الله على محاربة البدع و التزام منهج السلف الصالح. الا أنه أشار الى بدعة المولد النبوى والتبرك بها. ومن المعلوم أن هذه البدعة لم يرد بها دليل من كتاب ولا من سنة ، ولم تثبت عن السلف الصالح ان أحدا فعلها.

والتحليل ،والايضاح وبيان الدليل .

٢- الطبعة الثانية :

أما الطبعة الثانية فقد أصدرها المؤلف بعد أن نفدت نسخ الطبعة الأولى في نفس العام ، حيث طبعت بمطبعة المنار في أول شهر ذى الحجة عام ١٣٥٢ هـ وقد اشتملت هذه الطبعة على زيادات وإضافات جديدة أكثر من نصف الطبعة الأولى . منها الفصل الأول[١] في الطبعة الثانية ، وعنوانه ، في تحقيق معنى الوحى ، والنبوة وحاجة البشر اليها وأصولها ، وعدم اغناء العقل والعلم الكسبى عنها .كما ضمن هذه الطبعة علاوى[٢] ، وتصدير ، ومجموعة من تقاريظ العلماء الذين اطلعوا على الطبعة الأولى ،بالاضافة الى فاتحة وتعليقات على الهامش لتوضيح بعض النقاط الموجودة في المتن، وهذه الطبعة أحدثت تعديلا جوهريا في بعض موضوعات الكتاب وإضافة مواضيع جديدة[٣].

٣- الطبعة الثالثة :

أما الطبعة الثالثة : فقد صدرت في ربيع الأول عام ١٣٥٤ هـ - ١٩٣٥م من مطبعة المنار ، وهى آخر طبعة تصدر في حياة المؤلف ، وقد حظيت كالتى قبلها ببعض العلاوى[٤] ، والزيادة[٥] والتعليقات في الهوامش وقد اختصر بعض التقاريظ[٦] التى نشرت في الطبعة الثانية كما جعل لهذه الطبعة تصديرا ، تحدث فيه عن مكانة الكتاب في الأوساط العلمية ورواجه .

---

(١) رشيد رضا ، الوحى المحمدى ، ص ٤٣، ٦٤ في الهامش .
(٢) رشيد رضا ، الوحى المحمدى ، ص ١٧.
(٣) فاتحة الطبعة الأولى، وفاتحة الطبعة الثانية منشورة بمجلة المنار م٣٣ ص ٣٣.
(٤) رشيد رضا ، الوحى المحمدى ، ص ٣٣٩ الطبعة التاسعة .
(٥) نفس المصدر ص ٢ ، ٢٤٢، ٤١٧.
(٦) نفس المصدر ص ٤١٧.

٤- الطبعة الرابعة :

صدرت هذه الطبعة عام ١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧م بعد وفاة المؤلف بحوالى ١٢ سنة تقريبا من مطبعة المنار [١] ، وكان مضموما اليها كتاب آخر للمؤلف هو كتاب نداء للجنس اللطيف ، مجموعان في مجلد واحد ، وقد وجدت نسخة أخرى مفصولة عن الكتاب المذكور ، ولكنها نفس الطبعة والاصدار.

٥- الطبعة السادسة : [٢]

صدرت هذه الطبعة عام ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠م وكان الناشر مكتبة القاهرة وطبعت في مطبعة شركة الطباعة الفنية المتحدة ، وكانت هذه الطبعة مجردة من التقاريظ ، وعدد صفحات الكتاب ٢٨٠ صفحة فقط.

٦- الطبعة الثامنة : [٣]

صدرت هذه الطبعة عام ١٣٩١ هـ - ١٩٧١م وكان الناشر المكتب الاسلامى ببيروت . وقد ضمنت التقاريظ الخاصة (بالكتاب الوحى المحدى) التى قد حذفت من الطبعة السادسة كما تحتوى على مقدمة بقلم الشيخ محمد بهجت البيطار. بالهامش بعض التعليقات لتوضيح بعض النقاط ، وهذه التعليقات ليست من تعليقات المؤلف ، ولم أعثر على صاحبها وأظن أنها من الناشر ، والله أعلم. قال المعلق في الهامش ص ١٨٣ معلقا على كلام الشيخ عندما وعد باضافة جزء ثانى للكتاب ، قال رحمه الله لقد كان الناس في حاجة الى هذا الجزء الثانى .

---

(١) الطبعة الأولى والطبعة الرابعة موجود منها نسختان بالمكتبة المركزية جامعة الملك سعود.

(٢)، (٣) موجودتان بالمكتبة المركزية ، جامعة الامام .

(٢) ، (٣) موجودتان بالمكتبة السعودية (الافتاء)

٧- الطبعة الخامسة ، والطبعة السابعة :

لم أعثر عليهما في المكتبات التالية :-

المكتبة المركزية جامعة الملك سعود ، المكتبة المركزية جامعة الامام ، مجمع الملز جامعة الامام ، مكتبة كلية الشريعة جامعة الامام ، مكتبة السعودية الافتاء.

٨- الطبعة التاسعة :

قد صدرت عام (١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م)

المكتب الاسلامى ، بيروت ، وهذه الطبعة التى استخدمت في البحث .

المطلب الثالث

ترجمة كتاب الوحى المحمدى :

حقيقة إن كتاب الوحى المحمدى قد لقى رواجا واقبالا من مختلف المؤسسات العلمية وطلاب العلم ، يكاد أن يكون ، هذا الاقبال فريد زمانه حينما خرجت طبعاته الأولى ، وذلك لما يحويه الكتاب من الموضوعات ذات الأهمية والحاسة التى طرقها المؤلف في الكتاب ، لاسيما وأن هذه الموضوعات ، أهم مرتكزات العقيدة لدى المسلم ، فعندما نستعرض تلك العناوين أو الموضوعات ، نجدها تشمل إثبات الوحى المحمدى ، إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، إعجاز القرآن الكريم ، عصمة الأنبياء ، المبادىء العامة التى جاء بها الاسلام لإصلاح حياة وآخرة البشرية ، فيما يتعلق بالمال، الحرب ، حقوق الإنسان بشكل عام ، وحقوق النساء بشكل خاص ،معاملة الرقيق وغيرها ، كما فند المؤلف فيه مزاعم المستشرقين والرد عليهم بالأدلة العقلية والنقلية والعلمية ، جعل الكتاب يحظى بإعجاب واهتمام في الأوساط العلمية المسلمة وكذلك لدى طائفة المستشرقين المنصفين والباحثين عن الحق الأمر الذى جعل جماعة من أهل العلم والخير يسهمون بشراء نسخ منه وتوزيعها على أهل العلم ، وطلابه ، والمؤسسات العلمية [1]، والبعض الآخر يسهمون بترجمته الى عدة لغات منها الأوردية ، والصينية ، والانجليزية كما ذكر ذلك المؤلف ، وأشار الى أنه استؤذن في ترجمته الى اللغة الفارسية [2] والتركية والأفغانية . ومن المعلوم أن هدف المؤلف من تاليف كتابه ، هو دعوة غير المسلمين الى الاسلام ونشره بين أممهم ، بعد أن يفهموا محاسنه ومقاصده واقناعهم به ، لكن ذلك لايحصل الا بعد ترجمة الكتاب الى لغات شرقية وغربية متعددة [3] ، وكان هذا الهدف قد دعا اليه المؤلف رحمه الله في تصدير الطبعة،

---

(١) كتاب الوحى المحمدى ص ١٤، ١٥، ٣٨١.

(٢) نفس المصدر ص ١٦، ٤٢، كلام المؤلف منشور بمجلة المنار م٣٣ ص٦٠١.

(٣) كتاب الوحى المحمدى ص ٣، ٤.

كما شاركه في الدعوة الى ترجمة الكتاب علماء آخرون، طالبوا[١] الحكومات والجمعيات المسلمة ومن لديه القدرة على ترجمته الى اللغات غير العربية من شرقية وغربية ، مما جعل بعض الدعاة المخلصين يبادرون بترجمته منذ صدور الطبعة الأولى، والثانية الى اللغة الأوردية ، الصينية ، حيث قام تلميذ الشيخ وهو الشيخ عبد الرزاق[٢] المليح أبادى مؤسس جريدة (هند الجديد) في مدينة كلكتا بالهند ، بترجمته الى اللغة الأوردية ، كما قام آخران بترجمته . الأول بدر الدين الصينى[٣] المدرس في دار العلوم الندوية في لكهنؤ (الهند) بترجمته الى اللغة الصينية . والثانى الشيخ محمد تقى الدين الهلالى[٤] بترجمته الى اللغة الصينية أيضا .

كما قام مدير المجلة الاسلامية بلندن(رفيو اسلامبك)[٥] باستئذان الشيخ في ترجمته الى اللغة الانجليزية الا أن المؤلف أشار الى أنه لم يترجمه كاملا[٦] ، بل ترجم أجزاء منه .

---

(١) التقاريظ الملحقة بالكتاب ص ٣٧٨، ٤٠٤، ٤٠٦ ومنشورة بمجلة المنار م٣٤ ص ٥٣-٦٧ ط . المنار (١٣٥٣ - ١٣٥٤هـ) .

(٢)، (٤)، (٥)، (٦) لم أحصل لهم على ترجمة في كتب التراجم التالية :

١- الاعلام : للزركلى . ٢- معجم المؤلف عمر كحالة .
٣- الموسوعة الحركية : فتحى يكن .
٤- الموسوعة الميسرة: وغيرها .

(٧) رشيد رضا : الوحى المحمدى ص ٤٢ .

الفصل الثاني

إثبات النبوة بشواهد القرآن والرد على منكريهـــا

المبحث الأول : الوحي وأنواعه . ويتضمن ثلاثة مطالب :-

المطلب الأول : معنى الوحي .

المطلب الثاني : القرآن يتفق مع الانجيل والتوراة في الأصول وفي المضمون في إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم .

المطلب الثالث : إتفاق الشرائع على إثبات النبوات .

المبحث الثاني : إعجاز القرآن ويشتمل على ثلاثة مطالب :-

المطلب الأول : إعجاز القرآن في أسلوبه وبلاغته .

المطلب الثاني : إعجاز القرآن العلمي .

المطلب الثالث : إعجاز القرآن الكوني .

المبحث الثالث : شبهات المنكرين لنبوة محمد صلى الله عليه وسلـــــم ، ومزاعمهم والرد عليها . ويشتمل على ثلاثة مطالب :-

المطلب الأول : شبهة منكرى الأخبار بالغيب .

المطلب الثاني : تصويرهم لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم .

المطلب الثالث : مزاعم درمنغام والرد عليها .

المبحث الأول

الوحـــــــــى وأنواعـــــه

ويشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : معنى الوحى .

المطلب الثاني : القرآن يتفق مع الانجيل والتوراة في الأصول وفي المضمون في إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم .

المطلب الثالث : إتفاق الشرائع على إثبات النبوات .

المطلـــب الأول

معنى الوحى ، أنواعه :

أ- معنى الوحى عند المسلمين ،قال تعالى" انّا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده "(١).

الوحى في اللغة : قال ابن منظور : اعلام في خفاء ، ولذلك صار الالهام يسمى وحيا (٢).

قال صاحب قاموس محيط المحيط : الوحى مصدر والمكتوب والرسالة وكل ما ألقيته الى غيرك ليعلمه كيف كان، ثم غلب الوحى في مايلقى الى الأنبياء من عند الله تعالى، وقيل الوحى اعلام في خفاء، وكل مادللت به من كلام أو كتابة أو اشارة أو رسالة فهو وحى (٣).

وقال في المعجم الوسيط (الوحى كل ما ألقيته الى غيرك ليعلمه (٤)

وقدأورد المؤلف اختصار القول في تعريف الوحى عند اللغويين عندما قال في معنى الوحى اللغوى (أنه الاعلام الخفى السريع الخاص بمن يوجه اليه بحيث يخفى على غيره) ، ثم طرق معناه في الشرع وقال(ووحى الله تعالى الى أنبيائه قد روعى فيه المعنيان الأصليان لهذه المادة ، وهما الخفاء والسرعة فهذا بمعنى المصدر ، ويطلق على متعلقه وهو ماوقع به الوحى ، أى : اسم المفعول ، وهو ما أنزله تعالى على أنبيائه وعرفهم به من أنباء الغيب

---

(١) سورة النساء آية ١٦٣.

(٢) محمد بن منظور الافريقى - مادة (وحى) وفيه أن الوحى بمعنى الاشارة والكتابة ، والرسالة ، والالهام والكلام الخفى ، وكل ما ألقيته الى غيرك ، لسان العرب جـ١٥ ص ٣٧٩ ، طباعة دار صادر، ونشر دار الفكر.

(٣) المعلم بطرس البستانى ، قاموس محيط المحيط ص ٩٦١ مطابع جواد للطباعة (١٩٧٧م) مكتبة لبنان .

(٤) المعجم الوسيط جـ٢ ص ١٠١٩ - الطبعة الثانية ، توزيع دار البيان للنشر بمكة المكرمة - طبع دار المعارف بمصر عام ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م، المجمع اللغوى مجموعة من العلماء .

والشرائع والحكم ...)[١] ثم استشهد بتعرف الشيخ محمد عبده للوحى شرعا ، الذى أورده في رسالة التوحيد[٢]. قال فيه (ويفرق بينه (يعنى الوحى) وبين الالهام بأنه وجدان تستيقنه النفس وتنساق الى مايطلب من غير شعور منها من أين أتى ، وهو أشبه بوجدان الجوع والعطش والحزن والسرور)[٣] اهـ.

يلاحظ في تعريف الشيخ محمد عبده للالهام الذى قال (بأن الالهام وجدان تستيقنه النفس).

أقول ان الفرق بين الوحى والالهام هو اليقين .فان الالهام في رأى هو وجدان تجده النفس من غير شعور بمصدره الحقيقى دون اليقين ،لأن اليقين من خصائص الوحى .

وقد عرف العلماء الوحى شرعا بعبارات متقاربة في المعنى ، لكن منهم من كان دقيقافي تعريفه ، ومن هؤلاء الشيخ مناع القطان ، قال في تعريفه للوحى (بأنه كلام الله المنزل على نبي من أنبيائه)[٤].

وقال الشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى (اما الوحى فمعناه في لسان الشرع أن يعلم الله تعالى من اصطفاه من عباده كل ما أراد اطلاعه عليه من ألوان الهداية والعلم ، ولكن بطريقة سرية خفية غير معتادة للبشر)[٥].

وخلاصة القول أن تعريف الوحى شرعا : هو القاء الله الكلام أو المعنى في نفس الرسول بخفاء وسرعة بواسطة أو بغير واسطة .

---

(١) رشيد رضا، الوحى المحمدى ، ص ٤٤ وتفسير المنار جـ٦ ص ٦٧-٦٨.

(٢) محمد عبده ، رسالة التوحيد ص ١٠٣ الطبعة الأولى دار احياء العلوم بيروت ١٣٩٦-١٩٧٦م.

(٣) رشيد رضا تفسير المنار جـ١ ص ٢٢٠، الوحى المحمدى ص ٤٥.

(٤) مناع القطان . مباحث في علوم القرآن ص ٣٣ الطبعة الرابعة ١٣٩٦هـ ١٩٧٦م مؤسسة الرسالة لبنان .

(٥) محمد عبد العظيم الزرقانى، مناهل العرفان في علوم القرآن جـ١ ص٥٦ الطبعة الثالثةدار احياء التراث العربى بيروت .

أما تعريف الوحى عند النصارى :-

في الفصل الثانى من كتاب الوحى المحمدى ، طرق المؤلف بابا مهما في كيفية إثبات الوحى وإقامة الحجة على مثبته ، في إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ثم بين ماهو الوحى الذى يؤمن به أهل الكتاب من اليهود والنصارى وهل يتفق الوحى في معناه ومفهومه لدى النصارى ، مع ماهو عند المسلمين ؟ في هذا الموضوع أتى رحمه الله بحقائق علمية ومسلمات عقلية(١) وأدلة نظرية خاطب بها مستقلى الفكر والباحثين عن الحقيقة من أهل الكتاب وأشار بالثناء على بعض المستشرقين الذين يعترفون بأن ماكان ثابت لأنبياء بنى اسرائيل كان ثابت لمحمد صلى الله عليه وسلم. ثم أورد تعريف الوحى عند النصارى حسب ماجاء في (قاموس الكتاب المقدس) وذكر في كتب العهد القديم . قال صاحب القاموس(٢) المقدس (تستعمل هذه اللفظة للدلالة على نبوة خاصة بمدينة أو شعب) .

وجاء في جزء ١٢ ص ١٠(هذا الوحى هو الرئيس) أى : أنه آية للشعب وعلى العموم يراد بالوحى عندهم الالهام وبناء على ماتقدم (ان الكتاب هو موحى به من الله) أى الهام لافرق بينه وبين حديث النفس وفي هذا تفسير للوحى يختلف اختلافا جوهريا عن حقيقة الوحى الذى أنزل الله به الكتب المقدسة جميعا. ثم قال صاحب القاموس اذ الوحى (هو حلول روح الله في روح الكتاب الملهمين لإطلاعهم على الحقائق الروحية والأخبار الغيبية) قال الشيخ رشيد رضا هذا تحكم عند النصارى ولا يعرفه ولا يعترف به أنبياء بنى اسرائيل ولا علماؤهم(٣). واذا كان الوحى عند علماء النصارى يحدث للأنبياء

---

(١) رشيد رضا ، تفسير المنار ، ج ١١ ص ١٤٦.

(٢) مؤلفه الدكتور جورج أدوارد بوست ، طبيب جراح ، أمريكى الأصل، مستعرب ولد في نيويورك ، وتعلم الطب في جامعتها ودرس اللاهوت ، ورحل الى سورية عام ١٢٨٠ هـ وسكن الشام طرابلس ، منصرا وطبيبا ، وتعلم العربية ،له عدة مؤلفات منها قاموس الكتاب المقدس طبع في المطبعة الأمريكية عام ١٨٩٤م. الزركلى الاعلام ج٢ ص ١٤٤.

(٣) رشيد رضا ، تفسير المنار ، ج ١١ ص ١٤٩.

يسمى الهام أو الوحى النفسى الذى يعتبرونه فائضا من استعداد النفس العالية أو من عقل النبى الباطنى ، أو بأن معلوماته وأفكاره وآماله ،هى التى ولدت على مخيلته السامية وانعكس اعتقاده على بصره فرأى الملك ماثلا له ، فوعى ماحدثه الملك به . ونقول هذه الأوهام والتخيلات والأباطيل التى يعدها علماء النصارى مصدر للوحى المحمدى وغيره من الأنبياء في تلقيهم الوحى ، ماهى الا تضليل قصد منه ابطال الوحى المحمدى ،وترويج الشبهات حوله ، والا فالواقع أن الوحى الذى أيّد الله به الأنبياء من لدن نوح الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم متماثل وظاهرته واحده عند الجميع ومصدره واحد. قال تعالى " إنا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده "(١) وقال تعالى " وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا ، أو من وراى حجاب أو يرسل رسولا فيوحى باذنه مايشاء انه عليم حكيم "(٢).

قال الشيخ محمد رشيد رضا في هذه المسألة (الخلاف بيننا وبين هؤلاء (يعنى النصارى) في كون الوحى الشرعى من خارج نفس النبى نازلا عليها من السماء كما نعتقد، لا من داخلها فائضا منها كما يظنون ، وفي وجود ملك روحانى مستقل نزل من عند الله)(٣) ، قال تعالى عن الوحى الذى أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم(وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين)(٤) . واننا لنجد مايبطل هذا الزعم الذى اعتقده النصارى في قضية الوحى المنزل على الأنبياء من نصوص الانجيل . ورد في انجيل برنانا في الفصل العاشر :" ولما بلغ يسوع ثلاثين سنة من العمر كما أخبرنى بذلك نفسه صعد الى جبل الزيتون مع أمه لجنى زيتونا"(٥).

---

(١) سورة النساء آية١٦٣.

(٢) سورة الشورى آية ٥١.

(٣) من كلام المؤلف تفسير المنار ج١١ ص١٤٦-١٤٧ وكتاب الوحى المحمدى ص ٤٥-٤٦.

(٤) سورة الشعراء آية ١٩٢-١٩٥.

(٥) عبد الوهاب النجار ،قصص الأنبياء ص ٣٨٨ الطبعة الثالثة دار احياء التراث العربى - بيروت .

" وبينما كان يصلى في الظهيرة وبلغ هذه الكلمات (يـــــارب برحمه) واذا بنور باهر قد أحاط به وجوق لايحصى من الملائكة كانوا يقولـــون (ليتمجد الله)"[١].

" فقدم له الملاك جبريل كتابا كأنه مرآة براقة "[٢].

" فنزل الى قلب يسوع الذى عرف به مافعل الله ومايريد الله حتـــى ان كل شيء كان عريانا ومكشوفا له "[٣].

" ولقد قال لى(صدّق يابرنابا) أنى أعرف كل نبى وكل نبوة ، وكل ما أقوله إنما قد جاء في ذلك الكتاب "[٤].

وحاشى أن يأتى عيسى عليه السلام ، وغيره من الأنبياء بالرسالات التى تتضمن الأخبار عن الله وعظمته وسلطانه وصفاته ، وعن حسابه وعقابه ، وثوابه من جنة ونار ، وعن كل أخبار الغيب الى عباده ، من مخيالاتهم وحديث نفوسهم، (سبحانك هذا بهتان عظيم)[٥]. ومما تجدر الاشارة اليه أن انجيل برنابا لايعترف به النصارى ، لما فيه من الأخبار عن نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وكذلك الأخبار عن حقيقة نبوة عيسى عليه السلام ، وأنه عبد الله ورسولـــه وليس ابن الله حسب مايعتقده النصارى اليوم ، من قضية التثليث الوثنيـــة ولا يعتمدون الا على الأناجيل المحرفة وخاصة الأربعة[٦] المشهورة هذا لايعنـــى

---

(١) من كلام المؤلف تفسير المنار جـ١١ ص١٤٦-١٤٧ وكتاب الوحى المحمدى ص ٤٥-٤٦.

(٢) عبد الوهاب النجار. قصص الأنبياء ص ٣٨٨ الطبعة الثالثة دار احياء التراث العربى - بيروت .

(٣) المرجع السابق . قصص الأنبياء ص ٣٨٨.

(٤)

(٥) سورة النور آية ١٦.

(٦) انجيل يوحنا، انجيل متى، انجيل لوقا ، انجيل مرقس .

أن انجيل برنابا سالم من التحريف ، وانما كان عامل التحريف فيه أقل من الأناجيل الأخرى. وفيه حقائق توافق القرآن الكريم ، فيما يتعلق بنبوة عيسى عليه السلام وغيره من الأنبياء ، وكان اعتقاد المسلمين فيهم الايمان بنبوتهم وبالكتب التى أنزلت عليهم من الله في الجملة ، وأن رسالة محمد ناسخة لتلك الرسالات السابقة ، لكن الاختلاف بين المسلمين وأهل الكتاب في كيفية تلقى الوحى فالمسلمون يعتقدون أنه كلام الله المنزل على أنبيائه بينما أهل الكتاب اعتقادهم في الوحى أنه حصل للأنبياء عن طريق الأحلام والرؤى المنامية والتخيلات المبهمة وان كانت الرؤى الصادقة في اعتقاد المسلمين مبدأ نبوة محمد[١] صلى الله عليه وسلم ، قبل الوحى التشريعى الذى ذكر القرآن أنواعه وكيفية تلقى الرسول صلى الله عليه وسلم له قال تعالى " وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراى حجاب أو يرسل رسولا فيوحى باذنه مايشاء انه علىّ حكيم "[٢]

اذن فمدلول الوحى عند أهل الكتاب هو الالهام وحديث النفس الفائض يأتى من ثمرة الكد والجهد أو أثرا من آثار الرياضة الروحية أو نتيجة للتفكير الطويل ، فلا ينشى في النفس يقينا كاملا[٣] وسبقت الاشارة الى حديث الشيخ .

لعلى بهذا الايجاز قد عرضت فكرة الوحى عند المسلمين أولا : ثم عند أهل الكتاب ثانيا ، وخاصة النصارى وبينت الفرق الجوهرى عندنا وعندهم في معنى كيفية تلقى النبى الوحى .

---

(١) قالت عائشة رضى الله عنها (كان أول مابدىء به الرسول صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصالحة في النوم ، فكان لايرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح . فتح البخارى ج ١ ص ٢٢ مكتبة الرياض الحديثة - البطحاء - شرح صحيح البخارى .

(٢) سورة الشورى آية ٥١.

(٣) الدكتور صبحى الصالح . مباحث في علوم القرآن ص ٢٦ ط ٦ (١٩٨٥م) دار العلم للملايين .

ب - أنواع الوحى :

أما أنواع الوحى فقد أشار اليها المؤلف حين عرف معنى الوحى في اللغة حيث قال (ومنه الالهام الغريزى ، كالوحى الى النحل ، والهام الخواطر بما يلقيه الله في روع الانسان السليم الفطرة ، كالوحى الى أم موسى ومنه فده ، وهو الوسوسة الشيطانية) ونزيد شيئا من التفصيل ، نقول ان الوحى أنواع شتى . منه مايكون مكالمة بين العبد وربه ، كما كلم الله موسى تكليما ،ومنه مايكون الهاما غريزيا كالوحي الى النحل قال تعالى" وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون "[1] .ومنه الاشارة السريعة على سبيل الرمز والايحاء كايحاء زكريا الى قومه فقال تعالى " فخرج على قومه من المحراب فأوحى اليهم أن سبحوا بكرة وعشيا "[2] ، ومنه مايلقيه الله الى ملائكته من أمر يفعلونه (اذ يوحى ربك الى الملائكة أنى معكم فثبتو الذين آمنوا)[3] ومنه وحى الله الى أنبيائه ، ومنه وسوسة الشيطان وتزيينه الشر في نفس الانسان قال تعالى " وإن الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم "[4] فتخرج من هذه الأنواع بثمرة القول وهى أن أنواع الوحى خمسة :-

١- مايلقيه الله الى أنبيائه .

٢- مايلقيه الله الى ملائكته .

٣- الالهام الفطرى .

٤- الالهام الغريزى للحيوان .

٥- وسوسة الشيطان . نعوذ بالله منها.

---

(١) سورة النحل آية ٦٨.

(٢) سورة مريم آية ١١.

(٣) سورة الأنفال آية ١٢.

(٤) سورة الأنعام آية ١٢١.

وبعد أن استعرضنا معنى الوحى في اللغة والشرع ،وبينا أنواعه مع مراعاتنا للإيجاز في كل مسألة .

وبعد هذا الاختصار نقول خلاصة الموضوع ، في رأيى أن عقيدة المسلمين في الوحى الذى أنزله الله على أنبيائه ، تقوم على أساسيات ومرتكزات تتعلق بصفة الوحى أو كيفية تلقيه ، جاءت في كتاب الله قال تعالى " وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراى حجاب أو يرسل رسولا فيوحى باذنه مايشاء انه عليّ حكيم "(١).

فهذه الأنواع أو الصفات الثلاث للوحى : هى الطريقة التى يتلقى بها الأنبياء الوحى التشرعى أما الأنواع الأخرى فانه لايبنى عليها أمر تشرعى وهناك لدى المسلمين ، فوارق بين مفهوم الوحى الالهى والوحى النفسى أو مايسميه النصارى بالالهام . هذه الفوارق .

أولا : ان الوحى حدث مفاجيء طرأ على حياة من اصطفاه الله للرسالة والنبوة ، دون سابق توقع أو تطلع .

ثانيا : الوحى حدث إلزامى ، أى اذا نزل الوحى على النبى صلى الله عليه وسلم ، تعتريه أعراض الزامية كاحمرار لوجه وتتابع الانفاس حتى أنه في اليوم قارس البرد يخرج العرق منه ، وقد انتابه الخوف من ملك الوحى في جولاته الأولى حتى خشى على نفسه الهلاك.

ثالثا : ان الوحى مستقل عن ذات النبى صلى الله عليه وسلم وارادته وكل هذه الأمور ثابته للرسول صلى الله عليه وسلم بنص القرآن الكريم مثل قوله تعالى" اقرأ باسم ربك الذى خلق "(٢) وقوله " يا أيها المدثر ، قم فأنذر"(٣)، ومنه أخباره عن ذلك بقوله تعالى

---

(١) سورة الشورى آية ٥١.

(٢) سورة العلق آية ١.

(٣) سورة المدثر آية١، ٢.

" وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم "[١] وكما أنها ثابته بالسنة النبوية الصحيحة ، منها قوله صلى الله عليه وسلم (اقرأ قلت ما أنا بقارىء)[٢]

رابعا : ان حصول الوحى جاء وفق الاصطفاء الالهى. أى لايمكن أنيكتسبه عن طريق المجاهدة والرياضة والتقوى وغيرها،لأنه منحة من الله يختص به من يشاء من عباده" قال تعالى " الله أعلم حيث يجعل رسالته "[٣] وهذه الأسس ثابتةلنبينا محمد صلى الله عليه وسلم . وتبين انالوحى من الله وأنه بشر .

وهذه المرتكزات والأساسيات لاتتوفر في الوحى النفسى الذى يؤمن به النصارى وينسبونهللأنبياء وهذه الفوارق بين الوحى الالهى والوحى النفسى تبين أن الرسول صلى الله عليه وسلم لادخل له في الوحى فلا يصوغه بلفظه ، ولا يلقيه بكلامه ، وانما يلقى اليه الخطاب القاء ، فهو مخاطب لامتكلم ،حاك مايسمعه ، لامعبر عن شيء يجول في نفسه . قال تعالى" قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ،ولا أعلم الغيب ، ولا أقول لكم انى ملك ان اتبع الا مايوحى الىّ "[٤] وبهذا الإيجاز نختم هذا المطلب .

---

(١) سورة النمل آية ٦.

(٢) صحيح البخارى جا ص٣.

(٣) سورة الأنعام آية ١٢٤.

(٤) سورة الأنعام آية ٥٠.

المطلب الثانى

القرآن يتفق مع الانجيل والتوراة في الأصول والمضمون في اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم :

من المعلوم أن مبادئ الاسلام وأساسياته وأركانه تستمد أصولها من القرآن الكريم الذى أنزله الله على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بواسطة ملك الوحى جبريل عليه السلام ، وهذه الدعائم والمقومات التى يجد فيها المسلم نظام حياته وصلاح أموره في الدنيا والآخرة ، بل أن هذا الدين هو دستور الأمة التى تلتف حوله وتهتدى بنوره وتسيّر حياتها وفق تشريعاته وموقف أهل الكتاب منذ مبعث النبى صلى الله عليه وسلم ، موقف مضطرب ويتسم بالعداء وغمط الحق والحقيقة التى لامراء فيها، فإنهم حين يجدون في بعض آيات القرآن مالايرضون عنه يقولون أنه من عمل(محمد) أو أنه تلقاه من بعض الرهبان وهذه المطاعن والمفتريات والشبه والاتهامات على القرآن وكيفية تلقيه قصدوا منها أن يشككوا المسلمين في صحته ، وفي إعجازه وفي صدوره عن الله سبحانه ، وقالوا أنمحمدا سار بقرآنه في الطريق الذى يتفق مع تقديره وتدبيره للخطط التى أعدها ،وعمل لها حسابا في فترة طويلة من شبابه قضاها في الرياضة النفسية والخلوة والاعتزال عن الناس على أنهم حين يجدون في القرآن ، مايرضون عنه ليقيم لهم حجة أو يتأولون منه شبهة يتمسكون فيه ويجعلونه مستندا للأمر الذى يعنيهم ، مثال ذلك قوله تعالى (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده)(٢) فيقولون أن القرآن يأمر النبى العربى أيقتدى بهدى الأنبياء من ذرية إبراهيم الذين آتاهم الله الكتاب والحكم والنبوة وقد تحقق هدى ذلك خاصة في التوراة والانجيل على يد موسى وعيسى "(٣)

وهذا موقف منافي للحق والحقيقة والانصاف ، لأن القرآن كيان واحد

---

(١) سورة الأنعام آية ٩٠.

(٢) مجموعة من العلماء، مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والاسلامية جـ١ ص ٣٨ ط ١ مكتبه التربية العربى لدول الخليج - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

أو أن يقبل كله أو يرفض كله ، وأن هذا الموقف المتحامل من جانب أهل الكتاب ضد النبى صلى الله عليه وسلم ورسالته التى هى الاسلام الذى هو دين الله ، ودين رسله من لدن نوح الى محمد صلى الله عليه وسلم ، وهذا ليس معناه أن القرآن الكريم جاء بشىء يخالف فيه الاساسيات التى جاء بها الانجيل والتوراة ، قبل التحريف بل اننا نجد الكتب السماوية تتفق[1] على أساسيات هى أصول الرسالات ومضمونها فالكتب السماوية السابقة للقرآن جاءت بالتوحيد وأفراد الله بالعبادة كما جاء ذلك في القرآن مفصلا ، كما اتفقت على أن فيه معاد ، وبعث وحساب ،وعقاب يلقاه الإنسان في الآخرة وإثبات النبوات للأنبياء والرسل ،وهذه الكتب السماوية شرائع من عند الله .

ولنستعرض هذه الأصول بشىء من التفصيل :-

أولا : التوحيد : روى جماعة من أكابر علماء الاسلام[2]: أن الشرائع كلها ، اتفقت على إثبات التوحيد لله تعالى. فالتوحيد هو دين الله للعالم كله أوله ، وآخره ، وسابقه ، ولاحقه ومن خالف ذلك جعل لله شريكا وعبد الأصنام فوجود الله ووحدانيته هو الاساس عند جميع الرسل وأنزلت به الكتب ، قال تعالى " إنما الهكم الله الذى لا اله الا هو وسع كل شىء علما"[3].

وتوحيد الله وافراده بالعبادة جاء بكثرة في القرآن الكريم وذلك لعظم شأن التوحيد وعبادة الله وحده دون سواه جل وعلا وانما نكتفى بذكر الشاهد، أما ورود ذلك عن الرسول فكثير ، ومنه ماحكاه القرآن الكريم ، عنه قال تعالى(قل انّى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين)[4].

أما ورود التوحيد وافراد الله بوحدانيته والعبادة في الانجيل فكثير أيضا ، منها ماورد في انجيل برنابا الفصل الثالث والثلاثون[5]: اجابة

---

(١) اذ استثنينا عقيدة التثليث التى أدخلها هنالك النصارى في كتاب الله .

(٢) محمد بن علي الشوكانى، ارشاد الثقات الى اتفاق الشرائع على التوحيد، المعاد ، النبوات ص ٥ ط ١ (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م) دار الكتب العلمية .
الصابونى ، النبوة والأنبياء ص ٢٩-٣٧ .

(٣) سورة طه آية ٩٨ .

(٤) سورة الزمر آية ١١.

(٥) عبد الوهاب النجار. قصص الأنبياء ص ٣٩٥.

على سؤال أحد الفرنسيين ، يامعلم أية وصية أعظم في الناموس (٣٧) فقال له يسوع تحب الرب الهك من قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك(٣٨) كما ورد في إنجيل متى«إن أخطأ اليك أخوك فاذهب وعاتبه فيما بينك وبينه وحده ، فان سمع منك ربحت أخاك ، وان لم يسمع منك ، فخذ من بعد أيضا واحدا أو اثنين لكى تقوم كل كلمة على فم شاهدين أو ثلاثة تثبت كل كلمة ولم يسمع منهم فقل للبيعة ، وأن لم تسمع أيضا من البيعة فليكن عندك كوثنى وعشار)[١].

أما حقيقة ذلك التوحيد الذى حكاه الله عن عيسى عليه السلام في القرآن الكريم منه قوله تعالى (ماقلت لهم الا ما أمرتنى به أن أعبدوا الله ربى وربكم)[٢]،هذا الأمر قاله عيسى عليه السلام عندما غلا النصارى فيه وعبدوه من دون الله وانحرفت عن نهج الرسالة التى جاء بها عليه السلام (وما أمروا الا ليعبدوا الله الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون)[٣]

أما الشاهد من التوراة فنذكر منه ، ماجاء في الفصل العشرين من سفر التثنيه" أنا الله ربك الذى أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية ، لايكون لك معبود آخر من دونى ،لاتصنع لك منحوتا ولا شبيها لما في السماء من العلو وما في الأرض مثلا وماتحت الأرض ، لاتسجد لهم وتعبدها لانى الله ربك القادر الغيور)[٤]، ذكر الشوكانى[٥] أنه جاء في الفصل الثالث والعشرين من كتاب يوشع بن نون مالفظه (ايالك معبوداتهم لاتذكروا ولاتحلفوا ولا تعبدوهم ،ولا تسجدوا لهم ، بل الله ربكم وبه تتمسكون كما فعلتم الى هذا اليوم) .

---

(١) الشوكانى ارشاد الثقات الى إتفاق الشرائع ، ص ٨ .
(٢) سورة المائدة آية ١١٧.
(٣) سورة التوبة آية ٣١.
(٤) الشوكانى ، ارشاد الثقات ص ٦.
(٥) نفس المصدر ص ٦.

أما الدليل من القرآن على توحيد الله ، فسور بكاملها مثل الشعراء وسورة طه وسورة القصص وغيرها تقص علينا مواقف الرسول والأنبياء مع أممهم ودعوتهم الى التوحيد مثل نبوة موسى عليه السلام وماحصل له مع فرعون وطريقة دعوته لفرعون للاعتراف بالله ومحاورته مع قومه وغيرها مما ورد في الآيات الكثيرة التى أخبرت عن الأنبياء من قبل موسى ومن بعده من أنبياء بنى اسرائيل وغيرهم ، ولكن نورد شاهدا واحدا عما حكاه عن موسى عندما سأله فرعون (قال فمن ربكما ياموسى ، قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى)[1] وقال تعالى(أننى أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى)[2].

أما ماورد في ذكر المعاد وذكر الجنة والنار واليوم الآخر:

أولا : نذكر الشواهد من القرآن باختصار وكما هو معلوم فهي كثيرة جدا فقد ورد ذكر الايمان باليوم الآخر والجنةوالنار ، والحساب ، والعقاب ، وجزاء الأعمال، في كثير من الآيات ، بل نجد أنالايمان باليوم الآخر من أركانالإيمان الستة التى وردت في السنة النبوية وقد قرنه الرب جل وعلا بالإيمان به في بعض الآيات القرآنية ، منها قولهتعالى (لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله)[3] ، وقوله تعالى (قاتلوا الذين لايؤمنون بالله واليوم الآخر)[4] وغيرها من الآيات .

أما الانجيل فقد ورد ذكر النار والقبر والجزاء والجنة مما يستوجب الإيمان باليوم الآخر. ففى انجيل متى الفصلالخامس (من قال لأخيه ياأحمق فقد وجبت عليه نار جهنم وجاء في الفصل العاشر منه (لاتخافوا ممن يقتل الجسد ولايستطيع أن يقتل النفس ، خافوا ممن يقدر أن يهلك النفس والجسد

---

(١) سورة طه آية ٤٩.

(٢) نفس السورة آية ١٤.

(٣) سورة المجادلة آية ٢٢.

(٤) سورة التوبة آية ٢٩ ، ورد ذكر الايمان مقرونا باليوم الآخر في سور وآيات كثيرة منهما سورة البقرة آية ١٧٧، ٢٣٢ ، ٢٦٤ وسورة التوبة آية ٤٤، ٤٥ آية ١٨.

جميعا في جهنم) وفي انجيل لوقا في الفصل الثالث والعشرين أن المسيح قال للمصلوب الذى آمن به (انك تكون معى في الفردوس) وورد ذكر الحساب والعقاب والثواب والجنة والنار في كثير من الأناجيل.

أما التوراة فقد ورد ذكر الجنة في سفر التكوين الاصحاح الثانى ولفظه (فغرس الله جنانا في عدن شرقيا وابقا) وكما وقع التصريح بالجنة فقد وقع التصريح بالنار ولفظها في التوراة (شول واشي) قال علماء اليهود ومعنى اللفظتينجهنم وجاء في كتاب النبى أشيعا مالفظه (يقوم الموات ويستيقظ الذين في القبور) وجاء في زبور داود في المزمور السادس منه :" يارب وفج نفس وخلصنى من أجل رحمتك ، لأنه ليس في الموتى من ينكر ولا في الجحيم من يعترف لك) (١) .

---

(١) ملاحظة : هذه النصوص منقولة من كتاب الشوكانى - ارشاد الثقات وكتاب محمد في الكتاب المقدس ، البروفسور عبد الاحد داود.

المطلب الثالث

إتفاق الشرائع على إثبات النبوات :

ومنها نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من المعروف والثابت بالكتب السماوية المنزلة من عند الله ، أن الأنبياء عليهم السلام على كثرة عددهم واختلاف أزمانهم ،وتباين أنسابهم ،قد اتفقوا جميعا على الدعوة الى الله عز وجل وعبادته وحده ، وصار كل منهم يقر ويعترف بنبوة من تقدمه ، وبصحة ماجاء به ، واذا خالفه في تحليل بعض ماحرمه الله على لسان الأول أوتحريم ما أحله الله له ولأمته ، فهو مقر بأن الحكم الأول تحليلا أو تحريما ، هو حق وهو حكم الله الذى تعبد به أهل تلك الملة السابقة واختاره لهم كما اختار للملة اللاحقة مايخالفه والكل من عند الله ، وحي منزل فالرسالات السماوية كلها ذات هدف واحد ، هو توجيه الانسان الى طريق السعادة والكمال والخير والصلاح والفلاح والحق ، قال تعالى(شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا اليك ، وماوصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولاتتفرقوا فيه)[1].

وبعد هذه المقدمة البسيطة نطرق أهم عناصر الموضوع :

أولا : يجب الإيمان بالأنبياء والرسل اجمالا وبدون تخصيص البعض دون البعض الآخر وذلك من ثبتت له النبوة والرسالة منهم ، ذلك أصل من أصول الدين ، من أخل به كفر ، قال تعالى (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله)[2].

إذ يلزم كل مكلف أنيعتقد أن الله سبحانه وتعالى أرسل رسلا مبشرين بثوابه منذرين بعقابه قاموا بتبليغ ما أمروا به على خير وجه

---

(١) سورة الشورى آية ١٣.

(٢) سورة البقرة آية ٢٨٥.

وأن يعتقد أن تصديقهم واجب ،وأن مناصرتهم فريضة ،وأن الاقتداء بهم لازم وأن هذا هو طريق النجاة من غضب الله وعذابه ،كما يؤمن بأنهم مؤيدون من عند الله تعالى بالمعجزات الدالة على صدقهم كما يجب الايمان بهم تفصيلا خاصة الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم وكان عددهم خمسة وعشرين[١] . قال تعالى عنهم (منهم من قصصنا عليك ، ومنهم من لم نقصص عليك)[٢].

ثانيا : النبوة والرسالة لايمكن اكتسابها ،وقد حصلت للأنبياء والمرسلين بدون تطلع والنبوة والرسالة لايمكن لأحد أن يكتسب احداهما عن طريق المجاهدة والرياضة النفسية والتقوى وغيرهما من الأعمال الكسبيه وإنما هما منحة من الله يختص بهما من يشاء من عباده ويختاره لها، فهما اذن من شأن الله وحده لادخل للخلق فيهما بأى وجه من الوجوه ، قال تعالى(الله أعلم حيث يجعل رسالته)[٣]، وقال تعالى (الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس ان الله سميع بصير)[٤].

ثالثا :هدف النبوة والرسالة ،أن الله اذا أراد ايصال علم أو حكم أو أمر ونهى أو ارشاد وغيره الى عباده ، كان عن طريق الوحى الى الأنبياء والرسل يوحى اليهم مايشاء قال تعالى (إنا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده)[٥]. وذلك لقصور العقل البشرى الذى لايكفى للتفريق بين الخير والشر ،بل لايستطيع الإنسان بواسطة عقله معرفة حقيقة الأمور الغيبية العظيمة التى عرفها عن طريق الوحى وعن طريق الشرع ، كالإيمان بالله تعالى

---

(١) ورد ذكر ١٨ نبيا في سورة الأنعام آية٨٣، ٨٤، ٨٤، ٨٦.

(٢) سورة غافر آية ٧٨.

(٣) سورة الأنعام آية ١٢٤.

(٤) سورة الحج آية ٧٥.

(٥) سورة النساء آية ١٦٣.

وصفاته العليا وعبادته والإيمان بالملائكة وبالبعث والحساب وغيرها ، لذلك بعث الأنبياء وأرسل الرسل لتعليم الناس وابلاغهم هذه الأهداف ،وفي مقدمتها الدعوة الى توحيد الله وعبادته ، وهى المهمة الرئيسية لجميع الأنبياء والرسل . قال تعالى(وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون)[١] وقال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ان عبدوا الله واجتنبوا الطاغوت)[٢].

فهذه الآيات وغيرها من الآيات الكثيرة تدل دلالة واضحة على وحدة الهدف لدى جميع الرسل وهى الدعوة الى عبادة الله وأفراده بالعبادة دون سواه ، بالاضافة الى تبليغ أوامره ونواهيه الى البشر ، ولقد أخبرنا القرآن الكريم حكايةعنهم أن الأنبياء والرسل دعوا قومهم الى عبادة الله وحده، منهم نوح ،وهود ،وصالح ، وشعيب ، دعوا قومهم بعبارة واحدة كما جاء ذلك في القرآن كل منهم قال(ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره)[٣].

رابعا : الأنبياء والرسل بعضهم يصدق بعض ، أن هذا الأصل قد أكده القرآن الكريم حكاية عن الأنبياء والرسل في كثير من الآيات ، بل نجد أن الله أمر النبى صلى الله عليه وسلم بأن يدعو الى اتباع ملة ابراهيم والتصديق بالرسل وبما أنزل عليهم من الكتب ويدعو الى ذلك المجادلين من أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، بقولهتعالى(قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الىإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون)[٤] قال سيد قطب رحمه الله (تلك الوحدة الكبرى بين الرسالات جميعا وبين الرسل وهى قاعدة التصور الاسلام)[٥]

---

(١) سورة الأنبياء آية ٢٥.

(٢) سورة النحل آية ٣٦.

(٣) سورة الاعراف آية ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥.

(٤) سورة البقرة آية ١٣٦.

(٥) سيد قطب ، في ظلال القرآن جـ١ ص ١١٨ ، دار الشروق (١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م)

قال السيد رشيد رضا عند تفسير الآية (أى لاتكن دعوتكم الى شيء خاص بكم يفصل بينكم وبين سائر أهل الأديان السماوية ،بل أنظروا الى جهة الجمع والاتفاق وادعوا الى أصل الدين وروحه الذى لاخلاف فيه ولانزاع وهو التسليم بنبوة جميع الأنبياء والمرسلين مع الاسلام لرب العالمين)[١].

وقال الامام محمد بن على الشوكانى: قد اشتملت التوراة على حكاية حال الأنبياء من لدن آدم الى بعثة موسى ،وفيها التصريح بتصديق بعضهم بعضا ،ولم يقع من أحد منهم الانكار لنبوة أحد ممن تقدمه) بم قال (وكثيرا ماكان يقع التبشير من السابق منهم باللاحق ، كما هو مصرح به في التوراة من تبشير موسى بيوشع بن نون ، كما هو مصرح به في الزبور من تبشير داود بعيسى)[٢] قال الامام ابن تيمية رحمه الله ورد في التوراة (سأقيم لبنى اسرائيل من اخوتهم نبياً مثلك ، اجعل كلامى على فمه كلكم يسمعون)[٣].... ثم قال اليهود يقولون إنه يوشع والنصارى يقولون إنه المسيح ، وبعض المسلمين أنه محمد صلى الله عليه وسلم ، ومنهم من قال هذا اسم جنس وهو عام في كل نبى يأتى بعده أنبياء لئلا يكذبوه كما فعلت اليهود)... ثم قال هذا أقرب الى الصواب ، وهذا القول يدخل فيه المسيح ومحمد صلى الله عليه وسلم ..... ثم قال (فإن المقصود أمرهم تصديق الأنبياء وطاعتهم)[٤].

خامسا : ذكر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والانجيل .

أ- جاء التبشير بمبعث محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة حيث فيها (قال الله سبحانه لإبراهيم وقد سمعت قولك في اسماعيل وها أنا مبارك فيه ،وأثمره ،وأكثره بماذ ماذ)[٥]. بماذ ماذ هو اسم محمد بالعبرانية وهذا صريح في الاخبار بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم

---

(١) تفسير المنار جـ١ ص ٤٨٢.

(٢) ارشاد الثقات ص ٢٦.

(٣) سفر التثنية الاصحاح ١٧ آية ١٩

(٤) ابن تيمية - كتاب النبوات ص ٢٣٦ - دار الكتب العلمية ببيروت (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م).

(٥) التوراة الفصل ١٧ السفر الأول .

كما وردت نصوص أخرى لفظها (بالله الذى انجلى نوره من طور سينا وأشرق نوره من جبل سيعير ، ولوح به من جبل فاران) [١] معنى هذا النص : قال العلماء أن معنى انجلى نور الله سبحانه من طور سينا : هوانزاله التوراة على موسى بطور سيناء ، ومعنى اشراقه من جبل (سيعير) انزاله الانجيل على المسيح سيعير أرض الخليل منها قرية الناصرة ومعنى لوح به من جبل فاران انزاله القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم ، هذه اشارة موجزة عن نبوة محمد كما جاءت في كتب التوراة ، وأن النصوص التى تبين ذلك كثيرة لايتسع المقام لذكرها .

ب . أما البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم في الأناجيل فقد وردت نصوص تشير بمجيء (مسيا) [٢] آخر غير المسيح وقال فريق من العلماء أن هذا ال (مسيا) الآخر هو محمد بن عبد الله . ومن الأناجيل التى جاءت بالبشارات بنبي بعد عيسى عليه السلام ، أنجيل يوحنا [٣] .....

(أن البار قليط روح الحق الذى يرسله الله هو يعلم كل شيء)

وفي موضع آخر ،ورد نص (اذا جاء البار قليط الذى أرسله الله روح الحق الذى هو يشهد لى ، ماقلت لكم هذا حتى اذا كان يؤمنون به ولا يشكون فيه) وقد تكرر ذكر (البار قليط) في الانجيل وأنذر به المسيح وبشر به قومه في غير موضع منه وقد اختلفوا في المراد (فالبار قليط) في لغتهم على أقوال . ذهب الأكثر من النصارى على أنه المخلص وقالوا هو مشتق من (الفاروق) أو من (فارق) قالوا ومعنى ليط كلمة تزاد كما يقال رجل هو ، وحجر هو ،وعالم هو ،وقد تضمنت الأناجيل البشارات بنبى يأتى من بعد المسيح يخلص تلك الأمة مما هم فيه ،ويوبخهم على الخطيئة ،ويتكلم بما يسمع ويخبرهم بكل مايأتى . قال تعالى في القرآن الكريم حكاية عن عيسى عليه السلام

---

(١) سفر التثنيه الفصل الثالث والثلاثون الجملة الثانية .

(٢) مسيا .. كلمة أرامية بمعنى رسول .

(٣) أنجيل يوحنا الفصل الخامس عشر . ملاحظة : هذه النصوص منقولة عن كتاب البروفسور عبد الاحد داود، محمد في الكتاب المقدس ط ١ (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م) رئاسة المحاكم الشرعية بدولة قطر .

(وإذ قال عيسى بن مريم يابنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعد اسمه أحمد)[١].

سادسا : مايقوله المفكرون والمنصفون من علماء الغرب عن محمد صلى الله عليه وسلم الذين اطلعوا على سيرته وعرفوا عظمته وكرم خلقه وسلوكه .

يقول المستشرق غوستاف لبون : (واذا ماقيست قيمة الرجال بجليل أعمالهم كان محمد من أعظم من عرفهم التاريخ)[٢]. ويقول العلامة بارتلى سنت هيلر : (كان محمد أكثر عرب زمانه ذكاء وأشدهم تدينا وأعظم رأفة ونال محمد سلطانه الكبير بفضل تفوقه عليهم وبعد دينه الذى دعا الناس الى اعتقاده من جزيل النعم على جميع الشعوب التى اعتنقته)[٣]، وبعد هذه الاشارة الى بعض الشواهد والأدلة القاطعة على إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في الكتب السماوية (التوارة والانجيل) والتى في اعتقاد المسلمين على أنها منسوخة بالقرآن الكريم بعد أن دخلها التحريف الإنسانى حيث يجد فيها الإنسان من الغرائب والعجائب والمصائب مالا يصدق العقل ، وذلك من وصف الرب جل وعلا بالعجز عندما صارع إبراهيم وعدم العلم مما لايليق بذاته جل وعلا ، كما نسبوا الى الأنبياء والرسل المعاصى والوقوع في الفواحش الأمر الذى يتنافى مع رسالتهم وعصمتهم ومكانتهم ، بل يجد الإنسان العاقل في بعض نصوص هذه الكتب من الخرافات والتخيلات والأوهام والضلالات التى أخذت من العبارات الوثنية ،وألصقت بنصوص هذه الكتب - مثل قضية التثليث عند النصارى وبالمقابل نجد أن القرآن عندما ،أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم جاء يقول الحق والحقيقة مثل ضوء النهار فيما يتعلق بالأنبياء والرسالات السابقة وأخبار الغيب والمستقبل ، وصدق الأنبياء السابقين ، وكذب الاباطيل التى نسبت اليهم كماجاء بالحقائق العلمية والكونية النابعة التى لاتناقض

---

(١) سورة الصف آية ٦.

(٢) غوستاف لبون حضارة العرب ص ١١٦ ط ٣ من الترجمة العربية (١٩٥٦م).

(٣) الدكتور عرفان عبد المجيد ، المستشرقون والاسلام ص ٩ - المكتب الاسلامى .

مع العقل والنقل الصحيح ، ودعا الناس الى دين واحد هو خاتم الأديان والرسالات قال تعالى(يا أيها الناس إني رسول الله اليكم جميعا)[١] ،وقال تعالى (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لايعلمون)[٢] فاذا كان علماء الغرب ومفكروهم عميت أبصارهم وطمست بصيرتهم بسبب الحنق والحقد والعداوة التى سببتها الغايات غير النزيهة من اعتناق الاسلام والاعتراف بالحق الأبلج الذى جاء به ، أو على الأقل الانصاف فيما يوجهونه الى الاسلام ونبيه الكريم ، واننا نتساءل ونقول فما هى مستندات هؤلاء في دينهم الذى يتشبثون به ؟ ويأخذون بقشوره المحرفه ، وتارة يتجردون منه ولايلتزمون نصوصه ومبادئه التى في اعتقادهم أن مصدرها الاحلام والرؤيا المنامية والتخيلات المبهمة وكلها تقع للأنبياء وغيرهم[٣]، كان الأجدر بهم أن يتبعوا الهدى ودين الحق التى صحت مصادره متصلة بالسند الصحيح الذى لا مراء فيه ومؤيد بالمعجزات الباهرة التى تحدى بها عباقرة العرب المشركين الذين عاصروا بعث الرسول صلى الله عليه وسلم أم أنها جاهلية الانسان التى يتخبط فيها بدون ضوابط دينيه ، يتصرف وفق هواه ، وما يمليه عليه مزاجه الناقص ، وفي الختام شتان بين دين ثابت المصادر ومحفوظ النصوص وبين دين خليط من (اليهودية والنصرانية المحرفتين ومالحقهما من تأثيرات من الوثنية وماشابها من تحريفات الفلاسفة وتعديلاتهم في النصوص التى أدت في النهاية الى ظهور العلمانية ، التى انشقت منها الشوعية والرأسمالية ، والقائمتان على ظلم الإنسان للإنسان ، وانكار حق الخالق ومحاربة الأديان .

---

(١) سورة الاعراف آية ١٥٨.

(٢) سورة الاحقاف آية ٢٩.

(٣) مقتبس من كلام الشيخ رشيد رضا ، تفسير المنار ج١١ ص ١٥٠ ، كتاب الوحى المحمدى ص ٦٤.

المبحث الثاني

إعجاز القرآن

ويشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : إعجاز القرآن في أسلوبه وبلاغته .

المطلب الثاني : إعجاز القرآن العلمي .

المطلب الثالث : إعجاز القرآن الكوني .

المطلب الأول

إعجاز القرآن في أسلوبه وبلاغته :

إن هذا الكون الفسيح علويه بما فيه من نجوم وكواكب واجرام سماوية وسفلية المملوء بمخلوقات اللة النباتية والمائية والحيوانية والجمادات التى تحتوى على الجبال الشامخة والأودية العظيمة والصحارى الواسعة كل هذه المخلوقات تتضاءل في نظرة المخلوق الضعيف (الانسان) الجحود الكفار وذلك لما خلق الله فيه من خصائص ، منها العقل وقوة التفكير ، ولكن هذه المخلوقات الكونية لم تكن مقنعة لهذا الانسان ودليلا له على معرفة خالقه ومن رحمة الله به ، أن مده بشيء من الوحى ليقوده الى معرفة خالقه والى سلوك معالم الهدى ليعيش في هذه الحياة على بينة وبصيرة ليعرف دوره في هذا الكون ومصيره بعد انتهائه . ولذلك بعث الله له الرسل وأنزل عليهم الكتب وأيدهم بالمعجزات الباهرة التى لاسبيل للعقل في معارضتها، كمعجزة اليد والعصا لموسى ، وابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى باذن الله لعيسى وكان محمد صلى الله عليه وسلم قد ايده الله بكثير من المعجزات ، ومن ضمن تلك المعجزات المعجزة العقلية التى تحاج العقل البشرى وتتحداه الى الأبد وهو القرآن الكريم ، وذلك بعلومه ومعارفه وأخباره الماضية والمستقبلة وحري بنا أن نلتمس مايدور حول هذه المعجزة من حيث :-

معنى الإعجاز في اللغة فالإعجاز[1] مصدر أعجز ، ومنه اشتقت كلمة معجزة، وهى اسم الفعال والإعجاز إثبات العجز ، والعجز لغة الضعف وأصله التأخير عن الشيء وهو ضد القدرة .

أما معنى الإعجاز في الاصطلاح : فقد عرّفه طائفة من العلماء[2] :بانه أمر خارق للعادة ، مقرون بالتحدى سالم من المعارضة قال الشيخ مناع القطان[3]

---

(١) ابن منظور ،لسان العرب ج ٥ ص ٣٦٩-٣٧١.

(٢) نعيم الحمصى ، فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة النبوية ،وحتى عصرنا الحاضر ص ٧ ط ٢ (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م) مؤسسة الرسالة .

(٣) مناع القطان : مباحث في علوم القرآن ، ص ٢٥٨-٢٥٩ ط ٣ - مؤسسة الرسالة .

(المراد بالإعجاز هنا : اظهار صدق النبى صلى الله عليه وسلم في دعوى الرسالة بإظهار عجز العرب عن معارضته في معجزته الخالدة - وهى القرآن - وعجز الأجيال بعدهم) ثم قال (والمعجزة : أمر خارق للعادة مقرون بالتحدى سالم المعارضة) وبعد ان استعرضنا الإعجاز في اللغة وفي الاصطلاح . وقبل أن أتحدث عن إعجاز القرآن في أسلوبه وبلاغته ، نقول بأن قضية إعجاز القرآن الكريم قد طرقها جمع من العلماء فى القديم وفي العصر الحديث ، وتناول كل واحد منهم ، خاصية من خصائص الإعجاز أو ظاهرة من مظاهره ، ومن بين هؤلاء الشيخ رشيد رضا الذي تحدث عن الإعجاز القرآنى وعن بعض وجوهه الإعجازية وقد عقد فصل في تفسير المنار[1] لتحقيق ذلك ، كما أورد تلك المواضيع في كتاب "الوحى المحمدى"[2] ، وذلك عندما تحدث عما أحدثه الإعجاز القرآنى في نفوس المشركين ، وافحامهم بالحجة والبراهين وما أحدثه في نفوس المؤمنين من جانب آخر من الهداية والاستقامة وترك كل ماهو من الجاهلية التى حرمها الاسلام.

أما إعجاز القرآن في الأسلوب[3] : فان القرآن الكريم له تأثير عجيب على سامعيه في أسلوبه ومعانيه في الأنفس وتحريك المشاعر لدى المؤمنين عندما تفيض الأعين بالدمع حين سماعه ، فيسارعون اليه مذعنين منقادين لتعاليمه ،وعندما يسمعه الذين كفروا واستكبروا فيقولون (إنّ هذا الا سحر مبين)[4] (إنْ هذا الا سحر يؤثر)[5] أو يقولون (لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون)[6] فيقرون بالإعجاز الغالب لهم : قال مصطفى صادق الرافعى وقد استيقن بلغاء العرب كل ذلك فاستيأسوا من حق المعارضة ، اذ وجدوا من القرآن مايغمر القوة ويحيل الطبع ويخذل النفس مصادمة لاحيلة ولا خدعة)[7] . فهذا الأسلوب القرآنى الفريد والنظم العجيب الذى ليس يماثله أى كلام البشر المتعارف عليه في كل

---

(١) تفسير المنار ج ١ ص ١٩٧-٢٠٨.

(٢) الوحى المحمدى ص ١٤٢-٦١٢.

(٣) الأسلوب .. الطريق والفن من القول .

(٤) سورة الصافات آية ١٥.

(٥) سورة المدثر آية ٢٤.

(٦) سورة فصلت آية ٢٦.

(٧) مصطفي صادق الرافعى - إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص ١٨٦ ط ٩، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م) دار الكتاب العربى - بيروت .

العصور الماضية والحاضرة ولن يأتوا بمثله في المستقبل ، بل ان الله سبحانه وتعالى تحدى به الثقلين الإنس والجن قال تعالى(قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا)(١)

قال الشيخ رشيد رضا في إعجاز القرآن في الأسلوب (وذلك لاشتماله على النظم الغريب ، والوزن العجيب ، والأسلوب المخالف لما استنبط البلغاء من كلام العرب في مطالعه ، وفواصله ومقاطعه)(٢) .

ويقول سيد قطب رحمه الله عن هذا الموضوع (إنالأسلوب القرآني له أداء وطابع بارز في القدرة على استحضار المشاهد والتعبير المواجه ، كما لو كان المشهد حاضرا بطريقة غير معهودة على الاطلاق في كلام البشر .... الى أن قال(إن النص الواحد يحوى مدلولات متنوعة ومتناسقة في النص وأن كل مدلول منها يستوفي حظه من البيان والوضوح دون اضطراب أو اختلاط ، وأن النص الواحد يستشهد به على مجالات شتى ، وكأنه جعل لكل مجال منها على حده)(٣) . ونقول باختصار شديد إن أساليب القرآن البديعة وصياغته لألفاظ آياته وسوره وتعدد معانيها التى خاطب بها جميع الناس على مختلف مستوياتهم وأزمانهم وأماكنهم بقوالب مختلفة ، عن المعهود من كلام الناس بل متجددة مهما كان الموضوع بأساليب تمتاز بجمال الايقاع في الأسماع ، والاتساق في المعنى مع مايحويه من تأثيرات نفسية ووجدانية داخل الإنسان تنعكس على جوارح وتصرفات معتنقه ، حتى صار بعض الصحابة كأنه قرآن يمشى ، بل يجد منه السامع اتساع الدلالة والشمول في معانى الكلمات والتعبير المتزن الفريد الذى يعجز الإنسان عن صياغة مثله وذلك لما فيه من اتساع المعنى وإيجاز العبارة ووضوح الدلالة وشمول المضمون. مثال ذلك قوله تعالى(إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى، وأنك لاتظمأ فيها ولا تضحى)(٤) ، كما نجد أن أسلوب القرآن السهل والميسر في حفظه

---

(١) سورة الاسراء آية ٨٨.

(٢) تفسير المنار - ج ١ ص ١٩٧-٢٠٨.

(٣) سيد قطب في ظلال القرآن ج٣ ص ١٧٨٧.

(٤) سورة طه آية ١١٨-١١٩.

أيسر من النثر وغيره كما أن القارىء لايشعر بالملل حين يتلو الآية أو الآيات مهما أكثر من ذلك أو كرر ، كما نجد أيضا تصويره للأمور الماضية والمستقبله في مظهر الأمر المحسوس المشاهد، كما لو كان القارىء أو السامع معايش هذه القضية أو رآها في حياته [١].

بلاغة القرآن :

البلاغة :حسن البيان وقوة التأثير . وعند علماء البلاغة مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته [٢]، وقد عرفها الشيخ رشيد رحمه الله : قال البلاغة في الكلام (هى أن يبلغ المتكلم مايريد من نفس السامع باصابة موضع الاقناع من العقل ، والوجدان من النفس) [٣]. ثم تحدث الشيخ رشيد رضا بعد ذلك في تفسير المنار عن أسلوب القرآن وبلاغته كما أسلفنا وتأثيره في نفوس القارئين والسامعين وقال عن بلاغته : هى التى تقاصرت عنها بلاغة سائر البلغاء قبله وفي عصر تنزيله وفيما بعده لم يختلف أحد من أهل البيان في هذا . وقد تعرض لمسألة تحدى القرآن للمشركين حين نزوله وقال إن الأخبار التى تحداهم بها نوعان .

الأول : التحدى بأنباء الغيب الماضية ، وهى تشمل ناحيتين قصص الرسل مع أقوامهم وأخبار التكوين كخلق السموات والأرض والإنسان والجان .

الثانى : التحدى بأنباء الغيب المستقبله ، وهى قسمان : وعد الله بنصر رسوله والمؤمنين وخذلان الكافرين ، وأخبار القيامة والحساب . ثم فند تلك المزاعم [٤] في القديم والحديث ورد عليها من نصوص القرآن والسنة النبويةوالحوادث التاريخية وقال إن إعجاز القرآن ببلاغته ليس الذين يدركونه علماء المناطقة ، بل العلماء الأدباء المتذوقون

---

(١) ملاحظة أسلوب القرآن علم واسع الأفق ويحتاج الى كتاب أو اكثر من كتاب ولذلك لم نتحدث عن أنواع الأسلوب القرآنى - مثل الأساليب الخبريه والانشائية وأنواع المجاز ...الخ .

(٢) المعجم الوسيط ص ٧٠.

(٣) تفسير المنار جا ص ٢٠٢-٢٠٣.

(٤) تفسير المنار جا ص ٢٢٥-٢٢٨.

للبيان وأن من إعجازه سلامته من الاختلاف واخباره عن الغيب وبما يحويه من العلوم العصرية والدينية والتشريعية والأحكام الموافقة لكل زمان ومكان فإنه يعتبر معجزة بعجز الزمان عن ابطال شيء منه وضرب الأمثلة الكثيرة[1] لذلك . وقال ان اشتمال القرآن الكريم على تحقيق كثير من المسائل العلمية والتاريخية التى لم تكن معروفة في عصر نزوله تعد معجزة ، كما ذكر أن القرآن دليل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وأن التحدى بالقرآن للمعارضين وعجزهم عن الاتيان بمثله برهن على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم . وكان للشيخ رحمه الله رأى في ترتيب السور التى وردت فيها آيات التحدى مخالفا بذلك جمهور المفسرين الذين يرون أن التحدى جاء بالتدرج من القرآن كله الى سورة واحدة منه . أى من الكل الى الجزء)[2] وكان ملخص رأيه كالآتى سورة الاسراء فيها ذكر للقرآن كله ، ولم يكن في نظره فيها تحدى، سورة يونس وكان التحدى بسورة ، سورة هود وكان التحدى بعشر سور،سورة الطور وكان التحدى بجملة القرآن ، سورة البقرة وكان التحدى بسورة واحدة[3].

ويعلل ذلك الترتيب بأن مشركى مكة لم يجدوا بعد شبهة السحر الا أن النبى افتراه جملته فتحداهم بمثله بالاجمال ، وتحداهم بسورة ممثله في جملة مزاياه من نظمه وأسلوبه ، وبلاغته وعلومه ، وتأثيره ، وهدايته وسلطانه الالهى على الأرواح والعقول فعجزوا . وبقيت لهم شبهة وهى في قصص ذكر أنها من أنباء الغيب أوحاه الله اليه ، فزعموا أنه إفك افتراه واعانه عليه قوم آخرون ، وأنه أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه ، وهذه شبهة ، موجهة الى قصه المتفرقة في سور كثيرة ، لابد من دحضها وإعجازهم عن الاتيان بسورة

---

(١) تفسير المنار جا ص ٢١٠-٢١٥.

(٢) نفس المصدر ج ١ ص ٢٢-٢٣.

(٣) الآيات التى ورد فيها التحدى حسب ترتيب الشيخ رشيد رضا ،آية ٨٨، ٣٨، ١٣، ٣٤، ٢٤ من سورة الاسراء ، ويونس وهود ، والطور، والبقرة .

واحدة مثله في بلاغتها التى حصروا الإعجاز فيها فتحداهم بعشر سور مثلـــــه مفتريات أى مثل هذه القصص التى زعموا أنها أساطير الأولين . ويقـــــول ان التحدى بنوع القرآن لا بمقداره وحينئذ يستوى الكل والبعض ، والسورة ولايلزم ترتيب وإنما هو مقتض الحال التى يكون عليها المخاطبون ونوع مايقولون.١٠هـ والحقيقة ان القرآن كله معجزة القليل منه والكثير. وأن اشتمال القـــــرآن الكريم على أصول العقيدة التى تمثل الشهادتين وأركان الايمان ، وجميـــــع أخبار الغيب من بعث ، وعقاب وحساب ، وثواب ، وميزان وسراط ، وعذاب قبـــــر وأخبار عن الرسل والأمم الماضية وأخبار المستقبل ، وكذلك شموليته لأصـــــول العبادة ، الصلاةوالزكاة ، والصيام والحج والاذكار والدعاء وغيرها منالفضائل والآداب الواجبة والمندوبة ، ومايقابلها من الرذائل والأعمال المحرمـــــــة والمكروهة ، وكذلك اشتماله على أصول التشريع والمعاملات والجهاد والأمـــــر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وغيرها من أصول الدين وفروعه جاء كل ذلـــــك مجمل وفصل في سور من القرآن طويلة ، وقصيرة في غاية الدقة والانسجـــــام والترابط في صياغة اللفظ واستقامة أسلوب فيالعبارةوبلاغة في التعبير وشموله في مدلول المعنى لايرى فيه خلل ، ولا اختلاف ولا تناقض ولا تعارض ،في ســـــوره وآياته ، وجمله ، وكلماته يعد في حد ذاته معجزة للإنس والجن معا. قـــــال تعالى (لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا)(١) حيث جاءت هذه الأصول ومافيها من تعريفـــــات وتفصيلات في نسق بديع عجيب ممزوج في سوره الطويلة والقصيرة في ترتيب دقيق ونظام محكم يفوق مقدور العقل البشرى الذى لايمكن أن يأتى بمثله مهما أوتـى من علم وقدرة في البلاغة والتعبير وصياغة الألفاظ . كما أن المجهودالبشرى وتفكيره العقلي عجز أن يأتى بكتاب في الحجم والكمال والشمولية لنظـــــام الحياة يماثل القرآن الكريم . قال الشيخ رشيد رضا (فمن كان يؤمن بـــــأن للعالم ربا حيا حكيما رحيما مريدا فاعلا مختارا ، فلا مندوحة له ولا منـــاص

---

(١) الوحى المحمدى ، ص ١٤٢.

عن الإيمان بأن هذا القرآن وحي من لدنه عز وجل أنزله على خاتم أنبيائه المرسلين رحمة بهم ليهتدوا به الى تكملة فِطَرُوهم وتزكية أنفسهم واصلاح مجتمعهم من المفاسد التى كانت عامة للجميع فيكون اتباع محمد فرضا الهيا لازما عاما)[1] . قال تعالى (قل يا أيها الناس إنى رسول الله اليكم جميعا الذى له ملك السموات والأرض لا اله الا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته ، واتبعوه لعلكم تهتدون)[2] وفي ختام هذا المطلب نقول إن القرآن الكريم جاء جامعا لأصول العقائد ، والعبادات والتشريع ، واضح المقاصد وسامى الأهداف ، مرتبة هذه المبادىء والتعليمات في تنظيم بديع دقيق مع أسلوب متسق في البلاغة والفصاحة . تحدى الله به الإنس والجن منذ مبعث محمد صلى الله عليه وسلم والى أن تقوم الساعة لايستطيع ولن يستطيع أحد أن يأتى بمثله قال تعالى(قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا)[3] .

---

(١) الوحى المحمدى ص ١٣٨.

(٢) سورة الاعراف آية ١٥٧.

(٣) سورة الاسراء آية ٨٨.

المطلب الثاني

إعجاز القرآن العلمي :

إن مايشاع من معارضة العلم للاسلام والقرآن ، فهو بلا شك خطة موضوعة من القوى الملحدة في العالم ، لزرع الشك في الدين الاسلامى خصوصا بعد أن فشلوا في النيل من عقائد المسلمين ونقول : للمعارضين ، كيف تفترون على القرآن أنه يعارض العلم ، وأول آية نزلت تدعو الإنسان وتحثه على العلم والتعلم والقراءة التى هى اليوم وسيلة العصر في الوصول الى المعرفة وجمع مادتها ، وأهم مقومات البحث العلمى ، إذ يقول الحق تبارك وتعالى (اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم)(١). ولاشك أن الله سبحانه قد برهن على صحة القرآن ، وأنه تنزيل من رب العالمين وتحدى المشركين أن يأتوا بمثله ، وذلك أبلغ وأمضى في افحامهم وقطع طريق محاجتهم ، فإنهم لايستطيعون دفع وانكار عجزهم عن تلك الحقيقة الواقعة أمامهم ، وخاصة إعجاز القرآن العلمى . حيث أخبرهم بحقائق علمية كثيرة أتى بها الوحى على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تكن معروفة لدى البشر في تلك الحقبة من الزمن ، منها ماتحقق في حينه ومنها ماتحقق فيما بعد مثل انتشار الاسلام وفتح بلاد فارس والروم ، وغلب الروم على فارس فيما بعد ومنها المعجزات العلمية التى سبق اليها القرآن الحقائق العلمية التى اكتشفت حديثا ولم تعرف الا في العصور الحديثة ،ومنها ماهو مجهول حتى الآن وذلك لعدم قدرة العقل في هذا الزمن على اكتشافها ، ولكن القرآن أخبر بها وعلى الإنسان الايمان بتلك المعجزات ، على أنها وحى من الله تعالى وأن الرسول صلى الله عليه وسلم مرسل من عند الله وماجاء به فهو حق لاريب فيه ، من الآيات البينات مما عجزت عقول البشر عن ادراكه - مثل الاخبار عن الملائكة والجن والروح ، وكثير من أخبار الغيب . مما لم يكشفه العلماء في العصر الحديث ، وأصبح حقيقة علمية ثابتة لدى الإنسان ، ومعجزة أخبرالمصطفي عنها عند تلقيه الوحى وهو الأمى الذى لايقرأ ولا يكتب وبعد هذه المقدمة البسيطة

---

(١) سورة العلق آية ٤.

التى تشير الى بعض معجزات القرآن العلمية التى تثبت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وإعجاز القرآن العلمى ، قد طرقه الشيخ محمد رشيد رضا في تفسير المنار، تحت عنوان إعجاز القرآن بتحقيق مسائل كانت مجهولة للبشر قال (انكشف للباحثين والمحققين من طبيعة الكون وتاريخ البشر وسنن الله في الخلق وهذه مرتبة فوق ماذكرناه في الوجه السادس من عدم نقض تقدم العلوم لشيء مما فيه)(١) ، ثم أورد قوله تعالى(وأرسلنا الرياح لواقح)(٢) قال كانوا يقولون فيه أنه تشبيه لتأثير الرياح الباردة في السحاب بما يكون سببا لنزول المطر بتلقيح ذكور الحيوان لإناثه ، ولما اهتدى علماء أوروبا الى هذا زعموا أنه مما لم يسبقوا اليه من العلم . ولكن بعض المطلعين على القرآن منهم من صرح بسبق العرب اليه قال مستر(أجنيرى) المستشرق الذى كان استاذا للغة العربية في مدرسة اكسفورد في القرن الماضى أن أصحاب الإبل قد عرفوا أن الريح تلقح الأشجار والثمار قبل أن يعلمها أهل أوروبا بثلاثة عشر قرنا)١.هـ

ثم قال الشيخ رشيد(نعم ان أهل النخل من العرب كانوا يعرفون التلقيح)(٣) يعنى النخل . ثم أورد قوله تعالى(من كل شيء خلقنا زوجين)(٤) وقوله ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين) ، ثم قال وهذه السنة الالهية في النبات أصل لسنة التلقيح المذكور آنفا ، فان المراد بها أن الرياح تنقل مادة اللقاح من الذكر الى الانثى ، ثم ذكر آية عامة على هذه المسألة في جميع أصناف النبات ، وهى قوله تعالى(سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبتالأرض ومن أنفسهم ومما لايعلمون)(٥) ، وقد تحدث الشيخ رشيد رضا رحمه الله عن بعض أنواع الإعجاز العلمي والكونى والبلاغى ، وما

---

(١) تفسير المنار جا ص ٢١٠-٢١١.
(٢) سورة الحجر آية ٢٢.
(٣) سورة الذاريات آية ٣٩.
(٤) سورة الرعد آية ٣ .
(٥) سورة يس آية ٣٦.

أحدثه من تأثير في نفوس المشركين والمؤمنين ، وأخباره عن عالم الغيب في مواضع من كتابه (الوحى المحمدى)(١) ، قال تعالى(والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل شىء موزون)(٢) ان هذه الآية بديعة من بدائع القرآن ومعجزة من معجزات العلم وحكمة باهرة وعجيبة ظاهرة يتجلى فيها نظام هذا الكون ، لأن الوزن والميزان وحساب المقادير في كل شىء وهذا الكون من أخص أوصافه في كتاب الله تعالى ، وزن الكواكب في سيرها وفي أضوائها ووزن العناصر في هذه الوجود بمقادير مناسبة بعضها لبعض (وخلق كل شىء فقدره تقديرا)(٣) .

واذا كان الشيخ قد تحدث عن مواضيع الإعجاز بشىء من البيان والاشارة فان الحديث عن الإعجاز العلمى في القرآن يحتاج الى مصنّف مستقل أو مصنفات يسهم فيها كثير من العلماء بجهودهم وأفكارهم ، في مختلف ميادين العلوم العصرية يتحدثون عن الكليات والجزئيات العلمية التى وردت في القرآن الكريم، ومابين ذلك من أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وكذلك يوضحون ما اكتشف من الحقائق العلمية حديثا والتى سبق أن القرآن أخبر بها ، وما أوتى الانسان من العلم الا قليلا. قال تعالى(وقل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا)(٤) وقال تعالى (ولو أن مافي الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر مانفدت كلمات الله)(٥) في هذه الآيات بيان لسعة علم الله ، وان الإنسان المخلوق محدود المعرفة بالرغم من تقدم العلم في هذا العصر وظهور كثير من المكتشفات والمخترعات والنظريات وأن آيات القرآن تحث الإنسان الى المزيد من البحث والتأمل والادراك لكثير من الحقائق بغية ترسيخ إيمانه بخالقه والقيام بما أوجبه عليه من تكاليف ، قال الشيخ محمد متولى الشعراوى(٦) وهو يتحدث عن الإعجاز العلمى في القرآن عندما

---

(١) الوحى المحمدى ص ١٤٢، ١٦٢، ١٦٦، ٢٠٥، ٢٠٧، ٢٢١، ٣٥٥.

(٢) سورة الحجر آية ١٩.

(٣) سورة الفرقان آية ٣.

(٤) سورة الكهف آية ١١٠.

(٥) سورة لقمان آية ٢٧.

(٦) محمد متولى الشعراوى - معجزة القرآن - ص ٣٥ ، مطابع المختار الاسلامي دار السلام للنشر والتوزيع ط (١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م).

تطرق الى قول الرب جل وعلا(ومايعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين)[1] قال عن ذكر الذرة في القرآن وماهو أصغر من الذرة،ويتساءل . هل من كتاب أخبر أنه يوجد شيء أصغر من الذرة؟ونقول إنه لم يكتشف أن هناك أجزاء في المادة أصغر من الذرة الا في هذا العصر الحديث عندما اكتشف علماء الطبيعة ذلك وأن الذرة تتكون من الجزئيات،ثم يقول الشيخ محمد متولى الشعراوى أن التصادم بين القرآن والعلم يحدث حين تُدَّعى حقيقة علمية وليست كذلك ، أو حقيقة قرآنية وليست كذلك .

وأن هذا الخطأ ناتج من التوهم في الفهم غير الصحيح للحقيقة العلمية أو القرآنية[2] . وبالجملة أن الإعجاز العلمى في القرآن الكريم تحدث عن أشياء لم تكن معروفةحين نزول القرآن أو مجهولة حقيقتها ولكن المؤمنين تقبلوا تعاليمه بالتسليم ، واذا الإنسان تفكر وتأمل في خلقه وتراكيب جسمه ومافيه من أعضاء وأنسجة عجيبة وغيرها مازال عاجزا عن معرفة وادراك جزئياتها ومنها ماكشف عنه العلم حديثا وقد أخبر القرآن الكريم في كثير من آياته وكشف عن أسرار الكون علويه السماء وما فيها من مخلوقات عجيبة من مجموعات النجوم منها الشمسية ومنها القمر وسائر الكواكب والمجرات والاجرام السماوية وغيرها منها ماعلم بعد استخدام الآلات الفلكية وشاهده العلماء وتحدثوا عنه ، ومنها مالم يعرف عنه شيئا حتى هذا الزمن ، كل ماتقدم العلم ، كشف سر جزئية منها. وكذلك الأرض جزء من هذا الكون الذى يدل على الخالق سبحانه وقدرته وحكمته واتقان صنعه ، الذى فاق مجهود وادراك البشر وأعجز عقولهم ، هذا الكون السفلى ومافيه من مخلوقات حيوانية ونباتية ، ومائيه ، وجمادات عظيمة تمثل الجبال والأودية والشعاب والصحارى الشاسعة وما تحويه هذه الأرض أيضا من بحار وأنهار ، كل ذلك أخبر القرآن الكريم عن أسراره منها ماكان معلوم للعرب وغيرهم حين نزول القرآن ومنها ماكان مجهول ولكن القرآن أخبر بذلك منذ أربعة عشر قرنا ، على سبيلالمثال : كروية الأرض ماكانت معروفة ، حتى

---

(١) سورة يونس آية ٦١.

(٢) محمد متولى الشعراوى ، معجزة القرآن ص ٣٥.

قام ماجلان برحلته المشهورة عام ١٥١٩م وأثبت ذلك ، كما ثبت ذلك بواسطة الصواريخ والأقمار الصناعية والطائرات في هذا الزمن حتى أصبحت كروية الأرض حقيقة علمية لاتقبل الجدل والنقاش ، والقرآن أخبر بذلك حين أنزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم . قال تعالى (والأرض بعد ذلك دحاها)(١) وقوله مشيرا الى ذلك (خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل)(٢) فان القرآن الكريم تحدث عن الأرض بالأدحية ، وهي مبيض النعام في الرمل ، والادحية تعنى البيضة عند بعض العرب وهو مايشبه الكرة في الشكل(٣) ، واننا إذا نظرنا إلى القرآن فإنه معجزة كله كما تحدى الله به البشر ولكن المعجزات العلمية كثيرة ، منها مايتعلق بالمعاملات والحدود ومافيها من جزاء رادع للمجرمين ووقاية للمجتمع من انتشار الجريمة . والمحافظة على حقوق الانسان المادية والمعنوية - مثل تحريم الزنا وماينطوى عليه من نظافة المجتمع وحمايته من الأمراض والمفاسد ، ومنع الرجل من مجامعة المرأة في الحيض لما لذلك من المضار المحسوسة وغير المعروفة إلا بعد أن أخبر الأطباء عنها في العصر الحديث ، وما في القرآن من حكم في العبادات منها المدرك والمعروف لدى الانسان المسلم مثل الطهارات ، وحكمة الوضوء كما أثبتها الطب ومنها غير المدرك والمعروف .

ويقول الفقهاء عنه أمر تعبدى ، ومنها (أى هذه المعجزات) مافي المآكل والمشارب - مثل تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير وتحريم الخمرة وغيرها مما عرف مضاره على البدن والعقل في العصور المتأخرة ، وقد سبق القرآن الى ذلك بزمن طويل وأخبر به النبى الأمى الذى لايقرأ ولا يكتب وفي هذه المعجزات الكثيرة إثبات لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وأن هذا القرآن من عند الله لا كما يدعى ويزعم الغربيون أنه من عند محمد وبعد هذه الاشارة الموجزة عن الإعجاز العلمى للقرآن الكريم نأخذ مثالا بسيطا في خلق الانسان

---

(١) سورة النازعات آية ٣٠.

(٢) سورة الزمر آية ٥.

(٣) محمود مهدى - اعجاز القرآن العلمى ص ٣٧ ط (١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦م).

(البنان) وما أثبته العلم الحديث ، وماهى الحكمة من ذلك قال تعالى (أيحسب الانسان ألن نجمع عظامه ، بلى قادرين على أن نسوى بنانه)[1] ومعنى هذه الآية أن الله تعالى يقول : أيظن الإنسان أن لن نجمع عظامه بلى قادرين على أن نرتب أصابعه عند الحشر ونرجعها الى ماكانت عليه في الدنيا[2] .

قال محمد مهدى الاستانبولي : وهذه المعجزة هى بيت القصيد ، فلماذا اختار الله سبحانه بنان الانسان؟ولم يختر عضوا آخر من أعضاء الجسم في الانسان كالعين والأنف والاذن وغيرهما؟لأنها لاتختلف من إنسان لآخر لكن بناء الأصابع له ميزات خاصة لاتتشابه ولاتتقارب . وهذه الميزات لم تعرف الا في القرن الماضي بعد نزول القرآن بأربعة عشرة قرنا تقريبا وأنشىء بعد ذلك علم البصمات من أجل معرفة المجرمين واكتشافهم فهل يعقل أن محمد صلى الله عليه وسلم علم ذلك من نفسه قبل ١٤ قرنا)[3] اهـ

ونقول هل في الدنيا كلها في تلك الحقبة من الزمن من يعرف عن اختلاف تراكيب بنان الانسان ، وأنها تختلف من انسان لآخر ، لم يؤثر عن أحد في التاريخ ، ولم تكن لدى الإنسان آلات تمكنه من ذلك . ولكنه كلام الله الذي أوحاه الى رسوله وتحدى به الكفار في التاريخ وطلب منهم الإيمان بعد أن عجزوا عن ذلك قال الشيخ الاستاذ عبد العظيم الزرقانى بعد أن أورد نص الآية القرآنية : قال (أرجو أن نقف قليلا عند تخصيص (البنان) بالتسوية في هذا المقام ثم نستمع بعد ذلك الى هذا العلم الوليد (علم تحقيق الشخصية) في عصرنا الأخير ، وهو يقرر أن أدق شىء وأبدعه في بناء جسم الانسان ، وهو تسوية البنان حتى لايمكن أن نجد بنانا لأحد يشبه بنان آخر بحال من الأحوال وقد انتهوا من هذا القرار الى أن حكموا البنان في كثير من القضايا والحوادث[3] .

---

(١) سورة الانسان آية ص٤٠.

(٢) محمود مهدى الاستانبولى ، اعجاز القرآن ص ٣٨.

(٣) محمد عبد العظيم الزرقانى ـ مناهل العرفان في علوم القرآن جـ١ ص ١٩.

وبعد هذه المقالات والدلائل على إعجاز القرآن العلمى يقول المستشرق موريس بوكاى (إن النص القرآنى لم يغزه أى تحريف أو تعبير أو ضياع وأن مافيه من المقولات العلمية لايتناقض مع العلم الحديث ، على أنه وجد في عصر لم تكن فيه هذه المقولات معروفة وعلى لسان رجل أمى لم يتلق أى تعليم بالاضافة الى أن القرآن يخالف كلام النبى المتمثل بالأحاديث النبوية في الأسلوب وفي مدى البلاغة)[1].هـ

---

(١) موريس بوكاى ـ دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ـ ص ١١-١٢، دار المعارف مترجما الى العربية ط ٤(١٩٧٧م).

المطلب الثالث

الإعجاز الكوني :

إن أسرار السماء ومافيها من مخلوقات مثل الشمس والقمر ومايحدث فيها من ظاهرة الليل والنهار ، وسائر الكواكب والنجوم والمجرات والشهب التى تسقط من السماء والسحاب والرياح وكل مافي هذا الفضاء من الغازات التى تتوقف عليها الحياة الإنسانية والحيوانية والنباتية ، وكل مايدب فوق الأرض من مخلوقات الله العجيبة التى كان الإنسان في قديم الزمان لايدرك الا النزر القليل منها وذلك بسبب تأخر في مجالات العلم عامة ، وما تحت يده من امكانات مادية تساعده في فهم هذه الأسرار ، وكذلك علم الانسان المحدود بالنسبة لأسرار الأرض التى يعيش عليها وبما تحويه من مخلوقات وما يحيط بها من محيطات عظيمة كان الإنسان لايعرف عن هذا الكوكب الا الشيء القليل ، فلما نزل القرآن الكريم على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم دعا الى التفكير في هذه المخلوقات وأخبر أن وجودها يدل على خالق وموجد لها وهو الله سبحانه وتعالى(إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب)[1] .

وقال تعالى (قل انظروا ماذا في السموات والأرض وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لايؤمنون)[2] ، والآيات التى تحث الانسان على التعقل والتفكير والنظر والتبصر والتأمل في مخلوقات الله الكونية كثيرة . منها على سبيل المثال اخباره في كتابه العزيز عن كوكب الأرض بأنه أقرها ودحاها ، وأرساها بالجبال ، وجعل الأنهار من خلالها ، وأخرج منها الماء والنبات ، وجعل المخلوقات مبثوثة فيها ، كما أخبر بما يحيط بها من البحار والمحيطات وكيفية حجز الماء المالح عن الحلو في هذه البحار الى غير ذلك من آيات الله العجيبة ، مما لم يكشف سر خلقه ووجوده العلم في هذا العصر الحديث وكان الصحابة رضوان الله عليهم والمسلمون من بعدهم يؤمنون بما جاء في

---

(١) سورة آل عمران آية ١٩٠

(٢) سورة يونس آية ١٠١٠

القرآن الكريم جملة وتفصيلا كما يدركون أن القرآن أخبرعن أشياء يرجعون معرفة حقيقتها الى الله عندما لم يعرفوا ذلك ، ومن دعائهم قولهم اللهم علمنا من القرآن ماجهلنا ، وهنا نذكر شيئا من التفصيل عن الإعجاز الكوني وما يتعلق بأسرار السماء والأرض قال تعالى (أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها ، وأغطش ليلها وأخرج ضحاها ، والأرض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها متاعا لكم ولأنعامكم)(١) . هذه الآيات المجملة أخبر الرب جل وعلا عن عملية تشكيل الكون الأساسية وانتهاء فيها الى تكوين العوالم وبين الفائدة من خلق الكون ومافيه للإنسان بأوجز عبارة ،وما زال العلم عاجزا عن أسرار الكثير من هذه التشكيلة ، وللحديث عن هذا الكون شيء من الإيجاز نبدأ به .

أولا : الحديث عن السماء قال تعالى(أولم ير الذينكفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون)(٢)

وقال تعالى (ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين)(٣) .

يقول سيد قطب رحمه الله في تفسير الآية الأولى (فالنظرية القائمة اليوم هي أن المجموعات النجمية ـ كالمجموعة الشمسية ـ المؤلفة من الشمس وتوابعها ومنها الأرض والقمر كانت قطعة من الشمس ثم انفصلت عنها وبردت ....) ثم قال (ولكن هذه ليست سوى نظرية فلكية ، تقوم اليوم وتنقض غدا.

ثم قال (ونحن نستيقن هذه الحقيقة (يعني نصوص الآية) لمجرد ورودها في القرآن . وأن كنا لانعرف منها كيف كان فتق السموات والأرض . وتفصيل النظريات الفلكية التي لاتخالف هذه الحقيقة المجملة التي أوردها القرآن(٤) .

---

(١) سورة النازعات آية ٢٧-٣٢.

(٢) سورة الأنبياء آية ٣٠.

(٣) سورة فصلت آية ١١.

(٤) سيد قطب في ظلال القرآن جـ٥ ص ٣٣٧٥-٣٣٧٦.

ويقول محمود مهدى الاستانبولى في تفسير الآية الأولى (تقول الآية إن الموجودات كانت كتله واحدة ثم انفصلت الكواكب عنها ومنها الأرض كما تشير الى أهمية الماء في الحياة ، فمعظم العمليات الكيمائية اللازمة للنمو تحتاج الى الماء ، وهو العنصر الأساسى لإستمرار الحياة لجميع الكائنات والنباتات .... ثم قال فما أعجب حكمة القرآن الذى بيّن في كلمات قليلة سر الحياة على هذه الأرض وهذه الآية وغيرهما من أقوى الدلائل على صدق الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، إذ لايتصور العقل أن يقول إنسان كل ذلك قبل أربعة عشر قرنا في صحراء ليس فيها بصيص من نور العلم والمعرفة وقال في الآية الثانية أن القرآن يصرح أن السماء كانت في بدء الكون دخانا والعلماء يكادون يكونون متفقين على هذا الرأى ثم قال إن القرآن صوّر مصدر خلق الكون (بالدخان) وهو الشيء الذى يفهمه العرب من الأشياء الملموسة ثم تساءل قائلا في مقدور أمى منذ أربعة عشر قرنا يدرك أن هذا في وقت كان الناس لايعرفون شيئا عن هذا الكون وخفاياه)[1] وقال الشيخ رشيد رضا عن الآيتين[2] معا أى معناهما أكذب الذين كفروا بآياتنا ولم يعلموا أن السموات والأرض كانتا مادة واحدة ففتقناهما وخلقنا منها هذه الاجرام السماوية التى تظلهم ، وهذه الأرض التى تقلهم ، وهذه المادة هى المبينة في قوله تعالى(ثم استوى الى السماء وهى دخانا فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالت آتينا طائعين)[3] وهذا شيء لم يكن يعرفه العرب ولا غيرهم من أهل الأرض ، وكذلك خلق الأشياء من الماء وهو أصرح في الآية مما قبله)١.هـ .

ثانيا : والحديث عن المجموعة النجمية والتى منها الشمس والقمر وغيرهما من الكواكب الأخرى . قال تعالى(هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ماخلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون)[4] ، وقال تعالى (تبارك الذى جعل في السماء بروجا وجعل فيها

---

(١) إعجاز القرآن العلمى ص ٢٣-٢٤.
(٢) رشيد رضا - تفسير المنار جـ١ ص ٢١٠.
(٣) سورة فصلت آية ١١.
(٤) سورة يونس آية ٥

سراجا وقمرا منيرا) (١) .

وقال تعالى (وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا) (٢) وقال تعالى (وجعلنا سراجا وهاجا) (٣) ، قال العلماء في التفسير العلمى عن ظاهرة الشمس باختصار شديد :-

أولا : أن الشمس جسم نارى ملتهب في كبد السماء تشع الضوء والحرارة والطاقة .

ثانيا : جميع الظواهر الطبيعية في الغلاف الغازى متوقفه على الشمس وأن حرارتها هى العامل الأساسى في تقسيم الكرة الأرضية الى مناطق مناخية .

ثالثا : على حرارة الشمس وطاقتها تتوقف الحياة على كوكب الأرض (٤) .

أما تفسير هذه الآيات فقد ذكر العلماء أقوالا كثيرة نختار قولا لسيد قطب رحمه الله قال عن تفسير قوله تعالى(وجعلنا سراجا وهاجا) هى الشمس المضيئة الباعثة للحرارة التى تعيش عليها الأرض ومافيها من الأحياء والتى تؤثر كذلك في تكوين السحاب بتبخر المياه من المحيط الواسع في الأرض ورفعه الى طبقات الجو العليا وهى المعصرات .... الى أن قال في السراج توقد وحرارة وضوء ، وهو مايتوفر في الشمس ، فاختيار كلمة سراج دقيق كل الدقة (٥)

وقال الشيخ رشيد رضا رحمه الله (يدل على التفرقة بين الشمس والقمر في نورهما قوله تعالى(وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا) ثم قال والسراج ماكان نوره من ذاته .....الى أن قال ولذا الله هداه بالنور دون الضوء وإلا لما ضل أحد وتبعه،وذكر عن الشيخ محمد عبده أن الضوء بالذات كالشمس والنار والنور لما بالعرض والاكتساب من الغير) (٦) .وقال الزمخشرى

---

(١) سورة الفرقان آية ٦١.

(٢) سورة نوح آية ١٦.

(٣) سورة النبأ آية ١٣.

(٤) د.عبدالعليم عبدالرحمن خضر/ المنهج الايمانى للدراسات الكونية في القرآن الكريم سلسلة ٢ ص ١٠ ط ٢(١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥م) الدار السعودية للنشر والتوزيع .

(٥) في ظلال القرآن جـ٦ ص ٣٨٠٦.

(٦) تفسير المنار جـ١١ ص ٣٠١-٣٠٢.

(الضوء أقوى من النور)[١] . هذه أقوال المفسرين باختصار ، ونقول ان هذه الآيات تشير الى أن نور القمر مستمد من الشمس وقد عرف ذلك في هذه الأزمنة المتأخرة . وتأكد ذلك وأصبح حقيقة علمية ثابته لاتعارض بينها وبين القرآن الكريم ، وخاصة بعد صعود الإنسان ونزوله على سطح القمر. وهنا نذكر بعض المفاهيم العلمية عن النور والضوء والنار بمعنى واحد وضوء الشمس ذاتي صادر عن جسم ناري ملتهب .

أما نور القمر فهو غير ذاتي لأنه صادر عن جسم بارد معتم وقع عليه ضوء الشمس ، فانعكس منه على الأرض[٢] . والضوء يحمل مع النور حرارة ، والنور خالص لا حرارة فيه ، لطيف رقيق ، وهذا السر في التعبير بالنور ، في قوله تعالى(الله نور السموات والأرض)[٣] . والتعبير عنه بالهداية للإنسان (ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور)[٤] .

وان المسلم الحقيقي راسخ العقيدة يشعر بقوة الايمان في قلبه عندما يتدبر آيات الله في هذا الكون العظيم وعندما يتلوا آياته القرآنية مثل قوله تعالى (الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها)[٥] . وقوله تعالى (وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون)[٦] .

فإن الله الذى لا اله الا هو الحى القيوم هو الذى خلق كل شئ فقدره تقديرا خلق السموات والأرض ومن فيهن وهو الذى أحاط بكل شئ علما وبإرادته وتدبيره خلق السماء وبناها وخلق النجوم والكواكب ورسم لها مداراتها وفق

---

(١) الزمخشري ـ الكشاف ج٢ ص ٢٢٥ ـ دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت.
(٢) المنهج الايماني للدراسات القرآنية ص ١٤٣.
(٣) سورة النور آية ٣٢٥.
(٤) نفس السورة آية ٤٠.
(٥) سورة الرعد آية ٢.
(٦) سورة الأنبياء آية ٣٢.

نظام معين ، قد ندرك ذلك وقد لاندركه بسبب علمنا المحدود ومن ضمن ذلك خلق السماء ورفعها بقوى خفية لاتراها أبصار الناس ، وربما تكون هذه القوة الجاذبية بين هذه الكواكب ، مما ثبتت صحته في هذا الزمن عن وجود الجاذبية وقانونها الذى فسره علماء الفلك بأنه يساعد هذه الاجزاء على البقاء في أمكنتها المحدودة ، فإن القرآن الكريم قد أخبر عن ذلك بزمن طويل ، على أن تفسير العمد موجودة في رفع السماء ولكن لاترى فسبحان الله الذى علم الانسان مالم يعلم والآية التى يقول الرب فيها (وجعلنا السماء سقفا محفوظا) قد فسرها العلماء بأن السماء كالسقف للبيت محفوظ عن الوقوع . ولكن العلماء في العصر الحديث يقولون أن هناك غلاف غازى يحيط بالأرض وبما حولها ويشتمل على جميع الغازات اللازمة للحياة ، وكثافة هذه الغازات تمنع وصول ملايين الشهب القاتلة يوميا الى سكان الأرض ، كما ان هذا الغاز يحفظ درجة حرارة الأرض حتى تصبح صالحة للحياة ، وقالوا ان جو المحيطات الموجودة على سطح الأرض تمثل عملية توازن في الطبيعة (١) .

أما فيما يتعلق بالأرض من ناحية الإعجاز العلمى في القرآن : فكما ان مجاله واسع في خلق السماء وما فيها من نجوم شمسية وكواكب سيارة كل منها لايصطدم بالآخر ولايجتمع معه والحديث عنها يطول ، أما أسرار الأرض التى كشف القرآن الكريم عنها ، منها خلق الأرض وشكلها وحركتها وماتحويه من مخلوقات حيوانية ونباتية ، وجمادات ومياه وغيرها ، وحركة الرياح والسحاب عليها والبحار والمحيطات التى تشكل ثلثى هذا الكوكب الى غير ذلك . والقول عن الأرض يحتاج الى مؤلف خاص بها ووقت أطول . ولذلك نحاول الإيجاز ، قال الله تعالى (ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون) (٢) .

---

(١) نخبة من العلماء الامريكان - الله يتجلى في عصر العلم ص ١٢-١٣- دار العلم - لبنان .

(٢) سورة البقرة آية ١٦٤.

وقال تعالى (الله الذى خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجرى في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار ، وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار)(١) .

إن كل هذه المخلوقات مسخرة لهذا المخلوق الصغير الضعيف الذى لايستنقذ من الذباب أضعف مخلوقات الله شيئا سلبه اياه ،بل السموات ينزل منها الماء والأرض تتلقاه ، والثمرات تخرج من طبقات الأرض والبحر تجرى فيه الفلك مسخرة بأمر الله ، لجلب أرزاق الإنسان ومصالحه وتنقلاته ، والشمس والقمر مسخران دائبان لايفتران والليل والنهار يتعاقبان .... أفكل ذلك للانسان ؟ حقا ان الإنسان لظلوم كفار) إن الإعجاز يتجلى في خلق السموات والأرض ومافيهما من المخلوقات الكثيرة ، ولكن نقصر الحديث على الأرض بشكل عام وعن الجبال بشكل خاص هذه الجبال العظيمة والمنتشرة على سطح الكرة الأرضية وفي باطنها ، والتى قال الرب جل وعلا عنها (وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب صنع الله الذى أتقن كل شئ)(٢) . وقال تعالى (والأرض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعها ، والجبال أرساها)(٢) وقال تعالى(ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا)(٣) . يقول الشيخ محمد متولى الشعراوى في تفسير الآية الأولى : ان مر السحاب دليل على عدم ذاتية الحركة ، لأن السحاب تحركه الرياح .

فكذلك الجبال تسير بحركة الأرض .... ثم قال ان في الآية اشارة الى سرعة دوران الكرة الأرضية)(٤) ويقول محمود الاستنابولى في الآية الأولى تشير الى دوران الأرض وهو أمر ثبت منذ خمسة قرون تقريبا ، اكتشفه العالم كوبر نيكوس ، فاتهمته الكنيسة بالكفر وعذبته عام ١٥٤٣م(٥) .

---

(١) سورة ابراهيم آية ٣٢.
(٢) سورة النازعات آية ٣٠-٣٢.
(٣) سورة النبأ آية ٦-٧ .
(٤) محمد متولى الشعراوى ،معجزة القرآن ص ٥٠-٥٣.
(٥) إعجاز القرآن العلمي ص ٣٢.

أما التفسير العلمى لظاهرة الجبال : يقول العلماء ان القارات كانت فعلا مضطربة تزحزحت طافية فوق طبقات السيما اللينة وبعد ماكان يابس الأرض (رتقا) واحدا تفتقت قشرة الأرض الى أجزاء ، ثم طفت الأجزاء (القارات) الى وضعها الحالى وحين انضبطت الرواسب الغازية والبحرية في البحار القديمة وتكونت الجبال الرواسب والجبال الشامخات والجبال الاوتاد (حسب وصف القرآن الكريم) ثم توقف زحف الأرض واستقرت ، وهى تمثل قشرة الأرض في وضعها الحالى .

يقول الدكتور عبد العليم خضر (والجبال مسَّاكات القارات ..والقارات هى القشرة الأرضية ، إذن فالجبال منذ أن أوجدها الخالق العظيم تقوم بدور ايقاف زحف القارات أفقيا فوق مواد الباطن السائلة ، وهذا إعجاز علمى سبق القرآن العلم اليه بحوالى ألف ومائتى سنة على الأقل)[1] ونقول إذا أصبحت هذه النظريات صحيحة فإن القرآن قد سبق العلم ولاشك في ذلك سواء في هذه النظريات أو غيرها من النظريات العلمية ، والقرآن الكريم دعا الإنسان الى العلم والنظر والتأمل والتفكر في مخلوقات الله الكونيةوغيرها الدالة على عظمة وجوده وحكمته في خلقه منذ مبعث النبى محمد صلى الله عليه وسلم ومازال العلماء لم يتوصلوا الى كثير من خفايا هذا الكون وأسرارالله في خلقه التى بين القرآن كثيرا منها ووردت الاشارة وذكرها في القرآن الكريم.

---

(١) المنهج الايمانى ، للدراسات الكونية في القرآن الكريم ص ٥٢٨.

المبحث الثالـــث

شبهات المنكرين لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ومزاعمهم والرد عليهـــــا

ويشتمل على ثلاثة مطالب :-

المطلب الأول : شبهة منكرى الاخبار بالغيب .

المطلب الثانى : تصويرهم لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم .

المطلب الثالث : مزاعم درمنغام والرد عليها .

المطلب الأول

شبهة منكرى الاخبار بالغيب :

إن شبهة منكرى الاخبار بالغيب ليست فكرة جديدة أثارها وابتكرها الغربيون ومن وافقهم من أعداء الاسلام من الشعوب الأخرى ، بل إنها قضية ذات جذور قديمة ، يتناقلها خصوم دعوة الرسل والأنبياء من المكذبين والمعاندين لتلك الرسالات ، فإننا نجد كل نبى بعثه الله بدعوة للناس يدعوهم الى الإيمان بخالقهم والاستقامة على دينه ، واتباع تعاليمه وتبليغهم تلك الاوامر والنواهى التى تلقاها من الله عن طريق الوحى . فهذا موسى عليه السلام على سبيل المثال واخوته من الأنبياء قبله وبعده ، يتهمون بالسحر والكهانة والشعوذة ، التى كانت ومازالت معهودة وسائدة في الشعوب الوثنية قديما وحديثا والمتعارف عليها عندهم بطرق غامضة وخفية غير معروفة لكثير من الناس . قال تعالى حكاية عن موقف فرعون وقومه من رسالة موسى عليه السلام (فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا إن هذا لسحر مبين) (١) .

كما نجد المشركين يقفون نفس الموقف من رسالة محمد صلى الله عليه وسلم . إذ قال الله تعالى عنهم (نحن أعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك واذ هم نجوى إذ يقول الظالمون إن تتبعون الا رجلا مسحورا) (٢) وقال تعالى عنهم في موقف آخر(وقال الذين كفروا إن هذا (يعنون القرآن) إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءو ظلما وزورا). (٣) إن الذين لايؤمنون بالوحى الالهى ، وتعتريهم الشكوك في كون الوحى نازل من عند الله ، بل منهم فريق يقولون إنه من ذات نفس محمد صلى الله عليه وسلم ، نجد هؤلاء الماديين الذين لايؤمنون إلا بما يدركه العقل ويقع عليه الحس أو يثبت بالتجربة والمشاهدة والملاحظة ، وجعلوا هذه الوسائل هى الطريقة الوحيدة لاستقاء

---

(١) سورة يونس آية ٠٧٦

(٢) سورة الاسراء آية ٠٤٧

(٣) سورة الفرقان آية ٠٤

المعارف والمعلومات ، والتثبت من الحقائق العلمية والنظريات .

أما الأدلة الشرعية النقلية في رأيهم ليست يقينية ، ولذلك نجدهم لايعتبرون النصوص الشرعية أو السماوية دليلا على إثبات الحقائق العلمية لأن الوحى في مفهومهم ماهو الا الهام[١] . يفيض من داخل النفس وليس فيه شيء جاء من عالم الغيب الذي يقال[٢] إنه وراء المادة والطبيعة ،وأن هذا الغيب لم يثبت وجوده ، ونحن نفسر الظواهر غير المعتادة بما عرفنا ، وثبت عندنا دون مالم يثبت[٣] . والمتعارف عليه عندهم ، الالهام والحدس الباطن والكشف والشعور الداخلى ..... إلى آخر هذه الألفاظ المبهمة التى قد أتى بها علماء النفس في اصطلاحاتهم الحديثة ، وقد ذكر الشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى (إن علماء النفس توصلوا بواسطة (التنويم المغناطيسى) الى أن للإنسان عقلا باطنا أرقى من عقله المعتاد كثيرا، وأنه فيحالة التنويم الصناعى والمغناطيسى يرى ويسمع من بعد شاسع ويخبر عما سيحدث مما لايوجد فى عالم الحس ....)[٣] ثم ذكر أمثلة كثيرة على تلك الحالات التى حصلت لأصحابها بواسطة الكسب والجهد والرياضة الروحية ، ومع هذا فإنها تختلف عن الوحى الالهى كما سبق بيانه .

والشيخ رشيد رضا رحمه الله قد تصدى لأصحاب تلك الشبهة وأبان لهم الفارق ،وقد أجاب على سؤال أُرسل اليه يقول صاحبه عرضت لي شبهة (في وقوع الوحى وهو أساس الدين وأنه اطلع على كتب ومن ضمنها رسالة التوحيد للشيخ

---

(١) الالهام هو : مايلقى في الروع بطريق الفيض ، وقيل ماوقع في القلب من علم وهو يدعو الى العمل من غير استدلال بآية ولا نظر في حجة وهو ليس بحجة عند العلماء الا عند الصوفية ، محيط المحيط ص ٨٢٨.

(٢) حسب رأيهم .

(٣) تفسير المنار ، ج ١١ ص ١٦٣-١٦٤ ، كتاب الوحى المحمدى ص ٨٧ .

محمد عبده ، ثم أورد قصة الفتاة الفرنسية (جان دارك)[١] التى ادعت على أنها مرسلة من عند الله لانقاذ وطنها ثم يتساءل هل هناك ميزان تزن به الأعمال النافعة ؟ وهل ماحققته تلك الفتاة من نصر على أعدائها وتقدم لوطنها يجعلها في مصاف الأنبياء ؟ ولو قام إنسان وادعى الرسالة لنفسه وهو معروف بحسن السيرة والتقوى ، فهل من سبيل الى التيقن من تلك الدعوى؟[٢] وقد أجاب الشيخ رشيد رضا رحمه الله بأبلغ الحجة وأوضح البيان مبينا الفرق في ذلك ومفندا الشبهة بالدليل والبرهان ، ونورد هنا خلاصة مقتبسة من كلامه .

قال : أولا : إن الفتاة الفرنسية لم تدعو الى دين فيه سعادة البشر في الحياة الدنيا ولا بعد الموت .

ثانيا : إنها لم تأت بآية كونية ولا علمية لايعهد مثلها من كسب البشر وتحدى بها الناس ليؤمنوا بها .... وإنما هذه الفتاة ذات وجدان شريف هاجه شعور الدين ومزعجات السياسة فتحرك ، وصادف مساعدة الحكومة واستعداد الأمة لخوض الحرب .... ثم قال وسبب قيامها تهيج عصبي حركه التألم السياسى والحالة الاجتماعية والاعتقادات بالخرافات الدينية .....إلى أن قال وهو شئ عادى معروف السبب من قبل أمثال ذلك كثير .....إلى أن قال إن دعوة الفتاة لا علم فيها ولا صلاح اجتماعى إلا المدافعة عن الوطن عند الضيق التى هى طبيعة مشتركة بين الإنسان والحيوانات الأعاجم التى لا حجة تدعمها ولا معجزة تؤيدها ، ثم يتساءل الشيخ رشيد رضا أين هى من دعوة الأنبياء وأين دليلها من أدلة النبوة التى قال عنها الاستاذ محمد عبده أنها حاجة طبيعية من

---

(١) جان دارك فتاة فرنسية حصل لها تخيلات حماسية مما جعلها تعتقد أنها مرسلة من عند الله لانقاذ وطنها من احتلال الانجليز في القرن الخامس عشر ميلادى تولت قيادة جيش قوامه عشرة آلاف مقاتل ، هاجمت الانجليز الذين كانوا يحاصرون أورليان ورفعت الحصار عنها عام ١٤٢٩ م وقعت في الاسر من قبل الانجليز عام ١٤٣٠م وقتلوها. تفسير المنار ج١١ ، ص ١٦٦-١٦٧.

(٢) تفسير المنار ،ج ١١ ص ١٦٤-١٦٥، كتاب الوحى المحمدى ص ٨٨-٨٩.

حاجات الاجتماع البشرى ، ثم ان فرنسة لم ترتق بارشاد(جان دارك)وتعليمها[1]ه.ا.ه نقول إن ظاهرة الوحى اذا كانت غير مفهومة المصدر والوسيلة الموصلة إياه الى الأنبياء عند من لايؤمن بالله (الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى) المتفرد بخلق الكون ومافيه من المخلوقات ومن ضمن تلك المخلوقات الإنسان الضعيف العاجز عن فهم حقيقة نفسه التى هى الصق الأشياء به وجزء منبدنه ، فإنه يكونالى غيرها من الأشياء الكثيرة التى خلقها رب العزة والجلال في الكون غير المحسوسة والمدركة أعجز ، فالذين ينكرون الوحى هم الماديون الذين نهجوا منهج الفلسفة العقلية المادية في تفسيرهم للأشياء الغيبية، واعتمدوا على الحس والتجربة ، أما الأشياء التى لاتخضع لمدارك الحس ووسائل التجربة والملاحظة يقابلوها بالرفض وعدم الإيمان بها أو محاولة تفسيرها حسب مفهومهم القاصر في وسائل تلقى المعلومات ، ولذلك نجد تحليلاتهم للأمور الغيبية متضاربة ، فمرة يرفضونها جملة وتفصيلا ويقولون لاشىء في الوجود من ذلك مثلانكارهم للوحى ، الملائكة ، والجن والروح وتارة يفسرونها ماديا، يقولون عن الوحى مثلا حديث النفس والروح يقولون احدى اجزاء الإنسان الداخلية، مثل الكبد أو الطحال أو غيرها . وهذا التخبط حصل للماديين عندما عدلوا عن الأدلة الشرعية والنقلية الصحيحة ولم يعتمدوا عليها في تلقى المعلومات والمعارف فهؤلاء (الشيطان سول لهم وأملى لهم)[2].

(أما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدى به كثير ومايضل به إلا الفاسقين)[3]، وقال تعالى(ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس أمثالهم)[4].

---

(١) تفسير المنار ، ج ١١ ص ١٦٨ وكتاب الوحى المحمدى ص ٩٣.

(٢) سورة محمد آية ٢٥.

(٣) سورة البقرة آية ٢٦.

(٤) سورة محمد آية ٣.

المطلب الثاني

تصويرهم لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم :

ان لكل دعوة حق ونبوة ورسالة ، أعداء، منهم القديم ومنهم الجديد في تاريخ تلك الدعوة أو الرسالة ، وأن أول من واجه دعوة الحق ونور الاسلام وهدايته التى أنزلت على محمد صلى الله عليه وسلم ، هم المشركون والكفار من أهل مكة وماحولها من العرب ، حاول هؤلاء بكل ما أوتوا من قوة وحيلة يريدون (ليطفوء نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون) (١) .

واستخدموا في ذلك شتى الوسائل الباطلة والملفقة التى يرون أنها سوف تعرقل سير الدعوة الى الله ، فلما انتهى هذا الزبد والغثاء المنتن من المشركين والكفار وذهب جفاء وسطع نور الاسلام في أرجاء الأرض ، ظهرت قوى أخرى من خارج دائرة الاسلام تمثل جميع العناصر المتحاملة على الاسلام من صليبيين وغيرهم ، تمدهم جذور من داخل أرض الاسلام من بقايا المسيحيين واليهود والمنافقين ، الذين زودوا القوة المعادية لإنتشار نور الاسلام بالاباطيل والشبهات التى قد أثارها المشركون والكفار عندما بزغ فجر الاسلام وكانت هذه المفتريات تارة توجه لشخص الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتارة توجه الى كيفية تلقيه للوحى القرآنى لأنهم يعلمون أنه اذا الصقت الشبهة بهذين المصدرين أو الاساسين ، انهدمت مرتكزات الدعوة الاسلامية وأساسياتها وبالتالى يتخلخل صفها وتفقد أنصارها ، فهذه المزاعم ليست جديدة أتى بها أعداء الاسلام في هذا العصر من مستشرقين ومنصرين وغيرهم بل إنها مزاعم ومقولة المشركين والكفار من قبل كما سبقت الاشارة اليه حينما جمعوا زيفاً من الأباطيل بقولهم مرة أن الرسول صلى الله عليه وسلم كاذب ومرة انه ساحر ومرة أنه مجنون ، ومرة أنه شاعر ، ومرة إنما يعلمه بشر،ومرة أنه أخذ القرآن من أساطير الأولين وكل هذه الاخبار الكاذبة ، قد أخبر عنها القرآن

---

(١) سورة الصف آية ٨.

الكريم في الآيات التالية :

قال تعالى (بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون)[١] .وقال تعالى(وقال الذين كفروا إن هذا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءو ظلما وزورا ، وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا)[٢]. وقد رموه بالجنون ورد الله عليهم بقوله تعالى(وقالوا يا أيها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون)[٣] . كما اتهموه بالسحر والكذب ، فرد الله على هذه المزاعم بقوله (وعجبوا ان جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب)[٤] ولم يقف الظالمون عند هذا الحد بل تجاوزوا كل الحدود حينما قالوا ان القرآن من الشعر الذى صاغه محمد صلى الله عليه وسلم ولكن الله أبطل هذه التهمة وأكد أن القرآن من كلامه ، وأن محمدا يتكلم بكلام النبوة والرسالة ونفى عنه مفتريات المشركين والكفار وذلك بقوله تعالى (إنه لقول رسول كريم ، وماهو بقول شاعر قليلا ماتؤمنون ، ولا بقول كاهن قليلا ماتذكرون)[٥] ومن تلك التلفيقات والأباطيل زعمهم بأنه رجل شهوانى له شغفا وولعا بالنساء ورد الله هذه التهمة الظالمة بقوله تعالى (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا)[٦] كما يذكر المفسرون أن سبب نزولها أن اليهود عيرت النبى صلى الله عليه وسلم قالت مانرى لهذا الرجل من هم إلا النساء والنكاح ، ولو كان نبيا كما زعم لشغله أمر النبوة عن النساء[٧]، ومن الأكاذيب والمفتريات القديمة وجد المنصرون والمستشرقون ومن وافقهم ونهج منهجهم ، بغيتهم بأن جعلوها مرتكزات تقوم عليها شبهاتهم وضلالاتهم وزادوا عليها بما لفقوه وجمعوه من

---

(١) سورة الأنبياء آية ٥.
(٢) سورة الفرقان آية ٤-٥.
(٣) سورة الحجر آية ٦.
(٤) سورة ص آية ٤.
(٥) سورة الحاقة آية ٤٠-٤٢.
(٦) سورة الرعد آية ٣٨.
(٧) الواحدى ، أسباب النزول ص ٢٠٧- عالم الكتب بيروت .

أذنابهم في الوطن الاسلامي من يهود ونصارى ومنافقين والطوائف المبتدعة من الفرق التي تنتسب الى الاسلام ، وهذه الشبهات والضلالات والمفتريات لاتختلف في أهدافها العامة ولاتتغير عند أعداء الاسلام من زمن الى زمن ومن جيل الى جيل وعادة توجه الى الرسول صلى الله عليه وسلم ودعوته ونبوته والى القرآن والسنة النبوية فهذه أساسيات الاسلام ومرتكزاته التي تقوم عليها العقيدة الاسلامية والشريعة ، كما يوجهون النقد والطعن الى الخلافة ونظام الحكم الاسلامي ، ويحتجون ، بما صدر عن الفرق المتعددة والمدسوسة على الاسلام من فتن وسفك دماء عبر التاريخ الاسلامي كما يروجون الشبهات والمزاعم عن اللغة العربية والحضارة الاسلامية فإن الشيخ رشيد رضا رحمه الله تصدى لتلك المزاعم فيما يخص الوحي وشخص الرسول صلى الله عليه وسلم وفند هذه الشبهة والأقاويل التي استقاها الغربيون من أقوال المشركين والكفار كما بينا سابقا وحددها في ثمان مقدمات ورد على كل واحدة ردا جميلا، وقد ذكر (أنهم زعموا أن هذه المقدمات والأقاويل الكاذبة استنبطوها من تاريخ محمد صلى الله عليه وسلم ، وحالته النفسية ، والعقلية ، وحالة قومه ووطنه وما تصوروا أنه استفادة من أسفاره ، وما كان من تأثيرات خلواته وتحنثه وتفكيره ثم قال في رده على هذه الأباطيل، إن أكثر المقدمات التي أخذوا منها هذه النتيجة هي آراء متخيلة ، أو دعاوى باطلة ، لا قضايا تاريخية ثابتة)(١) وهنا نذكر مثالا واحدا من تلك الشبهه التي أثارها أعداء الاسلام ورد الشيخ رشيد رضا عليها كنموذج من ردوده على تلك المقدمات والنتائج المزعومة .

قال من تلك المقدمات : زعموا أن محمدا صلى الله عليه وسلم سمع من نصارى الشام خبر غلب الفرس وظهور الروم ليوهموا الناس أن ماجاء في أول سورة الروم من الأنباء بالمسألة ، وبأن الروم سيغلبون الفرس بعد ذلك هو مستمد مما سمعه صلى الله عليه وسلم من نصارى الشام . وهذا مردود بدلائل

---

(١) تفسير المنار ، ج ١١ ، ص ١٨٤-١٨٥ وكتاب الوحي ص ١١٨-١٢٠.

التاريخ ، والعقل . ثم قال (فأما التاريخ فانه يحدثنا بأن ظهور الفرس على الروم كان في سنة ٦١٠م وذلك بعد رحلة محمد الأخيرة الى الشام بأربع عشرة سنة وقبل بدء الوحى بسنة ثم إن التاريخ أنبأنا أن دولة الروم كانت متخلفة معتلة في ذلك العهد بحيث لم يكن أحد يرجو أن تعود لها الكرة والغلب على الفرس ، حتى إن أهل مكة أنفسهم هزئوا بالخبر وراهن أبو بكر أحدهم على ذلك ، وأجازة النبى صلى الله عليه وسلم فربح الرهان .

وأما العقل فانه يحكم بأن مثل محمد في سمو ادراكه المتفق عليه لايمكن أن الغلب سيعود للروم على الفرس في مدة بضع سنين لا من قبل الرأى ولا من الوحى النفس المستمد من الأخبار غير الموثوق بها ثم قال وقد صح أن انتصار الروم وقع سنة ٦٢٢م وكان وحى التبليغ للنبى صلى الله عليه وسلم سنة ٦١٤م فاذا فرضنا أن سورة الروم نزلت في هذه السنة يكون النصر قد حصل بعد ثمان سنين وإن كان في السنة الثانية تكون المدة سبع سنين ، وهو المعتمد في التفسير ثم قال لو كان النبى صلى الله عليه وسلم تلقى عن علماء النصارى في الشام شيئا أو عاشرهم لنقل ذلك اتباعه الذين لم يتركوا شيئا علم عنه أو قيل فيه ولو لم يثبت ألا دونوه .....الى أن قال لو كان وقع ماذكر لاتخذه أعداؤه من كبار المشركين شبهة يحتجون بها على أن مايدعيه من الوحى قد تعلمه في الشام من النصارى فإنهم كانوا يوردون عليه ماهو أضعف واسخف من هذه الشبهة .....ونصوص القرآن صريحة في أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن يعرف شيئا من أخبار الرسل وقصصهم قبل الوحى وهم متفقون معنا على أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن يكذب على أحد. فضلا عن الكذب على الله عز وجل كما اعترف بذلك أعدى أعدائه أبو جهل انهم متفقون معنا على قوة إيمانه بالله عز وجل ويقينه بكل ما أوحاه اليه) (١) اهـ

ونقول إن تحامل المستشرقين والمنصرين على الاسلام ونبيه لم يقف عند حد ، بل نجدهم قد رموا الرسول صلى الله عليه وسلم ، بأقبح المزاعم

---

(١) هذه أمثلة من ردود الشيخ رشيد رضا على مزاعم النصارى وغيرهم كتاب الوحى المحمدى ص ١٢٠-١٢٨.

والأباطيل التى لايقولها عاقل لأى انسان عادى فضلا عن كون الذى يرمى بها نبيا أشرقت الأرض بنور رسالته ، ومن هذا الزيف والأكاذيب المفتراة في حق الرسول صلى الله عليه وسلم ماقاله المستشرق جولد تسيهر[١] عن الوحى المحمدى على أنه وهم وخيال ، وحمى أصابت الرسول عندما تحدث عن الوحى يقول هذا المضلل (إن الأمراض التى تصيب الرجال الذين فوق البشر دون سواهم التى يستقون منها حياة جديدة كانت قبل ذلك مجهولة كما يتخذون منها قوة تهدم جميع العقبات ومن ذلك حمية النبى أو الحوارى ..... الى أن قال ومن العسير أن تستخلص من القرآن نفسه مذهبا عقيديا موحدا متجانسا وخاليا من التناقضات ولم يصلنا من المعارف الدينية الاكثر أهمية وخطرا ، الا آثار عامة نجد فيها إذا بحثنا في تفاصيلها أحيانا ، وجدنا تعاليم متناقضه)[٢] وقال مستشرق آخر من أخبث أعداء نبوة محمد ودين الاسلام نولدكه[٣] إن سبب الوحى النازل على محمد والدعوة التى قام بها هو ماكان ينتابه من الصرع)[٤] . ويقول في كتابه

---

(١) جولد تسيهر الألمانى (١٨٥٠-١٩٢١م) تخرج باللغات السامية على كبار أساتذتها في بودابست وبرلين وليدن قد تعلم العربية بالأزهر على أيدى علمائه - واشتهر لدى المستشرقين بتحقيقاته في تاريخ الاسلام وعلومه ، وفرقه وحركات المسلمين، نجيب عقيقى - المستشرقون ج - ٣ ص ٩٠٦ ، دار المعارف بمصر تاريخ ١٩٦٥م.
قال الدكتور عدنان محمد وزان عن هذا المستشرق ، الحق أن هذا المستشرق (جولدتسيهر) من أقل الناس حياء في مجال العلم ،فهو كما رأيت يخترع الاكذوبة ويختالها ويركب لها في نفسه هيكلا.. ثم قال لايبالى ان يكذب في النصوص ويغالط في الفهم. الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر ص ٢٢ - دعوة الحق رابطة العالم الاسلامى .

(٢) عرفان عبد الحميد، المستشرقون والاسلام ص ١٨-١٩، المكتب الاسلامى ، نقلا عن كتاب جولد تسيهر ، العقيدة والشريعة الاسلامية .

(٣) نولدكه ولد في هامبورج التى أطلق اسمه على أحد شوارعها (١٨٣٦ - ١٩٣٠م). تعلم اللغات السامية - الفارسية - التركية - درس في لبيترويج وفينا وليدن وبرلين . نال الدكتوراه عام ١٨٥٦ وعين استاذاً اللغات السامية والتاريخ الاسلامى . نجيب عقيقى - المستشرقون ج٢ص٧٣٨.

(٤) شكيب أرسلان ، حاضر العالم الاسلامى ج١ ص ٣٤ دار الفكر ط ٤(١٣٩٤ هـ - ١٩٧٣م).

تاريخ القرآن (إن فواتح السور من القرآن مدعيا أنها رموز لمجموعات من الصحف التى كانت عند المسلمين الأولين قبل أن يوجد المصحف العثمانى، فمثلا حرف الميم ، كان رمزا لصحف المغيرة ، والهاء لصحف أبى هريرة ،والصاد لصحف سعد بن أبى وقاص ، والنون لصحف عثمان فهى عنده اشارات لملكية الصحف ، قد تركت في مواضعها سهوا ،ثم الحقها طول الزمن بالقرآن فصارت قرآنا)[١]، وهذه المقولات المتحاملة والجانحة على الاسلام وغيرها من المزاعم الباطلة التى يطلقها المستشرقون والمنصرون على الرسول صلى الله عليه وسلم ونبوته ودعوته كانت ومازالت يرددها كثير منهم وهى الغالبة على التفكير الاوروبى وإلى جانب هذه هناك عدد قليل أنصفوا في أقوالهم الى حد ما - منهم ماقاله المستشرق (توماس) الذى قال في كتبه (الابطال ،وعبادة الابطال لقد أصبح من أكبر العار على كل فرد متمدن في هذا العصر أن يصغى الى القول بأن دين الاسلام كذب ، وأن محمدا خداع مزور ، فإن الرسالة التى أداها ذلك الرجل مازالت السراج المنير مدة اثنى عشر قرنا لمئات الملايين من الناس أمثالنا خلقهم الله الذى خلقنا)[٢] والى جانب هذا القول هناك قول آخر من أقوال المستشرقين المنصفين المعتدلين للكاتب الفرنسى موريس بوكاى في كتابه التوراة والانجيل والقرآن والعلم ، قال وكيف أمكن لمحمد أن يتناول قبل أربعة عشر قرنا حقائق علمية في القرآن لم يكتشفها إلا التقدم العلمى في القرون الحديثة ولو لم يكن القرآن وحيا منزلا ، لاشتفيه ولا ارتياب في نصوصه)[٣]، وقال في مكان آخر من كتابه المذكور(لقد ظل جبريل ينزل بالوحى القرآنى على محمد الرسول فترة امتدت اكثر من عشرين سنة من حياته[٤]

---

(١) مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الاسلامية ج١ ص٢٣- ط ١ ، دار الكتاب العربى القاهرة .

(٢) نفس المصدر ج ١ ص٢٤.

(٣) موريس بوكاى - التوراة والانجيل والقرآن والعلم ص٢٠٩ ط ١(١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م)

(٤) نفس المصدر ص ١٢٠.

(وفي ختام هذا المطلب يتضح بطلان مزاعم المستشرقين ومن وافقهم التى تثار حول الرسول صلى الله عليه وسلم وحول رسالته وكيفية تلقيه للوحى القرآنى ينسبونه الى محمد ، وتارة يقولون أنه أخذه عن أخبار اليهود والنصارى، وتارة يقولون إنه من حديث النفس الباطنى ، وتارة يقولون إنه من انتاج الفكر العميق والمشاعر المرهفه ، وإنما هذه الأقوال مشابهة لأقوال المشركين والكفار القديمة • تشابهت قلوبهم المريضة وأفكارهم المضلله ، ونفوسهم المحشوة بالمقاصد الخبيثة التى لاتقبل ولاتعترف بالحقيقة قال تعالى (يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون،هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون)(١)

---

(١) سورة الصف آية ٨-٩ •

المطلب الثالث

مزاعم درمنغام والرد عليها : (١)

ومن وافقه من المستشرقين والمنصرين، إن هذا المستشرق قد جمع في كتابه (حياة محمد) مجموعة من الدسائس والأباطيل والشبهات التى وضعها مقدمات لأضاليله المستوحاة من مزاعم اليهود والنصارى والمشكرين والكفار السابقين له الذين عاصروا دعوة الاسلام منذ بعث النبى محمد صلى الله عليه وسلم ،ولكن هذا المستشرق قد جمع زيفا من المزاعم والابطايل والافتراءات وضعها على شكل مقدمات ، خلال صفحات كتابه المذكور يريد الوصول الى النتائج التي ضمنها كتابه وقال إنه اعتمد في ذلك على سيرة النبى وماروى من أخبار وما تأوله من تحريف لنصوص القرآن الكريم وبعد أن اطلعت على الكتاب (حياة محمد) وجدت أن هذه المزاعم قديمة الجذور البسها ثوبا جديدا ليتستر به حتى يصل الى مراده وهو القدح في صحة الوحى القرآنى، ومن تلك الأكاذيب التى أوردها في كتابه وقال انه استنبط ماتوصل اليه من نصوص السيرة النبوية والأحاديث الشريفة ان الروايات التى اعتمد عليهامن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم شاذة ، وضعيفة السند وقد أورد الشيخ رشيد رضا رحمه الله في كتابه الوحى المحمدى شبهات عشرا بنى عليها درمنغام مقدماته واننى اذكرها على سبيل الاجمال والاختصار ، ثم أضيف اليها ماقد وجدته من شبهات أخرى مبثوثة في نصوص كتابه (حياة محمد) اعتمد عليها المستشرقون والمنصرون ومن وافقهم في ترويجهم لاباطيلهم ومزاعمهم الكثيرة فيما بعد،والتى يفقدها الدليل . ولعل هذه النصوص توضح مافي الكتاب من افتراءات وأكاذيب . والشبهات التى ذكر الشيخ رشيد رضا عشرا منها ، فهي على سبيل الاجمال كالآتى :-

---

(١) درمنجم فرنسى مدير مكتبة الجزائر أثاره : بمعاونة محمد الفاسي قصص من فاس وقصص جديدة من فاس (باريس ١٩٢٦-٢٨) وله حياة محمد وله مؤلفات أخرى وكتابات في المجلات والصحف . نجيب العقيقى المستشرقون جـ١ ، ص ٢٩٧-٢٩٨.

قالوا إن محمدا قد لقى بحيرا الراهب بالشام أثناء ذهابه للتجارة وأنه قد سمع من هذا الراهب كما سمع من اليهود والنصارى الموجودين بمكة، وأخذ عن ورقة بن نوفل الذى قد تعلم بدوره النصرانية ونقل بعض الكتب الى العربية وهو قريب لخديجة زوجة محمد ، ومن هذه الضلالات ، انتشار اليهودية والنصرانية في بلاد العرب قبل الاسلام وكان العرب قد سمعوا من النصارى بقرب ظهور النبى الذى قد بشر به موسى وعيسى عليهما السلام وغيرهما من الأنبياء وكان العرب على اتصال دائم بالنصارى في رحلة الشتاء والصيف وذلك في الشام واليمن،ومنها أن محمدا كان في كفالة عمه بعد وفاة جده عبد المطلب ولم يكن غنيا ولم يوفق في تعليم ابن أخيه ، يوهم القارىء بأن هناك مدارس في مكة يتعلمون فيها أولاد الموسرين مثل ماعهد درمنغام في الحضارة الغربية، ومنها أن قوم محمد العرب كانوا ينغمسون في اللهو والترف والملذات وأن سبب حرمان محمد من التعليم جعل نفسه شغفة في طلب العلم والتطلع الى الرسالة،ومنها موت ابناء محمد وهم القاسم والطاهر والطيب وكان يشك في وجودهم قد أثر في نفسه مما جعله يتبنى زيدا وذلك لأنه لم يطق الحرمان من البنين ،ومنها مازعمه أيضا من تغلغل النصرانية في بلاد العرب أوجد فيها حالة نفسية أدت الى زيادة مايسمونه في الجاهلية بالتحنث أو التحنف[1].

وهذه مجمل تلك المقدمات ، وقد رد الشيخ بما فيه الكفاية وفند تلك الشبهات بالدليل والبرهان ، وهنا نذكر مثالا واحدا مما قاله درمنغام مع الاشارة الى رد الشيخ رشيد رضا على ذلك قال الشيخ رشيد : زعم درمنغام أن ماذكره من تغلغل النصرانية في بلاد العرب أوجد فيها حالة نفسية أدت الى زيادة إمعانهم فيما كانوا يسمونه في الجاهلية بالتحنث وزعمه هذا له أصل ، ولكنه زاد فيه وكبره وفرع عليه قوله (وكان محمد يجد في التحنث أو التحنف طمأنينة لنفسه أن كان له بالوحدة شغف ، وإن كان يجد فيها الوسيلة إلى مابرح شوقه يشتد إليه من نشدان المعرفة واستلهام مافي الكون

---

(١) تفسير المنار جـ١١ ص ١٦٩-١٧٦ وكتابه الوحى المحمدى ص ٩٥-١٠٦.

من أسبابها فكان ينقطع كل رمضان طول الشهر في غار حراء بجبل ابى قبيس مكتفيا بالقليل من الزاد ويحمل اليه ليمضى أياماً طويلة بالغار في التأمل والعبادة بعيدا عن ضجة الناس وضوضاء الحياة) ثم قال الشيخ في رده وأقول إن روايات المحدثين تفيد أنه حبب اليه الخلاء ، الوحدة والتحنث في غار حراء[1] في العام الذى جاءه فيه الوحى ، وكان هو يحمل الزاد وماكان أحد يحمله اليه .....ثم قال وماذكره ابن إسحاق من تعبده فيه في شهر رمضان كل سنة إنما كان في زمن فترة الوحى .....ولم يكن في اعوام ولاشهور قبله ،

وأما قوله انه كان يتوسل بذلك الى ما اشتد شوقه اليه من المعرفة وابتغاء الالهام مما في الكون من أسبابها فهو مما يخطر في بال الباحث في حياة رجل صدر عنه عقب هذه الخلوة ماصدر من علم ومعرفة واصلاح ، وارشاد الى النظر والتفكر في آيات السموات والأرض وغيرها ، لم يرو عنه صلى الله عليه وسلم . إنه كان يقصد ذلك ويبتغيه ، ولا روى عن أصحابه وأترابه الذين كانوا يعرفون سيرته الطاهرة ، وآمنوا به كأبى بكر وعثمان وعميه حمزه والعباس ، ولا عن ربيبه وصفيه وابن عمه علي ، ولاحبه ومولاه زيد بن حارثة رضى الله عنهم جميعا)[2] .

أما الشبهات التى وجدتها في نصوص كتاب درمنغام (حياة محمد) زيادة على ماذكره الشيخ رشيد وهى في الواقع ليست جديدة ، بل رددها من قبله اعداء الاسلام على مر العصور ، وهذا المستشرق (درمنغام) يوهم القارئ

---

(١) عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت(أول مابدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصالحة في النوم فكان لايرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فتحنث فيه - وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل أينزع الى أهله ويتزود لذلك ، ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق في غار حراء فجاءه الملك فقال اقرأ ،قال ما أنا بقارئ.....الخ . صحيح البخارى جا - ٢ ص الطبعة الأولى دار الفكر.

(٢) الوحى المحمدى ص١٠٦.

بأنه يعترف بالحقائق الدينية التى جاء بهامحمد صلى الله عليه وسلم ثم يدس الشبهة في هذا النصوص مثال ذلك قال (وكان محمد أكمل الأزواج) فهذا الرجل الذى سيكون هوى النساء شديدا عنده ، فلا يكاد يكتفى باثنتى عشرة امرأة عند بلوغه الستين من عمره)[١]، وهذه الفرية والاتهام الظالم ، قد افتراه وسبقه اليه أجداده الغابرون من اليهود والنصارى والمشركين والكفار على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما قالوا (إنه لو كان نبيا حقا لشغله أمر النبوة عن النساء فرد الله عليهم بقرآن يتلى على مر الزمان قال تعالى(ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية)[٢] .

وهذه المقالات المزعومة من قبل المستشرقين ليست وليدة أفكارهم وانما هى مقالات قديمة ،قد اتهم شخص الرسول صلى الله عليه وسلم بأبشع الكلام عندما قالوا إنه يقول (حبب الى من دنياكم النساء)[٣]وحذفوا بقية الحديث ، وقالوا لقد كان محمد رجلا شهوانيا ... يسير وراء شهواته وملذاته ويمشى مع هواه ولم يكتف بزوجة واحدة أو بأربع كما أوجب على اتباعه، بل عدد الزوجات فتزوج عشرة نسوة.... الى آخر ماهنالك من المفتريات الجائرة. ولم يعلم هؤلاء الحكمة من ذلك،منها الحكمة التشريعية،والحكمة الاجتماعية،والحكمة التلعيمية،والحكمة السياسية،.....الخ وهذه الأمور يدركها كل انسان منحه الله العقل والتفكير ومن الشبهات التى أثارها درمنغام قوله (وكان من أمر مفسرى القرآن أنهم لم يألوا جهدا في إنكار مابين الديانتين ،يعنى الاسلام والمسيحية) من أوجه الشبه أو في تصغير هذه الأوجه بدلا من إظهارها)[٤] وقال مرة أخرى (والحق أن النصرانية تشمل الاسلام وتضيف اليه الشئ وأنه لاتناقض بين الديانتين[٥]، وفي هاتين المقالتين لدرمنغام اتهم المفسرين بالتعصب

---

(١) درمنغام حياة محمد ص ٦٩ الطبعة الثانية - الكتب العربية.

(٢) سورة الرعد آية ٣٨.

(٣) أحمد محمد جمال - مفتريات على الاسلام ص ٩٥ ط ٣(١٣٩٥هـ-١٩٧٥م).

(٤) درمنغام -حياة محمد ص ١٤٠.

(٥) نفس المصدر ص ١٤٣.

واتهمهم بأنهم عملوا على طمس الحقائق الموجودة في الديانة المسيحية وأنه ليس بين الاسلام والمسيحية فروق في نظره بل في المقالة الأخيرة يفهم منها أن الدين المسيحى عام شامل لما جاء به الاسلام ،وفيه الزيادة التى تعنى عند درمنغام ومن وافقه الافضلية على دين الاسلام ، ونقول لدرمنغام ومن نهج نهجه هل يستطيع أن يأتى بخصلة واحدة في دين النصرانية يفضل بها دين الاسلام ؟ شتان بين مافي النصرانية اليوم من تخريف وتحريف وبين مبادىء الاسلام السمحة الذى هو دين الله (إن الدين عند الله الاسلام)(١) (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين)(٢) ان روح التعصب التى تساور نفسه ويكنها ضميره جعلته يقول هذا الكلام الذي جنح فيه عن الحقيقة وأغمض عينيه عنها. وهذا قول المنصفين الذين اعترفوا بالحق وقالوا الحقيقة .

قال (الاسكندر كاستفليس : الذي كان قنصل دولتى روسية والمانية معا للشيخ محمد رشيد رضا إن في الاسلام فضائل كالجبال أو اشمخ وأرسخ. ولكنكم دفنتموها حتى لاتكاد تعرف أوترى ،ونحن عندنا شيء قليل ضئيل (يعنى في دين المسيحية) ككلمة (حب الله والقريب) فمازلنا نمطه ونمده ونقول الفضائل المسيحية ، حتى ملأ الدنيا كلها).(٣) هذه حقائق لايمكن لدرمنغام واضرابه إنكارها ثم أثار هذا المستشرق بعد ذلك مجموعة من الأباطيل والمفتريات على شخص الرسول صلى الله عليه وسلم منها قوله (واستطاع محمد أن يتعرف بعدد غير قليل من النصارى بمكة كالموالى الذين كان أكثرهم من الاحباش والروم والاقباط ، وعرب القبائل النصرانية وكان يجلس في الغالب بالقرب من جبر الرومى الذى كان يصنع هو ورفيقه يسار الرومى السيوف في المروة لحساب سيدهما عامر ابن الحضرمى .....وكان النبى يستشهد بما عند النصارى من أخبار ثم كان زيد من قبيلة بنى كلب النصرانية ، وكانت ماشطة خديجة نصرانية .... ومما لامراء

---

(١) سورة آل عمران آية ١٩.

(٢) نفس السورة آية ٨٥.

(٣) الوحى المحمدى ص ١٩٥-١٩٦ ،درمنغام - حياة محمد - ص ١٢٤-١٢٥.

فيه أيضا أنه كان للنصرانية أثر في محمد وأن سورة الروم تحمل العطف على النصارى[١] ا.هـ.

هذه مجموعة من أباطيل درمنغام المجرم الذى يقصد من مقدماته ومزاعمه الوصول الى القدح في الوحى ويلمح في شبهاته هذه التى أشارها بأن محمدا أخذ عن أهل الكتاب وأن كثيرا من التعليمات والمبادىء الاسلامية مستفادة من النصارى ، وقد ذكر الشيخ رشيد رضا جملة قواعد بعد أن ذكر مقدمات درمنغام ومحاولته في تشويه صورة الاسلام والوحى القرآنى بالذات وفند تلك الحجج والمزاعم وعقد بابا بيّن فيه كيفية تلقى النبى الوحى بما صح عنه صلى الله عليه وسلم من الأحاديث الصحيحة والاخبار الثابتة وقال إن درمنغام قد خلط فيما بين النصوص ولم يفرق بين الصحيح والضعيف ،وأنه لم يوفق في الوصف الموضوعى . وبعد رده على درمنغام قال ان الغربيين ومن وافقهم قد استنبطوا جملة قواعد بزعمهم من تاريخ الرسول صلى الله عليه وسلم وحالته النفسية والعقلية ، وحالة قومه ووطنه ، وما تصوروا أنه استفاده من اسفاره وماكان من تأثير خلواته وتحنثه وتفكيره كما سبق ذكره وبيانه في المطلب الثانى ، وبين رحمه الله كيف يستنبطون تلك الشبهة في ثمانية وجوه ، تعتبر تكرار لمقدمات درمنغام أو مستوحاة منها ، ثم فند تلك المزاعم والتى يصورون بها الوحى وكيف أن أكثر المقدمات التى أخذوا منها تلك النتائج هى أن القرآن وحى نفسى من تخيلات محمد ، وهذه هى النتيجة التى يريدون الوصول اليها ثم قال إن أكثر المقدمات التى أخذوا منها . هذه النتيجة لاتستند الى دليل ، وإنما هى آراء متخيلة أو دعاوى باطلة ،لا قضايا تاريخية[٢] ثابتة .

وفي ختام هذا المطلب نقول إن رد الشيخ رحمه الله كان جميل ومقنع ومستندا الى الدليل والبرهان وان كان فيه تداخلا وتكرارا بينه وبين رده على مقدمات درمنغام ماسوف نبينه ان شاء الله في الفصل الأخير.

---

(١) درمنغام ـ حياة محمد ، ص ١٢٤ـ١٢٥.

(٢) الوحى المحمدى ص ١٢٠.

الفصل الثالث

الدعوة في الكتاب ، ورأى المؤلف في بعض المسائل

ويتضمن ثلاثة مباحث :-

المبحث الأول : محاسن الاسلام ، ومزاعم المستشرقين والمنصرين .

ويشتمل على مطلبين :-

المطلب الأول : الدعوة الى الاسلام وتبين محاسنه .

المطلب الثانى : الرد على مزاعم المستشرقين والمنصرين .

المبحث الثانى : حرية الفكر ومحاربة الجمود الفكرى .

ويشتمل على مطلبين :-

المطلب الأول : الدعوة الى حرية الفكر في إطار النص الشرعى .

المطلب الثانى : ذم التقليد والجمود الفكرى .

المبحث الثالث : يناقش فيه الولاية والكرامة .

ويشتمل على مطلبين :-

المطلب الأول : تعريف الولاية والكرامة ومذاهب الناس في ذلك .

المطلب الثانى : رأى المؤلف في الولاية والكرامة وتبيين وجه الحق في ذلك

المبحث الأول

محاسن الاسلام ، ومزاعم المستشرقين والمنصرين

ويشتمل على مطلبين :-

المطلب الأول : الدعوة الى الاسلام وتبين محاسنه .

المطلب الثاني : الرد على مزاعم المستشرقين والمنصرين .

المطلب الأول

الدعوة الى الاسلام وتبين محاسنة :

الدعوة : بمعنى التبليغ : اسم من الفعل دعا . والدعاء في اللغة : الرغبة الى الله فيما عنده من الخير والابتهال اليه بالسؤال . وقد ورد لفظه في القرآن الكريم في آيات بمعان متعددة منها قوله تعالى (ادعوا ربكم تضرعا وخفية)(١) والذى يهمنا من معان الدعوة ، الدعوة بمعنى التبليغ والبيان ، ونقل هداية الله الى الناس ، وقد وردت بهذا المعنى آيات كثيرة منها قوله تعالى (ومن أحسن قولا من دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين)(٢) . وقوله (قال ربي إني دعوت قومي ليلا ونهارا)(٣) وقوله تعالى (قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني)(٤) . والدعوة المرة الواحدة من الدعاء، وفيه حديث الرسول صلى الله عليه وسلم (فان دعوتهم تحيط من ورائهم)(٥) . والداعى هو الذى يقوم بأمر الدعوة ويتحمل اعباءها ومسئوليتها، وهو اسم فاعل ، ولفظ الدعوة صالح لأن يستعمل في الخير والشر لذا فان التعريف الاصطلاحى يميزها .

أما الدعوة في الاصطلاح : للدعوة في المصطلح الاسلامى تعريفات متعددة نورد منها مايأتى :

قال البهى الخولى(هى نقل الأمة من محيط الى محيط ، تلك هى مهمة الداعية ، فيها يندرج مجمل منهاجه ومفصله ، ومن ظنها غير ذلك فقد جهل نفسه ورسالته(٦) وعرفها الدكتور رؤوف شلبى بقوله (الدعوة الاسلامية حركة

---

(١) سورة الاعراف آية ٥٥.
(٢) سورة فصلت آية ٢٤.
(٣) سورة نوح آية ٥.
(٤) سورة يوسف آية ١٠٨.
(٥) ابن ماجه باب المناسك - ٧٦ ج٢ ص ١٠١٦- تحقيق فؤاد عبد الباقى ط(١٣٩٥هـ)
(٦) تذكرة الدعاه للبهى الخولى ص ٣٥ ط ٥ (١٣٩٧هـ) دار القلم بيروت .

حركة احياء للنظام الالهى ، الذى أنزله الله عز وجل على نبيه الخاتم (١)
وعرفها الشيخ أبو بكر ذكرى في كتابه الدعوة الى الاسلام بقوله (هى قيام العلماء المستنيرين في الدين بتعليم الجمهور من العامة مايبصرهم بأمور دينهم ودنياهم على قدر الطاقة) (٢) .

وخلاصة القول من هذه التعريفات : بأن الدعوة الى الله هى :-

تبليغ الناس جميعا دعوة الاسلام ، وارشادهم اليه قولا وعملا في كل زمان ومكان بأساليب ووسائل تتناسب مع المدعوين على مختلف أجناسهم وأوطانهم ، فان دين الاسلام الذى ارتضاه الله لعباده وجعله سمحا وسهلا ميسرا ومحببا الى النفس البشرية ، مما يجعلها تقبله بعد أن تدرك مبادئه العادلة ، وفضائله الجمه ، والتى لاتعقيد فيها ولا غلو والتى تجمع بين مطالب الروح وملذات البدن ، فاذا كانت النفوسمتميزة بالخصائص التى جبلت وخلقت عليها (الفطرة) بعيدة عن مؤثرات العادات والاعراف الموروثة ،سالمة من ميول السلوك ونوازع الانحراف الخارجية ،فانها حينئذ تنقاد للحق وتذعن له وتقبله والشواهد على ذلك كثيرة منها ، ما صدع به الرسول من أمر الدعوة الى الاسلام وعبادة الله وحده ، حتى انضوى تحت لواء دعوته عدد من المسلمين يمثلون وحدة العقيدة ، ووحدة الأمة ، ووحدة الهدف ، ونبذ هؤلاء أسباب التفرقة التى كانت في نفوس البشر بسبب الجنس والعرق والفوارق الاجتماعية والطبقية والعقائد ، ومن هؤلاء الابطال ، بلال الحبشى وصهيب الرومى ، وسلمان الفارسى ، الذين انضموا الى قافلة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، حينما نشروا دعوة الاسلام ورفعوا رايته خفاقه في أرجاء المعمورة . وعندما ينظر المرء ويتأمل في أسباب التفرقة ، يجد أن الأصل في ذلك الخروج على مبدأ وحدة الدين ، هو الذى سبب التفرق والاختلاف والبغض والعدوان فيما بين هذه الأمم والمجتمعات الانسانية مما جعل كل جماعة أو فرقة

---

(١) د. رؤوف - الدعوة الاسلامية في عهدها المكى وغاياتها ص ٣٢.

(٢) أبو بكر ذكرى - الدعوة الى الاسلام ص ٨ - مكتبة دار العروبة مصر.

يحرفون الدين حتى يوافق رغباتهم وميولهم البشرى الذى يزعمون أنه مصالح.

فان رسالة محمد صلى الله عليه وسلم جاءت باظهار حقيقة الدين الذى هو الاسلام ، ودعوة الناس اليه جميعا (يا أيها الناس إنى رسول الله اليكم جميعا) (١) (إن الدين عند الله الاسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ماجاءهم العلم بغيا بينهم) (٢) فإن دين الله واحد (عبادة الله وحده) وقد جاء دين الاسلام يؤكد هذه الحقيقة ويبين الاختلاف الذى حصل في اليهودية والمسيحية وحصول الافتراق والاختلاف بين هذه الأمم بسبب تحريفها لكلام الله ودينه بعد أن دعا الجنس البشرى الى وحدة الدين ووحدة الأمة قال تعالى(شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) (٣) .وفي الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الأنبياء أخوة من علات ، وأمهاتهم شتى ودينهم واحد) (٤) الحديث . ومن هذه الأدلة يتضح أن دين الله واحد، وهو افراد الله تعالى بالعبادة وحده وهو الدين الذى أنزل به كتبه وأرسل به رسله ، وأن الدعوة الاسلامية جاءت بأصول الديانات السابقة ومبينة لما اعتراها من تحريف وتبديل ، وداعية الناس الى دين الله الذى هو الاسلام ومبلغة الدعوة الى الناس في أقطار الأرض فأشرقت بنور ربها، وانجلت ظلمتها وامتلأت عدلا ودخل الناس في دين الله أفواجا فهى دعوة لكل الناس لايختص بها انسان دون انسان ولا جماعة دون جماعة ولا أمة دون أمة ولا جنس دون جنس ولا جيل دون جيل ، وإنما هو دين الاسلام جاء للناس جميعا على اختلاف ألوانهم ولغاتهم ، وأوطانهم ، شرائعه شاملة لنظام الحياة وقوانين المجتمع بما فيه من النواحى العقائدية ، والعبادية ، والسياسية والاجتماعية والاقتصادية ، يعيش الناس تحت مظلة عدله ومساواته ، سواسية كأسنان المشط

---

(١) سورة . لاعراف آية ١٥٨

(٢) سورة آل عمران آية ١٩

(٣) سورة الشورى آية ١٣.

(٤) صحيح مسلم ،ج ٤ ص ١٨٣٧ ط ٢(١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م) دار الفكر ، بيروت .

عبدا لله وحده ، ماض فيهم حكمه ، لا فضل لأحد على أحد الا بالتقوى،كما أمرنا ربنا عز وجل (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن اكرمكم عند الله أتقاكم)[١] . وقال تعالى (ومن يبتغى غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين)[٢] . فإن الأديان المنتشرة في الأرض من اليهودية والمسيحية والمذاهب المتعددة التى جاءت تبحث عن الحق والعدل وتزعم أنها صاحبة ذلك ، قد بنت كيانها وحياتها على العنصرية والتفرقة الطائفية والمذاهبية التى أفسدت على الناس حياتهم ، وجعلتهم يعيشون في ضنك العيش تحت ظلم الإنسان لأخية الإنسان،ففقدت العدالة والمساواة والحرية وكثير من الحقوق ، وانتهكت كرامة الإنسان التى نادى الاسلام باحترامها وصيانتها ، وجاءت تعاليمه لاسعاد البشرية جميعا دون تفرقة وتتميز بين أجناس البشر. وبعد هذا الاستعراض الموجز لدعوة الاسلام ، فان الشيخ محمد رشيد رحمه الله قد طرق هذا الموضوع في كتابه (الوحى المحمدى)[٣] بشكل عام تناول فيه جوانبا متفرقة من جوانب الحياة وموقف الاسلام منها ، وبين محاسنه على غيره من الأديان والمذاهب الأخرى وفي المقصد الثالث والرابع والخامس من مقاصد القرآن الكريم التى أوردها في الفصل الخامس من كتابه (الوحى المحمدى) قد ذكر دعوة الاسلام العامة لكل أجناس البشر وبين أن دين الاسلام جاء جامعا لمحاسن الأديان والقوانين والمذاهب التى عرفها الناس على وجه الأرض ، حيث تناول في المقصد الثالث وتحت عنوان إكمال نفس الإنسان من الأفراد والجماعات والأقوام ، ووضع عدة فقرات ، تحت عنوان المقصد فقال : الاسلام دين الفطرة ، الاسلام دين العلم والحكمة والفقه ، الاسلام دين الحجة والبرهان ، الاسلام دين القلب والوجدان وغيرها من الفقرات ثم شرح هذه الفقرات شرحا وافيا مؤيدا بالأدلة والبراهين

---

(١) سورة الحجرات آية ١٢.

(٢) سورة آل عمران آية ٨٥.

(٣) رشيد رضا - الوحى المحمدى ، ص ٢٣٧ - ٢٨٣ - تفسير المنار ج ٩ ص ٤١٩.

النقلية والعقلية والعلمية والنظرية يصعب ايراد ذلك وابراز خصائص كل فقرة تحدث الشيخ عنها ، ولكن نكتفى بمثال واحد من كلام الشيخ عندما شرح فقرة (د): الاسلام دين القلب والوجدان والضمير. قال بعد أن ذكر مجموعة من الأدلة منها قوله تعالى(الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ، الا بذكر الله تطمئن القلوب)(١) قال (واصفا قلوب المؤمنين بالخشوع والأخبات لله وتمحيصها من الشوائب ، وقلوب الكفار والمنافقين بالرجس والمرض والقسوة والزيغ وعبر عن فقدها للاستعداد للحق والخير بالطبع والختم والرين عليها ..... الى أن قال واذا كان الاسلام دين العقل والبرهان وحرية الضمير والوجدان ، فقد أبطل ماكان عليه النصارى وغيرهم من الاكراه في الدين والاجبار عليه والفتنة والاضطهاد لمخالفيهم فيه)(٢) . وفي المقصد الرابع من مقاصد القرآن الكريم وتحت عنوان الاصلاح الإنسانى الاجتماعى السياسى الوطنى بالوحدات الثمان) ثم ذكر هذه الوحدات فقال (وحدة الأمة - وحدة الجنس البشرى - وحدة الدين - وحدة التشريع بالمساواة في العدل - وحدة الاخوة الروحية والمساواة في التعبد - وحدة الجنسية السياسية الدولية - وحدة القضاء - وحدة اللغة)(٣) ثم قال (جاء الاسلام والبشر أجناس متفرقون يتعادون في الانساب والألوان واللغات والاوطان ، والاديان والمذاهب والمشارب والشعوب ، والقبائل ، والحكومات والسياسات ، يقاتل كل فريق منهم مخالفة في شيء من هذه الروابط البشرية ، وأن وافقه في البعض الآخر ، فصاح الاسلام بهم صيحة واحدة دعاهم بها الى الوحدة الانسانية العامة الجامعة ، وفرضها عليهم ونهاهم عن التفرق والتعادى ، وحرمه عليهم ....) ثم وضع لهذه الوحدات الثمان أصول وتكلم عن كل أصل مستشهدا بالأدلة والنصوص الشرعية من كتاب وسنة وحوادث تاريخية وبراهين عقلية ونقلية .

---

(١) سورة الرعد آية ٣٠.

(٢) رشيد رضا - الوحى المحمدى ص ٢٥١-٢٥٢.

(٣) نفس المصدر ص ٢٥٧.

أما محاسن الاسلام ومزاياه ، فقد تكلم المؤلف رحمه الله في المقصد الخامس من مقاصد القرآن عنها تحت عنوان مزايا الاسلام العامة والتكاليف الشخصية من الواجبات والمحظورات ثم اجملها في عشر قواعد نذكرها على سبيل الايجاز دون التفصيل :-

قال ما ملخص كلامه :- كونه وسطا جامعا لحقوق الروح والجسد ومصالح الدنيا والآخرة وكون غايته الوصول الى سعادة الدنيا والآخرة وتزكية النفس بالايمان الصحيح ، ومعرفة الله والعمل الصالح ، ومكارم الأخلاق ، ومحاسن الأعمال - وكون الفرض منه التعارف والتآلف بين البشر - وكونه يسرا لا حرج فيه ولا عسرا ولا ارهاق - ومنع الغلو في الدين - وقلة تكاليفه وسهولة فهمها وانقسامها الى عزائم ورخص - وكونه مراعيا درجات تفاوت البشر في العقول والفهم ومعاملة الناس بظواهرهم ، والسرائر موكولة الى الله سبحانه - ومدار العبادات كلها على اتباع ماجاء به النبى صلى الله عليه وسلم في الظاهر ، فليس لأحد رأى شخص ولا رياسة ثم قال في الختام كل واحدة من العشر القواعد جديرة بأن تجعل مقصدا خاصا من مقاصد الوحى ، ويستدل بها على أنه من عند الله عز وجل ، لا من الآراء والالهامات النفسية لمحمد صلى الله عليه وسلم)[1] ، وقد تحدث المؤلف عن هذه المزايا العشر مستدلا على سماحة الاسلام ويسره وسهولته وشموليته لمصالح البشر وعلاج مشاكلهم واصلاح شئون حياتهم وسعادتهم ، وبالاضافة الى ماذكره المؤلف نقول إن هذه المحاسن العشر التى تحدث عنها ان كل واحدة منها جديرة بأن تجعل مبحث مستقل والمؤلف قد بذل قصار جهده لابراز واظهار دعوة الاسلام ومحاسنة ومزاياه ،ووجه الدعوة الى غير المسلمين ودعاهم لاعتناق الاسلام ، ودحض شبهات المغرضين وأعداء الاسلام ، محاولا اقناع المدعوين ، بالحجة والبرهان والدليل العقلى والمنطقى ، مستشهدا بالحوادث التاريخية ،والنظريات العلمية ،كما هو واضح من مواضيع كتاب الوحى المحمدى وفي نهاية هذا المطلب نجمل محاسن الاسلام فنقول :-

---

(١) رشيد رضا ، الوحى المحمدى ، ص ٢٦٧-٢٧٢.

أ- إن الإسلام جاء بالشمول والاحاطة بمتطلبات الحياة والروح والجسد.

ب - دعا الى التكامل والترابط وازالة الفوارق من المجتمع الاسلامى .

ج - فيه الواقعية وسهولة التطبيق ودعا الى تثبيت مبدأ العدل والمساواة والحرية .

د- فيه الإيجابية والحركة المستمرة ، ويحارب الاتكالية والانعزالية.

هـ - جاء بأهداف واضحة وغايات سامية ، تدعو البشرية الى مافيه صلاح دنياها وآخرتها .

المطلب الثانى

ذكر بعض مزاعم المستشرقين والمنصرين والرد عليها :

قبل أن أذكر تلك المزاعم أود أن أشير الى حقيقة تاريخية وهى أن ارتباط تاريخ المستشرقين مرتبط ارتباطا وثيقا بتاريخ التنصير ، وهما لاينفصلان عن تاريخ الاستعمار السياسى والعسكرى والفكرى والأخلاقى والاقتصادى اذ هما أداة فعالة لتنفيذ وتحقيق أهداف ومطامع الدول الغربية ، وان اتخذا شعارات زائفة ومضللة باسم البحث الأكاديمى والبحث العلمى ، والمنهج العلمى ، وحرية البحث ، والحيدة العلمية ....الخ هذه الأقنعة التى يتخذ منها ستارا لتشويه الاسلام ، وتشكيك معتنقيه في صحة تعاليمه ، وبالتالى يتحقق مايهدفون اليه ، وان كان هناك فرق بين المستشرقين والمنصرين، فإن المستشرقين عادة ، يدعون البحث العلمى ، والمنهج العلمى في الشبهات التى يثيرونها عن الاسلام ، بينما سلك المنصرون طريقا مغايرا لمنهج المستشرقين وذلك بأخذهم الشبهات التى تثأر من قبل المستشرقين عن الاسلام وإظهارها ونشرها بقصد تشويه الاسلام ونظام الحياة العامة عند المسلمين ونظامهم الاجتماعى ، وتعاليم دينهم بشكل عام وإظهار دين المسيحية خير من دين الاسلام في نظام الحياة والسلوك الاجتماعى والأخلاقى والأدبى وغيره.(١)

ولكن المستشرقين خانوا المنهج العلمى والحيدة العلمية النزيهة المجردة التى يدعونها ، وأحلوا بدلا منها الأهداف والميول والرغبات وحكموا العواطف في تحاملهم على الاسلام ، والمنصرون غمطوا الحق وأخفوا الحقيقة التى جاء بها دين الاسلام ، وحاولوا تشويهه وألبسوا ثوب الفضيلة والكمال المسيحية.

وهنا نذكر طائفة من مزاعم الفريقين بشكل مجمل :

- محاولة تشويه شخص الرسول صلى الله عليه وسلم واثارة الشكوك حول دعوته بشكل عام وقد سبقت الاشارة الى بعض هذه المزاعم في الفصل الثانى .

---

(١) د. محمد البهى - الفكر الاسلامى - الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ص ٤١٧-٤١٨ ، ط ٩ - مكتبة وهبة مصر، - وكتاب الدكتور عبد العظيم الديب ، المستشرقون والتراث ص ٢٧ ط ١مكتبة ابن تيمية البحرين .

أ- قولهم إن دين الاسلام لا جديد فيه ، وان أصوله مستقاة من الديانات الأخرى مثل اليهودية والنصرانية والزرادشتيه .

ب - الحياة العقلية والفكرية لدى العرب غير قادرة على البحث العقلي الموزون لأنهم فطروا على البساطة ، ومبادىء دينهم تدعوا لذلك .

جـ - قولهم إن دين محمد مبنى على التبعية والخضوع .

د - محاولة تشويه وتزوير بعض الحوادث التاريخية الاسلامية ، واثارة الشكوك حول الحضارة الاسلامية .

هـ - محاولة تشويه نظام الحياة الاجتماعية الاسلامية والتراث الاسلامي بشكل عام ومن ضمنها اللغة العربية وآدابها .

و - ومن ضمن تلك المزاعم ان الاسلام ظلم المرأة وذلك بإجازته التعدد في الزواج بالنسبة للرجل واباحته للطلاق ، وكذلك قولهم إن محمدا أقام مملكته أو ملكه بسيفه الدامى وأن القرآن فيه تناقض وذلك بين السور المكية والمدنية وأن استقبال النبى لبيت المقدس في بداية الاسلام كان ترضية لليهود وأن ماذكر في القرآن من تحريف للتوراة والانجيل كان بايعاز من اليهود بالمدينة .....الخ هذه المزاعم والمفتريات والضلالات على الاسلام ونبيّه وأهله ، ومايريدون من تشويه لصورة القرآن الكريم الناصعة ، والسنة والسيرة النبوية ،ومايثيرونه من شكوك وشبهات حول العقيدة والشريعة والتاريخ الاسلامى . وهنا في هذا البحث البسيط لانستطيع احصاء تلك الأكاذيب والمزاعم التى تثار من قبل أعداء الاسلام بين الحين والآخر. وكذلك الرد على كل واحدة من تلك الأباطيل ، ولكننا نذكر مثالين فقط لتلك المزاعم مع الرد عليها ونكتفى بذلك وبالله التوفيق .

الفرية الأولى :

قولهم بأن الاسلام نسيج مشوه استمده محمد من المصادر اليهودية

والمسيحية والزرادشتية وتوضيح لهذه الضلالات يقول المستشرق اندراى نـــــون[١] (لاشك أن الأصول الكبرى للاسلام مستقاه من الديانتين اليهودية والمسيحيـــة وهذه حقيقة لايحتاج اثباتها الى جهد كبير)[٢] ويقول مستشرق آخر: اندرســون (ليس من شك في أن محمدا اقتبس أفكاره من مصادر التلمود وكتب الأساطيـــر اليهودية والمصادر المسيحية)[٣] ، ويقول مستشرق ثالث : ترتون[٤] (الصـوم أول ماشرع كان تقليدا لما عند اليهود ثم بدل وغير وصار شبه بصوم النصارى مع شيء من التغاير) ويقول أيضا (إن فكرة صلاة الجمعة اقتبسها الرســـول من الزرادشتيه)[٥] ، وقد جمع ولخص هذه المفتريات جولد تسهير[٦] في عبـارة

---

(١) اندراى (١٨٨٥م-١٩٤٧) تخرج من جامعة أوساله - وسمى استاذا للعلوم الدينية في جامعة استوكهلم ، من آثاره العلمية الكنائس النسطورية الحيرة واليمن وأثرها في الاسلام ، وكتاب الرسول صلى الله عليـــه وسلم (محمد حياته وعقيدته وله كتاب القصص في الاسلام ، والتصـوف وغيرها - نجيب العقيقى - المستشرقون ج٣ ص ٨٩٥.

(٢) الدكتور عرفان عبد المجيد - المستشرقون والاسلام - ص ٢٣.

(٣) نفس المصدر ص ٢٤ نقلا عن كتاب المؤلف ديانـات العالم ص ٥٩ - لندن عام ١٩٥٠م.

(٤) ترتون أرتر ستانلى(١٨٨١م) تعلم في كلية ماتسفلد والقدسه كاترين واكسفورد وغيرها ، وتعلم في مدرسة الأصدقاء بلبنان ،عين مساعـد استاذ للعربية في ادنبرا عام(١٩١١م) وجلاسجو(١٩١٩م)ومدرســـة الدراسات الشرقية والأفريقية بلندن عام(١٩٣١م) وجال في الوطـــن العربى عدن وسوريا، لبنان ،من آثاره : الزيديه بصنعاء اليمـــن الخلفاء ورعاياهم من غير المسلمين وعلم نفسك العربية وعلم الكلام فيالاسلام ، العقيدة ومزاولتها عند العرب المسلمين، الذى كتب المقال المشار اليه فيه والذى طبع بلندن عام (١٩٥٧م) وله كثير مـــن المؤلفات والبحوث والمقالات . نجيب العقيقى ج٢ ص ٥٣٨.

(٥) المستشرقـون والاسلام ص ٢٥ ، نقلا عن كتاب العقيـدة ومزاولتهـــا عند العرب المسلمين ص ١٨-١٩.

(٦) جولد تسيهر سبقت ترجمته في ص

صغيرة فقال (تبشير النبى العربى ليس الا مزيجا من معارف وآراء دينية عرفها واستقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها والتى تأثر بها تأثرا عميقا)[١].

الدليل من القرآن : على بطلان هذه المزاعم : ان دعوى أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم تعاليم دين الاسلام وأصول دعوته من اليهودية والمسيحية والزرادتشتية فرية قديمة أطلقها وتكلم بها مشركى قريش الذين عاصروا الرسول ودعوته عليه السلام ، وقد أخبر الرب جل وعلا بذلك في قوله تعالى (ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون اليه أعجمى ، وهذا لسان عربى مبين)[٢] ، ورد الله هذه الدعوى المضلة التى لاتستند الى دليل وإنما منشأها الشهوات والرغبات واتباع الشيطان وعدم الاذعان الى الحق وقبوله فقال تعالى (وإنه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين ، على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين)[٣]. لقد حار أمر المستشرقين والمنصرين معا في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم مثلما حصل لأسلافهم الجاهلين من قبل أينسبون القرآن والوحى الى غيره ، أو يزعمون أنه تلقفه من احبار اليهود والنصارى وغيرهم من السحرة والكهان ؟ أو يرمونه بالصرع وعدم اتزان العقل؟ ان هؤلاء المستشرقين ومن وافقهم من المنصرين وغيرهم ، يختلقون الضلالات والشبهات ويزيفون الحقائق ويحرفونها ثم يقدمونها على انها حقائق علمية لا جدال فيها قال تعالى (فلا أقسم بما تبصرون ومالا تبصرون ، إنه لقول رسول كريم ، وما هو بقول شاعر قليلا ماتؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ماتذكرون،تنزيل من رب العالمين)[٤] ثم إن من الثابت والمنقول والمحفوظ عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه لم يتصل بأحد من اليهود ولا النصارى قبل نزول الوحى وكذلك

---

(١) المستشرقون والاسلام ص ٢٥-٢٦.
(٢) سورة النحل آية ١٠٣.
(٣) سورة الشعراء آية ١٩٢-١٩٤.
(٤) سورة الحاقة آية ٣٨-٤٣.

حين نزوله بمكة ، ولذلك يتبين أن هذه المزاعم لا أساس لها ولا مستند من الدليل وهذا مثال من الأحاديث الصحيحة التى تروى لنا كيف بدء الوحى وكيفية تلقيه صلى الله عليه وسلم لذلك .

الحديث الأول : روى البخارى عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أن الحارث بن هشام رضى الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :يارسول الله كيف يأتيك الوحى ؟ فقال صلى الله عليه وسلم (أحيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس وهو أشده ، فيفصم عنى وقد وعيت عنه ماقال . وأحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فأعي مايقول) قالت عائشة رأيته ينزل عليه الوحى في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا"[١].

الحديث الثانى : روى البخارى عن جابر بن عبد الله الأنصارى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال وهو يحدث عن فترة الوحى ، فقال في حديثه (بينما أنا أمشى إذا سمعت صوتا من السماء فرفعت بصرى فإذا الملك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسى بين السماء والأرض ، فرعبت منه ، فرجعت فقلت زملونى زملونى ، فأنزل الله تعالى(يا أيها المدثر قم فأنذر - الى قوله والرجز فاهجر) فحمى الوحى وتتابع)[٢] .

الرد العقلى والمنطقى : نقول لو كان على سبيل الافتراض أن الرسول صلى الله عليه وسلم أخذ القرآن والأحاديث أيضا عن احبار اليهود والنصارى لما أعاب عليهم عباداتهم عندما نسبت اليهود عزيز بن الله ،ونسب النصارى المسيح ابن الله . فكذبهم الرب جل وعلا بقوله تعالى(وقالت اليهود عزيز بن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله)[٣] الآية ولما أعاب على النصارى عبادتهم في التثليث ووصفهم الرب جل وعلا بالكفر والمروق من الدين بقوله تعالى (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد)[٤] الآية

---

(١) فتح البارى شرح صحيح الامام البخارى ج ١ ص ١٨ مكتبة الرياض الحديثة .
(٢) نفس المصدر - ج١ ص ٢٧.
(٣) سورة المائدة آية ٣٠.
(٤) سورة آية ٧٣.

ولما وصفهم بأنهم ضلال ووصف اليهود بأنهم مغضوب عليهم ، وقال إنهم يحرفون الكلام عن مواضعه ، وبالجملة أثبت انهم على باطل ومنحرفين عن الحق ثم لوافترضنا أنه أخذ عن اليهود والنصارى أو غيرهم، لاتخذه كفار قريش حجة وبرهانا ضد رسالته، وأصبحت هذه الدعوى يتناقلها الأجيال ، هذه بعض الأدلة والبراهين التى تثبت ان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يأخذ أو يتلقى شيئا عن أصناف البشر الموجودين حين بعثه، من مشركين ويهود ونصارى ، وفرس وغيرهم ، ولكن الثابت عنه والمحفوظ أنه قد سفه أحلامهم وهدم معبوداتهم ، وخاصة كفار مكة وما حولها ، وقد أخبر القرآن الكريم أنهم على باطل وهو كلام الله الذى (لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) (١) فعلم ان هؤلاء المستشرقين وغيرهم وانما يجادلون بالباطل ليدحضوا به الحق .

الفرية الثانية :

طعنهم في السنة النبويه ،ومحاولة تشويهها ، وادخال الشكوك والشبهات الى نفوس وقلوب معتقديها بها فانه من المعلوم أن كثيرا من المستشرقين وأغلبهم من المنصرين جندوا أنفسهم واستخدموا جميع مايملكون من الوسائل في حربهم ضد الاسلام ، واستلوا اقلامهم المعبرة عن حقدهم فملأوا الكتب والمجلات والبحوث بزيفهم الباطل ، ونهجهم المنحرف عن الحق، قاصدين من ذلك تشويه صورة دين الاسلام المشرقة ، وتشكيك معتنقيه فيه ، واعطاء فكرة ضالة لمن يقرأ عنه أو يريد أن يعرف عن الاسلام شيئا أو يريد أن يعتنقه والدخول فيه ولذلك نجد طائفة من المستشرقين يلصقون مفترياتهم بالسنة النبوية ومن هؤلاء ماكدونالد (٢) قال هذا المستشرق في دائرة المعارف الاسلامية (يجدر بنا الآن أن نتكلم عن الآراء التى أسندها الحديث الى محمد

---

(١) سورة فصلت آية ٤٢.

(٢) ماكدونالد (١٨٦٣-١٩٤٣م) تعلم اللغات الشرقية في برلين ،طاف في الشرق الأدنى عام (١٩٠٧م) ثمان سنوات ، انشأ بمعاونة المبشر زويمر مجلة عالم الاسلام (١٩١١م) من آثاره كتاب علم الكلام في الاسلام وكتاب عن الدراسات الفقهية وعقيدة الوحى والتصوف الاسلامى والمسيحى له كتابات في الصحف والمجلات ومحاضرات نجيب العقيقى المستشرقون ج٢ ص١٠٠١.

صلى الله عليه وسلم على أننا اذا حاولنا أن نجد في الحديث مانستطيع أن نقطع بصحة نسبته اليه من الوجهة التاريخية فإن عملنا هذا يكون لاغناء فيه على الاطلاق ، فمن الواضح أن هناك أحاديث كثيرة لايمكن أن تكون قد صدرت عنه ، كما أننا لن نستطيع أن نعرف أبدا الأحاديث التى صدرت عنه حقا) ثم يستشهد بمقالة لجولد تسيهر على هذا الخلط والتشكيك . فيقول(قد بيّن لنا جولد تسيهر ان الأحاديث ليست في الواقع إلا سجلا للجدل الدينى في القرون الأولى ، ومن ثم كانت قيمتها التاريخية ، لكن هذا السجل مضطرب كثير الأغلاط التاريخية، وفيه معلومات مضللة لم تؤخذ من مصادرها الأولى[(١)] وجولد تسيهر هو الآخر قد وجه سهامه ومزاعمه إلى أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ورواتها ، وفي ذلك يقول هذا المجرم في إتهامه للإمام الزهرى بأنه كان (مستعدا لأن يضع الأحاديث لبنى أمية ، وأن يكسو رغبات الحكومة باسمه المعترف به عند الأمة الاسلامية ، ولم يكن الزهرى من أولئك الذين لايمكن الاتفاق معهم ، ولكنه كان ممن يرى العمل مع الحكومة فلم يكن يتجنب الذهاب الى القصر ، بل كان كثيرا مايتحرك في حاشية السلطان بل أننا نجده في حاشية الحجاج عندما ذهب الى الحج وهو ذلك الرجل المبغض ..... الخ)[(٢)].

يريد بهذه الأباطيل تنفير الناس من الإمام الزهرى وتشكيكهم في عدالته وورعه ، وزعزعة أحد أعمدة أركان السنة وبالتالى يسهل على جولد تسيهر ومن سار على نهجه المنحرف الذى يقصد من ذلك ابطال طائفة من الأحاديث النبوية التى قامت عليها بعض الأحكام وهذا جوزيف[(٣)] شاخت : صاحب الأفكار

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية ،ج ٤ ، ص ٢٥٥ ط ١ دار الشعب - القاهرة .

(٢) المستشرقون والتراث ص ٢٩ الطبعة الأولى (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م) مكتبة ابن تيمية البحرين .

(٣) جوزيف شاخت المولد عام (١٩٠٢م) تخرج من جامعتى برسلاو وليبزيج وعيّن استاذا في جامعة فرايبورج ١٩٢٧م ، وفي جامعة كوتسيرج عام ١٩٣٢م وفي الجامعة المصرية عام ١٩٣٤م للدراسات الاسلامية في جامعة اكسفورد (١٩٤٨م) ثم استاذا للأحداث العلمية في جامعة الجزائر عام (١٩٥٢م) ثم استاذا في جامعة لندن له مؤلفات كثيرة وخاصة في العلوم الاسلامية منها

=====

الخبيثة التى رمى بها السنة النبوية واصالة التشريع الاسلامى. وهنا نذكر بعض هذه الأفكار الخبيثة المزعومة - منها قوله :-

أ- ان الاسانيد كانت تلصق اعتباطيا ، دون أدنى تفكير.

ب- يرى أنه لايوجد حديث فقهى واحد صحيح .

ج - يقول كل الأحاديث وضعت في القرنين الثانى والثالث .

د- يرى أن الجزء العلوى من اسناد الحديث المتصل برسول الله صلى الله عليه وسلم كذبا محضا.

هـ - يرى بأن الامام الأوزاعى كان ينسب كل ماوجده في عهده من عمل المسلمين الى الرسول(١).

الرد على تلك المزاعم والأكاذيب :

إن تعاليم القرآن الكريم جاءت كاملة وشاملة ، ومهمة الرسول صلى الله عليه وسلم وواجبه التبليغ والتفسير والبيان ، وهذا مانجده في السنة النبوية التى فصل الرسول صلى الله عليه وسلم وبين بعض الاحكام التشريعية والعبادية التى جاء بها القرآن مجملة مثل إقامة الحدود ، وأنصبة الزكاة وكيفية الصلاة وأركانها ومواقيتها ، وكذلك كيفية الحج والصيام وغيرها مما بينه صلى الله عليه وسلم في السنة من شروط وواجبات وتطبيقات لتلك المبادىء العامة التى جاء بها القرآن الكريم فالقرآن والسنة صنوان لاينفك

=== المدخل الى الفقه الاسلامى ، المعجم المفهرس لألفاظ الحديث وكتاب أصول الشريعة المحمدية وغيرها وله كتابات كثيرة في الصحف والمجلات وبحوث ومحاضرات . نجيب - المستشرقون ج٢ ص ٨٠٣.

(١) مجموعة من الكتاب - مناهج المستشرقين في الدراسات الاسلامية ج١ ، ص ٤٠٤ الطبعة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

أحدهما عن الآخر والقرآن نفسه صريح في ذلك قال تعالى(وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزل اليهم ولعلهم يتفكرون)[١]. كما ان هذه المهمة مهمة الرسل قبله أيضا قال تعالى(وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه لبين لهم)[٢] والرسول صلى الله عليه وسلم يقول(أوتيت القرآن ومثله معه) .

اذن نجد أن السنة مبينة وشارحة لتعاليم القرآن الكريم وهي قول الرسول وفعله وتقديراته والمسلمون مأمورون بأتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وطاعته ، قال تعالى(وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهو)[٣] وقال تعالى(من يطع الرسول فقد أطاع الله)[٤] ، هذه النصوص وغيرها الكثير من النصوص التي تثبت طاعة الرسول وتنفيذ أوامره من أمر ونهي لأنه المبلغ عن الله تعالى ولا ينطق عن الهوى قال (تركت فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا: كتاب الله وسنتي)[٥] فكيف بهؤلاء الضلال من كتاب المستشرقين ، والمنصرين المنحرفين الذين يحاولون بشتى الوسائل اثارة الشبهات حول دين الاسلام والحط من قيمته وقيمه ، يريدون بذلك اطفاء نوره الذى أشرق في أرجاء الأرض وأصبحت البشرية تدخل في دين الله أفواجا بعد أن عرفت انه دين الحق ، ولكن هذا الدين أغضب بتعاليمه السمحة الذين يريدونها عوجا كما قد أغضب اسلافهم من قبل من اليهود والنصارى والمشركين . فما زالت هذه الفئات الباغية في القديم وفي الحديث تدبر المكائد وتنسج الأباطيل مستخدمة شتى الوسائل التي تراها مناسبة للنيل من هذا الدين ، فما كان من هؤلاء المنصرين واخوانهم المستشرقين الذين يمدونهم في الغي ثم لايقصرون ، الا ان وجهوا سهامهم الى مصادر الدين ،ويأتي في المقدمة شخص الرسول صلى الله عليه وسلم وبعده الوحي القرآني ثم السنة النبوية ، فتارة يوجهون الطعن الى متن الحديث

---

(١) سورة النحل آية ٤٤.

(٢) سورة ابراهيم آية ٤.

(٣) سورة الحشر آية ٧.

(٤) سورة النساء آية ٨٠.

(٥) موطأ الامام مالك - كتاب النهي عن القول بالقدر ص ٦٤٨.

والتشكيك في الفاظه ، وقولهم إنه يتعارض مع القرآن أو مع الأحداث التاريخية من سيرة النبى ..... الخ وتارة يوجهون المطاعن الى صحة الأسانيد ورمى الرواة العدول من الأئمة بالكذب ونسبة الأحاديث الى الرسول صلى الله عليه وسلم كذبا واعتباطا ، كما سبقت الاشارة اليه ونقول أن رجال الحديث النبوى انفردوا في تاريخ الفكر الانسانى وبخاصة تاريخ تدوين السنة النبوية وغيرها من أخبار السيرة العطرة بنظام البحث والتدقيق في الرواية وبالجرح والتعديل للرواة حتى غربلوا ماروى عن نبي الاسلام عليه الصلاة والسلام غربلة نادرة ، لا مثيل لها في تاريخ الأنبياء والمرسلين ،وتاريخ الأمم ومن نتيجة ذلك النظام الدقيق في ضبط الأحاديث النبوية وتوثيقها عرف الناس الأحاديث الصحيحة والضعيفة ،والموضوعة ، والمنكرة ، والشاذة وغيرها وألفت كتب عظيمة وكثيرة في الأسانيد ، ومثلها في تراجم الرجال حتى أصبح بالامكان لأى باحث عن حقيقة وصحة أى حديث منسوب الى الرسول صلى الله عليه وسلم أن يعرف صحة سنده ، ومتنه ، ومدى درجة عدالة رجاله أو عدمها. وقد رد العلماء أحاديث كثيرة تنسب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لضعف سندها أو متنها ، وأن هذه الأحاديث المردودة لضعفها تعتبر أقوى من مصادر الديانة النصرانية واليهودية إذا قورنت بها ، ثم إن علماء الحديث وضعوا أدق الضوابط واعدل الموازين لمعرفة صحة متن الحديث وسنده ، لم يعرف العالم في القديم مثله في تلقى أخبار العقائد والدين والتاريخ ، ولم يعمل العالم فى العصر الحديث ضوابط وموازين تماثله فضلا على أن تكون أحسن منه في نقل الأخبار وتلقيها ، والتى قد تكون اشاعات ومفتريات مضرة بالحياة الانسانية ومخلة بالعقائد الدينية ، وذلك بسبب عدم عدالة رواتها. وفي ختام هذا المطلب اذا كان جولد تسيهر ، وجوزيف شاخت ، وماكد ونالد وأمثالهم من المستشرقين والمنصرين يريدون تشويه مصدر من مصادر دين الاسلام وهو السنة الشريفة ، حتى لايواجهون من جديد بأجيال من المسلمين متمسكين بدينهم وسنة وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم فتسعد بهم الحياة ويتم لهم الانتصار في

معارك الاسلام مع أعدائه المهووسين الذين أصابهم الغرور وظنوا أنهم سوف يقضون على الاسلام ويقفون في تقدمه ، بما يلفقونه من أكاذيب وشبهات حول أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم ومفترياتهم على أصحابه وأئمة الاسلام اذ بهؤلاء المغرضين تبدد آمالهم وتذهب ريحهم وتضيع أرباحهم وينالوا اللوم والازدراء من المنصفين من أبناء دينهم ، ويرجعون بالخيبة والخسارة ، وأن الله لمظهر دينه ومعلى كلمته ولو كره المجرمون(١).

---

(١) ماسبق ذكره ،من الرد على تلك المزاعم والأكاذيب مقتبس من عدة مراجع مثل كتاب مناهج المستشرقين ، وكتاب مفتريات على الاسلام وكتاب المستشرقون والاسلام ، وكتاب روح الدين الاسلامى . كلها مراجع سابقة .

المبحث الثاني

حرية الفكر ومحاربة الجمود الفكري

ويشتمل على مطلبين :-

المطلب الأول : الدعوة الى حرية الفكر في اطار النص الشرعي.

المطلب الثاني : ذم التقليد والجمود الفكري .

المطلـــــب الأول

الدعوة الى حرية الفكر في اطار النص الشرعي :

الفكر : إعمال العقل في المعلوم للوصول الى معرفة مجهول. والفكرة: الفكر الصورة الذهنية لأمر ما . والتفكير اعمال العقل في مشكلة للتوصل الـــــى حلها أو ادراكها[١].

إن الإنسان الذى كرمه خالقه ومنحه كثيرا من الخصائص وحباه بالنعـــم العديدة وفضله على كثير من المخلوقات (ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فـــي البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيـــلا)[٢]. ومن هذا التكريم والتفضيل العقل الذى هو مناط التكليف الربانى ومحـــــل التفكير الانسانى ، جعل الانسان بواسطته يعقل ويفكر ويدرك الحقائق ويتحكـــم في غرائزه وشهواته ويسيطر على دوافعه ونوازعه ويتبصر ويتدبر ويميز بيـــن الأمور والدعوة الى حرية التفكير جاءت بها آيات كثيرة من كتاب الله قـــال تعالى (أيود أحدكم أن تكون له جنة من الخيل وأعناب تجرى من تحتها الأنهـــار له فيها من كل الثمرات ، وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها اعصار فيـــه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون)[٣] .

وهذه الآية وغيرها من الآيات تدعو الإنسان إلى التفكير والتأمل فـــي كل مايقع عليه البصر وتدركه بصيرته قال تعالى (إن في خلق الســـمـــــوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى في البحر بما ينفع النـــــاس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كـل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون)[٤] .

---

(١) المعجم الوسيط جـ٢ ص ٦٩٨.

(٢) سورة الاسراء آية ٧٠.

(٣) سورة البقرة آية ٢٦٦.

(٤) سورة البقرة آية ١٦٤.

إن مبدأ التعقل والتفكير جاء من أساسيات مبادئ دين الاسلام التى يقوم عليها قال العقاد[١] (إن القرآن الكريم قد أولى العقل عدة مزايا منها التنويه بالعقل والتعويل عليه في أمر العقيدة والتبعية والتكليف) ونقول إن كثيرا من الآيات حثت المؤمن على تحكيم عقله واستخدامه في التعرف على أسرار الكون ، ومعرفته بخالقه ، ومصيره ، ودوره ، ومهمته في هذه الحياة .

والاسلام دين يأمر باستقلال النظر والاعتبار والتذكر ، كما يأمر بالتأمر والتفكر في العلوم وجميع المعارف والأحوال والأعمال ، قال الامام الغزالى (فالفكر إذن هو المبدأ، أو المفتاح للخيرات كلها وهذا هو الذى يكشف لك فضيلة التفكير)[٢] .

ويقول الدكتور أحمد الشرباصى (التفكر كلمة فيها معنى النظر والتفهم ..... الخ ولذلك نجد المفسرين يتعرضون لمعنى قوله تعالى(كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون) فيقولون في معنى (لعلكم تتفكرون) أى لكي تتفكروا في أمر الدنيا وأمر الآخرة فتجتنبوا مايجلب عليكم البلاء والشقاء فيها ، وتعتصموا بما هو لائق بالمؤمنين من الأخلاق والمكارم وتستنبطوا الأحكام ، وتفهموا المصالح والمنافع المنوطة بها فتأخذوا بالأصلح وتبعدوا عما يضركم ولا ينفعكم .)[٣]

إن حرية التفكير التى يجدها المسلمون بقواهم العقلية والادراكية تحكمها رقابتهم لله والاقرار بوحدانيته والاعتراف بنعمه والقيام بما أوجبه عليهم ، لاتحكمها شهواتهم ورغباتهموعواطفهم المتعارضة مع المصالح والمنافع

---

(١) عباس محمود العقاد - التفكير فريضة اسلامية ص ٧ - منشورات المكتبة العصرية - بيروت .

(٢) الامام الغزالى - أحياء علوم الدين جـ٤ ص ٤٢٦ دار الندوة الجديدة بيروت .

(٣) أحمد الشرباصى - موسوعة اخلاق القرآن جـ١ - ٢ ص ٢٢٦ ط(١٤٠١ هـ - ١٩٨١م) دار الرائد العربى .

الإنسانية التى جاء ونادى بها دين الاسلام منذ بزغ فجره ، فلابد أن يكون هذا التفكير والتعقل فيما يعود بالخير والسعادة والرقى والصلاح على الانسانية في دينها ، ودنياها ، ويباعد بينها وبين مايسبب شقائها وتعاستها وهلاكها ، ويدمر عمرانها وعوامل حضارتها ، وهذه وظيفة العقل الذى منحه الله الإنسان ليفكر به ، وميزه به عن غيره من المخلوقات وجعله محل التكليف فتكون حرية التفكير التى دعا إليها القرآن الكريم منسجمة مع الحق والعدل الذى نزلت به الكتب وأرسلت به الرسل ولا يخرج الإنسان المسلم خاصة عن حدود الاوامر الربانية ،ولأن التفكير في الاسلام له حدود وقيود فليس من منهج التفكير الاسلامى أن يفكر الإنسان في وسائل العدوان على الأنفس والاعراض والأموال وانتهاك المحرمات ، وليس من التفكير الاسلامى أن يستجيب الإنسان لدواعى الحسد ونزعات الحقد والبغضاء وسوء النوايا . فإن حرية التفكير التى جاء بها الاسلام قد اعترف بها اعداؤه من الأمم الأخرى غير المسلمة واختصارا للموضوع نورد قول أحد المستشرقين كمثل وشاهد واعترف على حرية التفكير التى يدعو اليها دين الاسلام.

يقول فوستاف لوبون في صراحة وإيجاز (إن القرون الوسطى لم تعرف الأمم القديمة الا بواسطة العرب ،وأن جامعات أوروبا عاشت خمسمائه سنة بكتب العرب وأن العرب هم الذين مدنوا أوروبا في المادة والعقل والخلق ، وأن الشعوب والدول التى خضعت الدنيا لسلطانها قد محت الأيام آثارها ، ولم يبق سوى ذكريات لغاتهم وأديانهم ،ولكن أهم عناصر حضارة العرب وهى الدين واللغة والعلوم ، لاتزال حية ولاشك أن العرب (يقصد العرب المسلمين)[1] هم أول من علم الناس كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين)[2] ا.هـ

وقد طرق الامام الغزالى موضوع التفكير في الاسلام وفصل في بيانه وحقيقته وأحكامه وأقسامه وأنواعه وطرقه المذموم منها الممدوح والواجب

---

(١) لأن العرب قبل الاسلام لم يكن لهم دين ، وليس لديهم من علوم الحضارة شيء.

(٢) نقلا عن كتاب مفتريات على الاسلام - للأستاذ محمد أحمد جمال ص ٢٥٨.

ومن كلامه رحمه الله قوله (إن الفكر هو مصباح الأنوار ،ومبدأ الاستبصـــــار وشبكة العلوم ، ومصيدة المعارف والفهم ....الخ)[١].

وقال الدكتور أحمد الشرباص (وثمرة التفكير ثمرة يانعة ممتعة،نامية سامية ، فمن وراء التفكير يكون التعقل والارتداع عن كل مايقبح ويســـــوء والاقبال على كل ماهو جميل ومقبول ، ومن وراء التفكير يكون الادراك الواعـى لجلال الله وعظمته وكثر نعمه ، وآلائه والاعتزاز بالله وحده والذل لوجهـــــه سبحانه)[٢] وتحت عنوان (الاسلام دين العقل والفكر) تطرق الشيخ محمد رشيد رضا الى مسألة التفكير والتعقل ،وأورد كلاما جميلا مؤيدا بالأدلة والبراهين النقلية والعقلية والعلمية ، وقال عندها (نقرأ قاموس الكتاب المقدس فلا نجد فيه كلمة (العقل) ولا مافى معناها من أسماء هذه الغريزة البشريـــــة التى فضل الإنسان بها على جميع أنواع الجنس الحى كاللب والنهى ..... ثـــم قال إنها لم ترد في كتب العهدين على أساس فهم الدين ودلائله والاعتباربـــه وأن الخطاب بالدين موجه اليه (يعنى العقل) وكذلك اسماء التفكر والتدبـــــر والنظر التى هى أعظم وظائف العقل .....ثم قال أما ذكر العقل باسمـــــه وأفعاله في القرآن فيبلغ زهاء الخمسين مرة .....الى أن قال وكون المخاطبين بها والذين يفهمونها ويهتدون بها هم العقلاء ويراد بالتفكير في الآيـــــات في الغالب آيات الكون[٣] ، الدالة على علم الله ومشيئته وحكمته ورحمتـــــه ثم أورد طائفة من الآيات القرآنية التى تحث على التعقل والتأمل والتبصـــــر والتفكر والذكر والنظر .... الى أن قال كذلك آيات النظر والتفكر والتعقـــل كثيرة في كتاب الله العزيز فمن تأملها علم أن أهل هذا الدين هم أهل النظـر والتفكر والعقل والتدبر وأن الغافلين عن الدين يعيشون كالأنعام ،لا حظ لهـم

---

(١) أى حامد العزالى - احياء علوم الدين ج ٤ ص ٤٢٣-٤٤٨.

(٢) أحمد الشرباص - موسوعة أخلاق القرآن ج١ - ٢- ص ٢٢٩.

(٣) لعله يريد مافى الكون من مخلوقات الله .

منه الا الظواهر التقليدية التى لاتزكى النفس ولا تثقف العقول ، ولا تصعد بها الى معارج الكمال) [١] ا.هـ .

وفي ختام هذا المطلب نقول إن القرآن الكريم نوه بدور العقل في الوصول الى معرفة الحقائق وعقلها وحث على التفكير والنظر في مخلوقات الله ولا تحصل المعرفة والعلم اللذان هما أساس رقى وتقدم البشرية في الحياة الدنيا الا عن طريق العقل والتعقل والتفكر والنظر ولا تحصل معرفة الله سبحانه الا عن طريق العقل الذى عرف به الإنسان كثير من مخلوقات الله الدالة على أنه خالق موجد سبحانه وتعالى .

---

(١) رشيد رضا - الوحى المحمدى ص ٢٤٣-٢٤٤.

المطلب الثاني

ذم التقليد ومحاربة الجمود الفكري :

إن دين الاسلام قد حث الإنسان على الفكر والتفكير والنظر والتأمل والفقه والفهم ، كما أسلفنا في المطلب السابق ومن خصائصه ومميزاته الكثيرة فإن القرآن الكريم أشاد بالعقل ودعا الإنسان لاستخدامه في كل الأمر، ولا يذكر القرآن العقل الا في مقام التعظيم والتنبيه الى وجوب العمل به والرجوع اليه ولا يقتصر الاحترام للعقل على جانب دون جانب ، بل كل وظائف الإنسان الادراكية والعقلية ، فنجد القرآن قد خاطب العقل بمعان متعددة الجوانب والدواعي مؤكدا أن القضايا التي يعرض لها القرآن ويدعو اليها الإنسان لايفهمها ولايقف عليها الا من يعقل . واذا نظرنا الى أساليب القرآن البديعة ، من استفهام تقريري وانكاري ومفهوم الآيات اللفظي وغيره ، مما يؤدي الى التفكير العقلي ، والتدبر والنظر والاعتبار الذي يبلغ بالإنسان العاقل الى درجة الادراك لبعض الحقائق والتمييز بين الخبيث والطيب والنافع والضار ، دون جمود وتبلد وتعتيم للعقل والفكر ،وهذا الاحترام المتكرر للعقل من جانب القرآن إنما جاء أساس من حقيقة الدين الاسلامي الذي حرر عقول الإنسانية من كل سلطان يعتم ويحجر تفكيرهم ويحجب نظرهم وبصيرتهم ، فكان الانسجام بين دعوة القرآن وحقيقة دين الاسلام الذي جعل العقل خير شاهد على تفرد رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وتمييزها على غيرها من الرسالات السابقة وذلك بتحرير العقل وإعمال الفكر والنظر في التوصل الى الحقائق واستخلاص النتائج وأخذ العبر والاعتبار.

وقد حمل الاسلام حملة على التقليد وذم المقلدين ، فأطلق سلطان العقل من كل مايقيده ويستعبده ،وخلصه من كل تقليد ، فإن الله ما أعطى العقل للإنسان إلا لينتفع به ويتعظ بما في الكون من دلائل وحوادث ويهتدي بالعلم والعلماء لأن العلماء منبهون ومرشدون الى طريق الخير هادون له متبعون لنبيه صلى الله عليه وسلم ، وقد أشاد القرآن بالذين يستمعون

القول فيتبعون أحسنه ووصفهم بالتمييز بين مايقال ، من غير فرق بين القائلين ليأخذوا بما عرفوا حسنه ويطرحوا مالم يتبينوا صحته ونفعه ، وفى الحديث (لاتكونوا إمة تقولون إن احسن الناس أحسنا وإن ظلموا ظلمنا ، ولكن وطنوا أنفسكم إن احسن الناس أن تحسنوا وإن اساءوا فلا تظلموا)[١] حديث حسن وجاء في الأثر (الكلمة الحكيمة ضالة المؤمن إنّ وجدها أخذها)[٢].

إن الاسلام لايقبل من اتباعه أن يلقى المسلم عقله ليجرى وراء الآباء والأجداد بدون علم ولا هدى ولا تفكير ويتبع كل ناعق وضال ، ويخضع لسلطان التقليد دون إعمال الفكر واستخدام العقل والنظر والتمييز بين الحقائق واختيار الأفضل والأخذ به. وهنا نذكر بعض الآيات التى ألقت باللوم على المقلدين ، وذمت التقليد ، ووصفت المقلدين بالعمى ، والصمم، وصورتهم كالبهائم السارحة التى لاتفقه مايقول الراعى . قال تعالى (وإذا قيل لهم اتبعوا ماأنزل الله قالوا بل نتبع ماألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لايعقلون شيئا ولا يهتدون ، ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لايسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمى فهم لايعقلون)[٣].

قال سيد قطب عند تفسيره للآية الأولى(فالآية تندد بتلقى شيء في أمر العقيدة من غير الله ، وتندد بالتقليد في هذا الشأن والنقل بلا تعقل ولا ادراك .....قال ومن ثم ترسم لهم (يعنى الآية) صورة زرية تليق بهذا التقليد وهذا الجمود، صورة البهيمة السارحة التى لاتفقه مايقال لها. وفي تفسير الآية الثانية قال صم بكم عمى ولو كانت لهم آذاناً وألسنة وعيون ماداموا لاينتفعون بها ولا يهتدون فإنها لاتؤدى وظيفتها التى خلقت لها - وكأنهم لم يوهبوا آذان وألسنة وعيون ، وهذا منتهى الزراية لمن يعطل تفكيره ، ويغلق منافذ المعرفة والهداية)[٤]ا.هـ.

---

(١) سنن الترمذى ،جـ ٣ ص ٢٤٦(١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م) دار الفكر - بيروت .
(٢) نفس المصدر جـ٤ ص ١٥٥.
(٣) سورة البقرة آية ١٧٠-١٧١.
(٤) سيد قطب - في ظلال القرآن - جـ١ ص ١٥٥-١٥٦.

قال تعالى (وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ماوجدنا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لايعلمون شيئا ولايهتدون)(١) صورة قاتمة ومزرية للتقليد الأعمى المشين الذى سد منافذ الادراك لدى صاحبه وجعل صاحبه ينقاد بتأثير التبعية. قال الامام محمد عبده (علم القرآن أهله أن يطالبوا الناس بالحجة ، لأنه أقامهم على سواء المحجة وجدير بصاحب اليقين أن يطلب خصمه ويدعوه إليه ، وعلى هذا درج سلف هذه الأمة الصالح قالوا بالدليل وطالبوا بالدليل ونهوا عن الأخذ بشيء من غير دليل ، ثم جاء الخلف الطالح فحكم بالتقليد ، وأمر بالتقليد ، ونهى عن الاستدلال على غير صحة التقليد ، حتى كأن الاسلام خرج عن حده أو انقلب الى ضده)(٢) ومن المعلوم أن الإمام محمد عبده(٣) من الذين حاربوا التقليد والجمود الفكرى ، وقام بالدعوة الى التجديد والاجتهاد والتحرر من قيود التقليد فاعتمد في كثير من كتاباته وبحوثه على استناجه العقلى الحر ، وتبعه في منهجه ، تلميذه الشيخ محمد رشيد رضا وكان هذا المنهج جديداً له خطره وقيمته وأثره في المجتمع الإنسانى في كل أمر من أمورحياته فكان موقف الشيخ رشيد رضا من التقليد والجمود الفكرى واضح المعالم ، حيث القى اللوم على المقلدين وذم التقليد منتهجا طريق شيخه الامام محمد عبده ، ومستدلا بآيات القرآن الكريم، وموقف الاسلام من العلم والتعليم ، واستخدام العقل والنظر ، وقال (كانت التقاليد الدينية قد حجرت حرية التفكير ، واستقلال العقل على البشر حتى جاء الاسلام فأبطل في كتابه هذا التحجر ، واعتقهم من هذا الرق (يعنى التقليد) وقدتعلم هذه الحرية أمم الغرب من المسلمين ، ثم نكس هؤلاء المسلمون على رؤوسهم

---

(١) سورة المائدة آية ١٠٤.

(٢) تفسير المنار جا ص ٤٢٥.

(٣) كان الشيخ محمد عبده ، ومن قبله جمال الدين الأفغانى قد تأثرا بدعوة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب الاصلاحية رحمهم الله جميعا. قال الزركلى في الأعلام كانت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الشعلة الأولى لليقظة الحديثة في العالم الاسلامى كله ، تأثر بها رجال الاصلاح في العالم الاسلامى منهم جمال الدين الأفغانى بأفغانستان ومحمد عبده في مصر جـ٦ ص ٢٥٧.

فحرموها على أنفسهم الا قليل منهم)[١]، والشيخ محمد رشيد رضا كما هو معروف من دعاة الاصلاح الكبار الذين دعوا الأمة الاسلامية وخاصة رجال العلم والفكر والسياسة ، وطالبوهم بالاصلاح الاجتماعى والتعليم الدينى ، والسياسى ومحاربة التقليد الذى يؤدى الى الجمود الفكرى ، والطرق الصوفية التى تدعو الى ذلك ، وذلك من خلال مجلة المنار التى كان ينشر فيها أفكاره الاصلاحية في جميع مجالات الحياة وهو خير دليل على مانقول . وتحت عنوان منع التقليد والجمود على اتباع الآباء والجدود[٢] كتب يقول :

كل ما نزل من الآيات في مدح العلم وفضله واليقين فيه ، واستقلال العقل والفكر وحرية الوجدان والمطالبة بالبرهان ، وذم اتباع الظن والحرص فيما يطلب فيه العلم والايمان - يدل على ذم التقليد ، وقد ورد في ذمه والنعى على أهله آيات كثيره . ثم ذكر طائفة من الآيات في ذم التقليد، منها قوله تعالى(وإذا قيل لهم تعالوا إلى ماأنزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ماوجدنا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لايعلمون شيئا ولايهتدون)[٣] قال ذمهم الله من ناحيتين : احداهما الجمود على ماكان عليه آباءهم والاكتفاء به عن الترقى في العلم والعمل ، وليس هذا شأن الانسان الحى العاقل ، فإن الحياة تقتضى النمو والتولد والعقل يطلب المزيد والتجديد. والثانية أنهم باتباعهم لآبائهم فقدوا مزية البشر في التمييز بين الحق والباطل ، والخير والشر، والحسن والقبيح بطريق العقل والعلم ، وطريق الاهتداء في العمل يؤيده قوله تعالى(وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها ، قل إن اللهلايأمر بالفحشاء أتقولون على الله مالا تعلمون)[٤] ...قال فالقرآن قد جاء يهدي جميع متبعى الملل والأديان السابقة الى استعمال عقولهم مع ضمائرهم للوصول الى العلم والهدى والاطمئنان في الدين. ثم نعى على المسلمين

---

(١) الوحى المحمدى ، ص ٢٤٤.
(٢) نفس المصدر - ص ٢٥٢.
(٣) سورة المائدة آية ١٠٤.
(٤) سورة الاعراف آية ٢٧.

الذين تخلوا عن التعلم والعلم بالكتاب والسنة واتبعوا سنة أهل الكتاب وغيرهم من المقلدين لآبائهم ومشايخهم المنسوبين الى بعض أئمة علمائهم الذين نهوهم عن التقليد ولم يأمروهم به ....الى أن قال وكان أشدهم افسادا للدين الدعوة الى اتباع الأئمة المعصومين لايسألون عن الدليل (يريد بذلك الشيعة ومن وافقهم)على خلاف ماكان عليه أئمة السنة من تحريم اتباع أحد لذاته في الدين ، بعد محمد المعصوم لا معصوم بعده صلى الله عليه وسلم ....ثم أشار الى بعض الفرق والطوائف المنتسبة للإسلام وذمها في تقليدها واتباعها مذاهب أئمتها بغير دليل ....الى أن قال وصاحب المنار(يعنى نفسه) قد وقف نفسه على الرد على جميع الملاحدة والبهائية والقاديانية والقبوريين وسائر مبتدعة عصرنا ، وهو لم يدع مذهبا له يدعو اليه ، ولم يخالف اجماع الأمة ولا فرق عنده بين الأئمة ولله الحمد والمنة)." (١) ا.هـ .

يتبين من كلامه رحمه الله منهجه في الدعوة وطريقة جهاده ، وفي ختام هذا المطلب نقول إن الاسلام يريد من المسلم أن يكون قويا في تفكيره ورأيه وفي قوله وعمله ، قوة تدل على استقلال في العلم والفهم والعزم الذى ينبع من البصيرة والهدى ، لا من التقليد والاتباع بدون دليل أو برهان .

وهنا نذكر مثالا واحدا من مقالات الشيخ الكثيرة الجميلة في مجال جهاده رحمه الله ودعوته الاصلاحية التى شملت مجالات الحياة ، وخاصة التربية والتعليم ومحاربة التقليد والجمود الفكرى . قال في ذلك (الا وان أمر التربية والتعليم هو أهم مايجب أن يوكل الى الجماعات ولايجوز أن يترك إلى الأفراد ولا إلى الحكومات ، لأن المدارس للأفراد دكاكين لكسب المال ، وللحكومات معامل لسبك العمال . فكل من الفريقين يتوخى في التعليم منفعته الخاصة وأن باينت مصلحة الأمة العامة . وشر من ذلك ما ابتلى به جماهير المسلمين من ترك تربيتهم النفسية والعقلية الى خصومهم في السياسة والدين فأنى

---

(١) الوحى المحمدى ، ص ٢٥٥.

تصلح أمة تركت تجديدها وتكوينها إلى من هم لهم الا ازالة ملكها ودينها، الأمم تصلح بالتربية، ونحن قد أفسدنا المربون ، وترتقى بالعلم، ونحن قد دلانا العلماء المقلدون المفتونون ، وتقوى وتعتز بجمع المدارس لكلمتها، ونحن قد أوهنتنا وشقت عصانا المدارس). والمسلم ذكرا كان أم أنثى لايجوز أن يكون إمعة يندفع وراء كل تيار ويسير في اثاره ، بدون هدى ولا محجة ينخدع بكل مضلل ، بل إن الله جعل له كتابا فيه هدى ونورا ومنهجا يسير به في هذه الحياة فهو بذلك صاحب دين قوى سوى ، فيه العلم والفهم ، يدعو إلى استعمال العقل والفكر والبصر والبصيرة ، فيه طمأنينة القلب وسعادة الوجدان ، فيه محبة الخلق وطاعة الخالق ومحبته ، دين نهى عن التقليد الأعمى المنقاد وحث على التفكير السليم الذى يميز به بين الحق والباطل وبين الهدى والضلال .

---

(١) مجلة المنار - م ١٧ - ص ٨٠

المبحث الثالث

الولاية والكرامة

ويشتمل على مطلبين :-

المطلب الأول : تعريف الولاية والكرامة ومذاهب الناس في ذلك .

المطلب الثاني : رأى المؤلف في الولاية والكرامة ، وموقفه من مدعيها وتبيين وجه الحق في ذلك .

المطلب الأول

تعريف الولاية ، والكرامة ، ومذاهب الناس في ذلك :

تعريف الولاية في اللغة : مصدر من فعل ولاه ، وولية للقرابة ، الولاية الخطة والامارة والسلطان والولى : كل من ولى أمرا أو قام به ، ومنه النصير، والمحب ، والمطيع ، والصديق ، والحليف ، والصهر ، والمعتق (وقد يؤنث بالتاء) يقال المؤمن ولى الله)[١].

أما في الشرع ، فقد اختلف في لفظ الولى فقيل إن الولى سمى وليا من موالاته الطاعات ، أى متابعته لها وقيل إن الولاية المحبة والقرب والولى هو من تولاه الله برعايته وعنايته ، وتولى هو الله بنصرة دينه ، وفعل الطاعات .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية (فأولياء الله هم المؤمنون المتقون)[٢] كما قال الله تعالى (إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون)[٣] ثم قال لايكون الولى وليا إلا أن يكون تقيا قال ابن كثير في تفسير الآية (فكل من كان تقيا كان لله وليا)[٤] . وقال الزمخشرى عند تفسيره للآية (الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة)[٥] وفي الحديث القدسى (يقول الله تعالى من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب .....الخ)[٦] الحديث . وقد جاءت آيات كثيرة في القرآن الكريم بلفظ (ولى) ومشتقاته تربوا على المائة مرة[٧] الى جانب ولاية الله للمتقين وعباده الصالحين الذين قاموا بواجبات الدين وأخلصوا أعمالهم لرب العالمين ، وهناك ثلاثة أنواع من أنواع الولاية .

---

(١) المعجم الوسيط جـ٢ ص ١٠٦٤- محيط المحيط ص ٩٨٦.

(٢) ابن تيمية - الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص ٥ ، مطبعة معارف لاهور(١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م) دار ترجمان السنة .

(٣) سورة يونس آية ٦٣.

(٤) ابن كثير جـ٢ ص ٤٢٢ - ط ١ دار الفكر بيروت .

(٥) الزمخشرى - الكشاف - جـ٢ ص ٢٤٣.

(٦) فتح البارى - جـ ١١ ص ٣٤٠.

(٧) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ص ٧٦٦، ٧٦٧، ٦٧٨ مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة .

أ- ولاية المؤمنين بعضهم لبعض وهو عبارة عن تعاونهم وتناصرهم في الحق وفي الأمور المشتركة مع الاستقامة على الأعمال الصالحة (مثل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر) وغيرها من الأمور التى تعود عليهم بالنفع في الدنيا والدين . قال تعالى(إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا)[١] .

ب - ولاية الظالمين بعضهم لبعض . بالمعاونة والنصرة على الظلم قال تعالى (وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولى المتقين)[٢] .

ج - ولاية الشيطان لبعض الإنس واغوائهم وتخويفهم . قال تعالى(ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا)[٣] وقال تعالى(إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه)[٤] .

تعريف الكرامة عند الجمهور(الأمر الخارق للعادة غير المقرون بالتحدى ودعوى النبوة ، يظهره الله على أيدى أوليائه) وقد عرفها الجرجانى بأنها :

(ظهور أمرخارق للعادة من قبل شخص غير مقارن لدعوى النبوة مما لايكون مقرونا بالايمان والعمل الصالح يكون استدراجا . وما يكون مقرونا بدعوى النبوة يكون معجزة)[٥] .

مذاهب الناس في الولاية والكرامة :[٦]

ان الناس في قضية حصول الولاية والكرامات لغير الأنبياء والمرسلين فريقان :

أولا : أ- جماعة ينكرون حصول الولاية والكرامات لغير الأنبياء ، وحجتهم

---

(١) سورة المائدة آية ٥٥.
(٢) سورة الجاثية آية ١٩.
(٣) سورة النساء آية ١١٩.
(٤) سورة آل عمران آية ١٧٥.

ملاحظة : إن ولاية الله نوعان عامة ،وخاصة ، فالولاية العامة إن الله تعالى متولى أمور العباد وذلك بما خلق لهم من السنن ومنحهم ومهد لهم من المنافع ويسر لهم من الأسباب . أما ولايته للمؤمنين فهى خاصة، وسبق الكلام عنها.

(٥) المعجم الوسيط - جـ٢ ص ٧٨٤.
(٦) على الجرجانى - التعريفات ص ٨٥(استنبول ١٣٠٨هـ).

في ذلك إن القول بجواز الولاية والكرامات يؤدى الى السفسطة ، إذ يقتضى تجويز انقلاب الجبل ذهبا مثلا ، ثم لو جازت ان تحصل لغير الأنبياء لصارت معجزة فتكون هى والمعجزة شيئا واحدا ، فتصبح المعجزة لاتدل على النبوة ، وحكم للولى بمجرد دعواه ، أنه معصوم ، يجب تصديقه ، في كل الأمور[١].

ب - قالوا لو جاز ظهور خوارق العادات على أيدى الصالحين لما أمكن أن يستدل على نبوة الأنبياء ، لأن معجزات النبى تكون مما اعتاده الأولياء، ثم لو كانللكرامات أصل لكان أولى الناس بها الصدر الأول ،وهم صفوة الأمة بعد الأنبياء .

جـ - يقولونإن من يؤمن بوقوع الخوارق يكون عقله أسير للأوهام والخرافات بل يكون العوبة في أيدى الدجالين والمشعوذين ، الذين يلبسون ثياب الصالحين أو الذين يتخذون الدين حرفة، ثم يقولون إننا نرى هذه الخوارق التى يدعونها تكثر ويكثر مدعوها في البلاد التى خيمت فيها الجهالة وعرف أهلها بالغباوة والبلادة[٢] . هذه مجمل آراء المنكرين لدعوى الولاية والكرامة .

ثانيا : أ- الجماعة المثبتون للولاية والكرامات : يقولون إن ماشاع وذاع من نقل أخبار الولاية والكرامات وخوارق العادة لاينكره الا جاهل.ويفرق العلماء بين المعجزات وبين الكرامات وبين الخوارق التى تظهر على أيدى السحرة والكهان والكفار والدجالين والمشعوذين .

ب - يستدلون على إثباتالكرامات والولاية بنصوص القرآن الكريم :-

١- مثل قصة أصحاب الكهف حيث لبثوا ثلاثمائةسنين وازدادوا تسعا .

٢- قصة السيدة مريم من جهة حملها من غير رجل .

٣- حصول الرطب الطرى لها من جذع النخلة اليابس ، وحصول الرزق عندها في غير أوانه ومن غير حضور أسبابه : قال تعالى(كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا)[٣] .

---

(١) مجلة المنار المجلد الثانى ص ٤٤٩-٤٥٣.

(٢) مجلة المنار - المجلد ٦ ص ٣١.

(٣) سورة آل عمران آية ٣٧.

وقال تعالى (وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا)[١].

ج - ان الكرامات التى جرت للصحابة والتابعين وسائر الصالحين كثيرة جدا وقد ذكرها كثير من العلماء والمؤرخين ويحتاج هذا الموضوع الى بحث مستقل فضلا عن معجزات الأنبياء والرسل وما جرى على أيديهم من الكرامات والمعجزات الكثيرة . ولكن اختصارا للموضوع فإننا نختار واحدا من الصحابة، وواحد من التابعين ، لمن جرت على أيديهم كرامات كمثالين لهذه المسألة :-

ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية عدة كرامات جرت لجماعة من الصحابة والتابعين ومن هؤلاء أبو بكر وعمر وسعد بن أبى وقاص وسعيد بن زيد وخبيب بن عدى والعلاء بن الحضرمى وأسيد بن حضير وغيرهم .

١- فمثلا أسيد بن حضير[٢] رضى الله عنه (كان يقرأ سورة الكهف نزل عليه من السماء مثل الظلة فيها أمثال المصابيح ، وهى الملائكة نزلت لقراءته[٣] .

٢- أما كرامات التابعين فكثيرة جدا أيضا ،ومن تلك الكرامات ماحصل لأويس القرنى[٤] ، عندما مات وجدوا في ثيابه أكفانا لم تكن معه قبل، ووجدوا له قبرا محفورا فيه لحد في صخرة فدفنوه فيه وكفنوه في تلك الأثواب . والى جانب كرامات الأولياء والصالحين ، هناك خوارق السحرة والكهان والكفار والفساق من العصاة وغيرهم. من الدجالين

---

(١) سورة مريم آية ٢٥.

(٢) أسيد بن الحضير بن سماك بن عتيك بن امرئ القيس الأنصارى الأشهلى صحابي جليل يكنى أبا يحيى وكان أبوه حضير فارس الأوس ورئيسهم يوم بعاث ، وكان أسيد من السابقين الى الاسلام وهو أحد النقباء ليلة العقبة قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نعم الرجل أسيد ابن حضير قبل كانت وفاته سنة احدى وعشرون. ابن حجر - الاصابة جا ص ٤٩ تصوير الطبعة الأولى دار الصياد.

(٣) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص١٤١-١٤٩. روى القصة البخارى في صحيحه ، فتح البارى جـ٩ ص ٦٣.

(٤) هو أويس بن عامر القرنى من سادات التابعين أصله من اليمن بشر به الرسول صلى الله عليه وسلم روى القصة مسلم في صحيحه جـ٤ ص ١٩٦٨-١٩٦٩.

والمشعوذين الذين تحدث على أيديهم بعض الخوارق ، وما أكثر هؤلاء في كل زمان وفي كل أمة الذين يدعون المعجزات أو الكرامات على أنها تحصل لهم ، وهؤلاء يدعون ذلك من أجل التكسب أو من أجل تقديسهم وتفضيلهم من قبل الناس لتحقيق بعض المآرب وفي رأيي أن هذا النوع من البشر تحصل لهم هذه الخوارق بعد معرفة أسبابها وتعلمها، وان كانت أسباب هذه الخوارق غير معروفة عند الكثير من البشر الذين يخدعون بهؤلاء ويظنون أن هذه الخوارق كرامات حصلت لهؤلاء الدجالين والمشعوذين وهناك احتمال آخر ان هذه الخوارق حصلت لمدعيها بمساعدة الشياطين كما هو ثابت في القرآن والسنة النبوية ، مثل سحرة فرعون الذين حاولوا ابطال الحق، ومثل عبد الله بن الصياد في زمن النبى صلى الله عليه وسلم ، الذى قال له النبى صلى الله عليه وسلم (قد خبأت لك خبا) قال الدخ . وقد كان خبأ له سورة الدخان فقال له النبى صلى الله عليه وسلم (اخسأ فلن تعدو قدرك) (١) أى القدر الذى يدرك الكهان من الاهتداء الى بعض الشيء. ويقول شيخ الاسلام ابن تيمية في المعجزات والكرامات والخوارق (المراتب ثلاث :-

١- آيات الأنبياء .

٢- ثم كرامات الصالحين .

٣- ثم خوارق الكفار والفجار كالسحرة والكهان ، وما يحصل لبعض المشركين وأهل الكتاب والضلال من المسلمين) (٢).

وفي ختام هذا المطلب نذكر ملخصا لرأى الجمهور المثبتين للولاية والكرامة :-

أ- الجمهور يفرقون بين المعجزة والكرامة وكذلك خوارق الكفار والفساق.

ب - ان الكرامة والولاية عند الجمهور توجب العصمة ولا التصديق في جميع الأمور.

جـ - كرامات الأولياء لاتتولى ولا تتكرر.

هـ - كرامات الصحابة ذكرها عدد كبير من العلماء والمؤرخين .

ملاحظة : عبد الله بن الصياد : روى مسلم قصته في صحيحه بروايات مختلفة جـ٤ ص ٢٢٤٠-٢٢٤٧.

(١) ابن تيمية ، الفتاوى جـ١١ ص ٢٨٣-٢٨٦.

(٢) ابن تيمية - النبوات ص ٨.

المطلب الثانى

رأى المؤلف[١] فى الولاية والكرامة ، وموقفه من مدعيها ، وتبيين الحق في ذلك:

أولا : عرف المؤلف الولى ، والولاية ، وذلك عندما فسر قوله تعالى (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، الذين آمنوا وكانوا يتقون)[٢] قال (والأولياء جمع ولى وهو وصف من الولاء ، والتولى ، ومن الولاية والتولى، فيطلق على القريب بالنسب وبالمكانة والصداقة ، وعلى النصير، والمتولى الأمر والحكم أو على اليتيم والقاصر المدبر لشئونه ويوصف به العبد والرب تعالى) كما تقدم في قوله تعالى(الله ولى الذين آمنوا)[٣]، قال (أولياء الله اضداد أعدائه المشركين به والكافرين بنعمه ، فهم المؤمنون المتقون كما نطقت به الآية ،وهم درجات أعلاهم درجة الذين يتولونه باخلاص العبادة له وحده ، والتوكل عليه ،وحبه والحب فيه ، والولاية له فلا يتخذون من أندادا يحبونهم من نوع حبه ولا يتخذون من دونه وليا ولا شفيعا يقربهم اليه زلفى ولا وكيلا ولا نصيرا .....ويتولون رسوله والمؤمنين)[٤] ثم يقول الشيخ رشيد رضا في تعريفه للكرامات بعد أن عرف الولاية (وأما الكرامات فهى نوع من خوارق العادات التى تروى عن جميع الأمم المختلفة الأديان والملل ، وقد قال علماء الكلام أنها تقع للمؤمن والكافر ،والبر ، والفاجر والنبى والساحر يختلف اسمها باختلاف من ظهرت على يديه ، فتسمى معجزة للنبى المرسل اذا تحدى بها ، وكرامة الرجل الصالح المتبع للرسول ، ومعونة لمن دونه من المؤمنين واستدراجا للكافر والفاسق[٥].

---

(١) رأى المؤلف جمع من تفسير المنار ، ومجلة المنار ، وكتاب الوحى المحمدى ص ٢٠٥-٢٣٦.

(٢) سورة يونس آية ٦٢-٦٣.

(٣) سورة البقرة آية ٢٥٧.

(٤) تفسير المنار جـ١١ ص ٤١٥.

(٥) تفسير المنار جـ١١ ص ٤٤٤ - ٤٥١، كتاب الوحى المحمدى ص ٢١١-٢١٤.

وقال (وقد صحت الأخبار بأن الدجال يظهر على يديه من الخوارة الكبرى ماقلما كان مثله في المعجزات حتى احياء الموتى ، وقال ائمة الصوفية العارفون إذا رأيتم الرجل يمشى على الماء ويطير في الهواء فلا تعتدوا به في قضاء الحاجات حتى تروه عند الأمر والنهى الشرعيين ، وقد قام الشيخ رضا بالتشنيع واللوم لأصحاب الطرق الصوفية وغيرهم ، وخاصة الذين يعتقدون في الأولياء وأصحاب الكرامات أى يطلبون منهم قضاء الحاجات والتوسل بهم والشيخ رشيد رضا : يؤمن كغيره من علماء السنة بالكرامات ، وجواز وقوعها في أضيق نطاق على أنها من خواص الأرواح البشرية العالية ، وعلامته ان يكون علما صحيحا موافقا للمنقول الشرعى والمعقول القطعى أو عملا نافعا مشروعا ، وأن يكون من صدرت عنه مؤمنا عاقلا صالحا. ويقول لايجب على المسلم ان يؤمن بوقوع كرامة كونية خارقة للعادة بعد محمد خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم ، فلا يضر مسلما في دينه أن يعتقد كما يعتقد أكثر عقلاء العلماء والحكماء من أن مايدعيه الناس من الخوارق في جميع الأمم ، أكثره كذب ،وبعضه صناعة علم ، أو تأثير نفسى أوشعوذه سحر (١) .

وللشيخ رشيد رضا مقالات عديدة في هذا الموضوع نشرها في مجلة المنار وسطرها في تفسير المنار وكتاب الوحى المحمدى وملخص هذه المقالات والتى تعبر عن رأى الشيخ في قضية الكرامة كالآتى :-

١- ان كل مايحدث في الكون انما يكون بسبب ،وأنه يجرى على سنة من سنن الله تعالى وأن هذه السنن ثابته لاتتبدل ولا تتحول.

٢- بما أن العجائب والخوارق قد نقلت عن جميع الأمم فليس من الصواب قبولها على علاتها فلابد من تمحيص النقول ليعلم أنه واقع حقيقة ولم يكن تخيلا للأنظار أو خداعا للأبصار والأفكار لأن الانسان مولع بالغرائب .

---

(١) الوحى المحمدى ص ٢٣١.

٣- فعلى الباحث أن يرجع الى العلم وخاصة الطبيعي بعد أن كشف العلم أمورا كثيرة كانت تسمى خوارق. فان لم تظهر الأسباب ولم تؤول الكرامة أو الخارقة على أى وجه فهو الذى يصبح أن يتسمى خارقة أو كرامة .

٤- لثبوت الخارقة طريقان : الحس السليم ، والتواتر الصحيح ، لأن الحواس تخدع ، واذا كان الناقلون لهذه الخارقة جمعا استحال في العقل السليم توطؤهم على الكذب ، لأن الانسان في رأيه متهم باذاعة كل غريب لاسيما إذا صادف هوى في النفس ، أو طابق التقاليد والاعتقادات المسلمة .

٥- إن الذين يدعون الكرامات طلاب مال وطلاب جاه ، وهم يقصدون تخويف الناس بما يشيعونه ويذيعونه من قدرتهم على الحاق الأذى ، او جلب النفع وذلك بزعمهم في كلمتهم المأثوره (يعنى بعض الطرق الصوفية) (ان لله عبادا اذا أرادوا أراد).

٦- لايجوز الاستدلال بالكرامات على أن من تظهر على يديه محق في اعتقاده أو مرضي عند ربه .

٧- لكن ولى الله من يطابق اعتقاده للحق المؤيد بالبراهين الصحيحة وأعماله السرية والجهرية لما جاء به الدين والعقل من الفضائل والمنافع العامة والخاصة .

٨- يقول إن الانبياء ماكانوا يدعون ان الآيات ، التى يؤيدهم الله تعالى بها خارجة عن سنن الله الظاهرة والخفية وماكانوا يدّعون ان لهم سلطانا في ملك الله تعالى يتصرفون فيه بمشيئتهم وإنما كانوا يرجعون الأمر الى الله تعالى.

٩- يفرق الشيخ بين معجزة النبى وكرامة الولى ، ويقول ان الكرامة لاتبلغ مبلغ المعجزة كاحياء الموتى ، وانما تكون دون ذلك كشفاء مريض أو بركة في طعام أوغيره من الأمور التى لم تبلغ حد المعجزة .

١٠- يقول إن الكرامات المأثورة عن الصدر الأول لم تكن إلا استجابة لدعاء أو بركة في الطعام أو شربة ماء في صحراء وما نقل عن الصحابة قليل جدا بالنسبة اذا قورن بعصور الفسوق والعصيان والجهل ، فان البعض يذكر لشيخه مئات الكرامات مع الاتفاق ان الصحابة أفضل ممن يعدُّوهم من الأولياء .

١١- يقول لم ينقل عن سلف الأمة انهم كانوا يأتون قبر النبى عليه الصلاة والسلام طالبين منه قضاء الحوائج ، ولم يكن منهم من اعتمد على خوارقه ، بل كانوا يعتمدون على عملهم وكسبهم فإن اعانهم المولى سبحانه شكروا والا فإنهم يصبرون .

موقفه من مدعيها :

كان الشيخ رشيد رضا يحارب حكايات الكرامات والولاية ، ويقول انها أضرت بالدين ويتبين ذلك في آرائه التالية (١) :-

١- يرى أن فواشى الاعتقاد بالكرامات بين العامة أدى الى خلل في عقيدة التوحيد ، وايقاع الناس في ضروب من الشرك وذلك في التماسهم المنافع ودفع المضرات من غير الله تعالى .

٢- إن اعتقاد العامة بالكرامات دفعهم الى عدم الانكار على بعض من يدعون الولاية الذين يرتكبون المعاصى والفجور.

٣- ان خرافات الكرامات والولاية دفعت العامة الى عدم الثقة بالعقل وجلبت لهم الأوهام والتخيلات التى أخضعتهم للدجالين والمشعوذين وخاصة النساء وضعاف العقول من العامة .

---

(١) مجلة المنار - المجلد السادس - ص ٥٤٤-٦٠٣ تفسير المنار ج١١ ص ٤٢٣-٤٤٩، مجمل آرائه ومقالاته عن الولاية والكرامات والخوارة منشورة في مجلة المنار. م١ ص ٤١١- ٤١٣، م٢- ص ٤٤٩-٤٥٣، ٤٨١-٤٨٧، ٦٥٨ م٢٤ ص ٤٩٩-م٣٣ ص ٣٧٢.

٤- من مضرات الاعتقاد بالكرامات ترك الاهتمام بالأمة وتحسين أحوالها اعتقادا أن هذه الامور يرجع فيها الى رجال الكرامات والولاية الذين يدعون علم الغيب مما ادى إلى أن البعض ترك مقاومة الغزو والمحتمل مدعين أن الله سلط عليهم الأجانب عقوبة لهم .

٥- الاعتقاد بهذه الكرامات ، يؤدى الى احتقار العلم والعلماء ، بل اذا وافق العلماء العامة في ذلك صارت محل اعتقاد دينى يرى العامة أن من لم يؤمن به كافر.

٦- فإن الذين فسدت عقولهم بسبب ذلك أى الذين جعلوها من الدين كثير، وبأنه لايعرف شعبا من الشعوب دخل الاسلام بسبب الولاية والكرامة.

٧- ويرى أن الاعتقاد بالكرامة ليس من أصول الايمان التى يكلف المؤمن باعتقادها هذه مجمل أقوال وآراء الشيخ رحمه الله في قضية الولاية والكرامات والى جانب محاربته لمدعى الولاية والكرامات من الطرق الصوفية وغيرها فإنه كان ينسب الى نفسه بعض الكرامات وهذا ما سوف نبينه في الفصل الرابع بمشيئة الله .

رأينا في الولاية والكرامة ، وثمرة القول في ذلك:-

أولا : ١- نقول ان المبالغة والغلو المفرط بالتصديق بكل مدعى للولاية والكرامة قد أضر بالدين كما قال الشيخ ذلك ، ولكن نقول ان دين الله ورسالة نبينا محمد قائم الأصول والفروع على الأدلة الشرعية من كتاب وسنة صحيحة وبراهين عقلية وعلمية ثابته لايتطرق اليها الشك عند كل ذى عقل سليم قال تعالى (مافرطنا في الكتاب من شئ ثم الى ربهم يحشرون)[1].

٢- إن لله سنن في المخلوقات وجميع الكون لن تتغير ولن تتبدل وكل الأمور بأسبابها وأنه ليس وراء الاسباب شئ الا معونة الله وتوفيقه لذلك فليس للمؤمن بعد هذا اليقين والاعتقاد الحازم ان ييأس اذا انقطعت به

---

(١) سورة الأنعام آية ٣٨.

الأسباب من خير يطلبه أو يأمله أو النجاة من سوء الم به ، الا أن يلتجيء الى خالقه ، والتوكل والاعتماد عليه وحده (إياك نعبد وإياك نستعين) وفي الحديث (إذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله)[1].

٣- ان الصحابة رضى الله عنهم كان فيهم من حصل له كرامات ، فما كان أحد يعتقد فيهم قضاء الحاجات التى ليست في مقدور الآدميين ولا يسألهم ذلك. وما دعوا أحدا الى تقديسهم وانزالهم فوق منازلهم في حياتهم .

أما الذى حصل من المبتدعه وجهال الناس بعد وفاتهم فمحدث في الدين ومن ذلك الذهاب الى قبورهم وسؤالهم الحاجات والاستعانة بهم .

٤- اننا لاننكر أن هناك كرامات للصالحين من عباد الله ، بل من الثابت حصول ذلك للبعض ولكن اذا ظهرت لأحد الصالحين كرامة ، لانقول إن هذا الإنسان الصالح معصوم ولايكذب وأنه مرضى عند ربه في اعتقاده ، هذه الأمور ، لاتطلق ولا تعتقد الا في الأنبياء والرسل الذين اصطفاهم ربهم بل يجب الحذر من تقديس الأولياء وأصحاب الكرامات وطلب الحاجات منهم والاعتقاد فيهم على أنهم يجلبون نفعا او يدفعون ضرا قدره الله للمخلوق فان ذلك شرك محيط للأعمال لا يغفر الا بالتوبة منه . واذا حصلت لأحد الصالحين الذين اتصفوا بالتقوى واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم كرامة ، ربما تكون علامة للصلاح والاستقامة على الدين . وقد يكون مستجاب الدعوة عند الله سبحانه . لكن لايصل الأمر الى تقديسه ، وتصديقه في كل مايدعيه .

٥- نقول مقالة الشيخ رشيد رضا ان تقديس أهل الكرامات قد أضر بالعقيدة وخاصة أهل الطرق الصوفية وفتح بابا من الشرك ورسخ في عقول بعض العامة والغيوريين وغيرهم الخرافات والأوهام التى قال عنها الشيخ رشيد رضا أنها افسدت أمر الدين والدنيا ، فالدين عقائد، معقولة وأحكامه مقبولة ولم يعرف وينقل عن دعاته أنهم استحوذوا على الناس بكراماتهم أو خوارقهم.

---

(١) الترمذى - الجامع الصحيح جـ٤ ص ٦٦٧- ط١ - المكتبة الاسلامية- تحقيق ابراهيم عطوه .

٦- كما نقول إن الولاية والكرامات قد تحصل لبعض الصالحين بايمانهم وتقواهم لله تعالى (إن ولى الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين)[١] فهم لايأمرون الا بالأعمال الصالحة والصدق والعدل والتوحيد والاخلاص لله تعالى واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وكرامات الصالحين من جنس معجزات الرسل والأنبياء غير مقدور عليها ولاتحدون بها.

٧- أما الكهان والسحرة والكفار والفساق ومنوافقهم في اعتقادهم ،فإنهم يحصل لهم بعض الخوارق بنالونها بالكسب والتعلم والسعى لها وهذا شيء حصل ويحصل عند جميع الأمم والأديان والمذاهب ،وهذا لايدل على ولايتهم وصلاحيتهم بل إذا كانت فيها ظلم وشرك دلت على كفرهم وفسقهم .

٨- إن هذه الخوارق التى تجرى على أيدى الكفار والفساق والسحرة والكهان لاتخرج عن كونها مقدورة للإنس أو الجن ، الإنس يحصلون عليهابالكسب والتعلم والجن ثبت أن لهم تاثير على الآدميين واستراق السمع ،وخاصة الشياطين ، وذلك بنصوص الكتاب والسنة قال تعالى (وإن الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم وإن اطعتموهم إنكم لمشركون)[٢] ، وقال تعالى (هل انبئكم على من تنزل الشياطين ، تنزل على كل أفاك أثيم يلقون السمع وأكثرهم كاذبون)[٣] والآيات في ذلك كثيرة أما السنة فقد روى البخارى في صحيحه (إن الملائكة تنزل في العنان - وهو السحاب - فتذكر الامر قضى في السماء فتسرق الشياطين السمع فتوحيه الى الكهان (في لفظ آخر السحرة) فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم)[٤].

---

(١) سورة الاعراف آية ١٩٦.

(٢) سورة الأنعام آية ١٢١.

(٣) سورة الشعراء آية ٢٢١-٢٢٣.

(٤) فتح البارى - جـ٨ - ص ٣٨٠.

الفصل الرابع

إيجابيات وسلبيات كتاب الوحى المحمـــــدى

ويشتمل على مبحثين :-

١- المبحث الأول :الإيجابيات المنهجية والموضوعية ويتكون من مطلبين:-

أ- المطلب الأول : الإيجابيات المنهجية .

ب - المطلب الثانى: الإيجابيات الموضوعية .

٢- المبحث الثانى : ويشتمل على مطلبين:-

أ- المطلب الأول : السلبيات المنهجية .

ب - المطلب الثانى: السلبيات الموضوعية .

المبحث الأول

الإيجابيات المنهجية والموضوعية

ويتكون من مطلبين :-

المطلب الأول : الإيجابيات المنهجية .

المطلب الثاني : الإيجابيات الموضوعية .

المطلب الأول

الإيجابيات المنهجية :

من المعلوم أن أى عمل إنساني لابد وأن يكون له إيجابيات وسلبيات ولكن الأعمال تتفاوت حسب قدرة الإنسان الابداعية الذى قام باعداد وانتاج واختراع تلك الأعمال.

وكتاب الوحى المحمدى : عمل إنساني أظهر فيه مؤلفه مقدرته الفائقة وانتاجه الفكري والعقلي المبني على الخبرة والاطلاع الواسع والتبحر في فروع المعرفة ومجالات العلوم مع الادراك الناقد المتميز .

وإذا نظرنا إلى المسائل والموضوعات التى تناولها المؤلف في كتابه وجدناها عملا ليس سهلا وميسورا يستطيع كل عالم القيام به ، بل إنه عمل شاق وصعب ، لايقدر عليه الا من أتاه الله العلم والإيمان ، والعقل المدرك والبصيرة الثاقبة بجانب الالمام بالمستجدات الحضارية والفكرية والحوادث التاريخية ، وكتاب الوحى المحمدى يعتبر خير شاهد على مقدرة المؤلف العلمية .

والشيخ في كتابه (الوحى المحمدى) قد طرق عددا من القضايا والمسائل التى تشتمل على أصول الدين وفروعه والتى كانت محل اهتمام المسلمين ، ورتب تلك المسائل والموضوعات حسب أهميتها في خمسة فصول فضلا عن تصدير وفاتحة ومقدمة الطبعات ، وإذا ألقينا النظر على هذا الترتيب وجدناه معقولا ومنطقيا ، ينسجم مع تسلسل الموضوعات وأهيمتها ، فنجد الشيخ في الفصل الأول (١) مثلا يتناول قضية الوحى والرسالة وحاجة الناس الى ذلك ، وأن العقل والعلم لايغيبان عن هداية الرسل ، وهذا الأصل يقوم وينبني عليه مابعده من الموضوعات ، وفي الفصل الثانى (٢)

---

(١) الوحى المحمدى ص ٤٣-٥٧.

(٢) نفس المصدر ص ٥٨-٨٦.

طرق قضية إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بحيث يورد الشواهد والأدلة العقلية والنقلية والعلمية على ذلك ، ويأتى بمقارنة وموازنة بين نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وبين نبوة موسى وعيسى عليهما السلام مستشهدا بالآيات ، وعجائب النبوة عندنا نحن المسلمين وعند اليهود والنصارى وفي الفصل الثالث (١) يستعرض شبهة المنكرين للوحى وجميع المزاعم التى وجهت الى دين الاسلام ونبيّه ويفند ذلك ويرد على ذلك بالأدلة وبالحجة والبرهان . وفي الفصل الرابع (٢) يأتى باعجازالقرآن الكريم ، مبيّنا أنواعه وتأثيره في نفوس العرب من مؤمنين ومشركين ، وما أحدثه من تغيير في سلوك العرب وتصرفاتهم ومعاملاتهم ونهجهم في الحياة ، ثم يأتى بالموازنة بين القرآن والتوراة في التأثير على النفوس . وفي الفصل الخامس (٣) يأتى بمقاصد القرآن العامة والشاملة لما ينفع الإنسان في حياته ومعاده ويجملها في عشرة مقاصد ، شملت هذه المقاصد كليات الدين الاسلامى وجزئياته ، بدأها في المقصد الأول بأركان الدين الثلاثة ، الإيمان بالله تعالى ، والايمان بالبعث والحساب والجزاء ، والثواب ، ثم قال وأساسيات الدين العمل الصالح الذي تقوم عليه الحياة الطيبة ، ثم بدأ بالتفصيل في هذه المقاصد ، تناول فيها محاسن الاسلام واصلاحات القرآن الإنسانية الشاملة للحياة ، والوافية بمتطلباتها ، وكيف أن القرآن لفت نظر الإنسان الى سنن الله في عالم الشهادة وعالم الغيب ، وبين بعد ذلك الخوارق والكرامات والمعجزات والفرق بين هذه الأمور ، وانحى باللوم على المقلدين من الطرق الصوفية وغيرهم ، خاصة الذين يعتقدون في الأولياء وأصحاب الكرامات ، وأبدى رأيه في ذلك كما سبق أن بينا ذلك . ومن هذا التنظيم والترتيب يتبين للقارىء المنهجية الجيدة التى التزمها المؤلف ورتب موضوعات كتابه على أساسها .

---

(١) الوحى المحمدى ٨٧-١٤١ .

(٢) نفس المصدر ص ١٤٢-١٦٥ .

(٣) نفس المصدر ص ١٦٦-٣٤١ .

المطلب الثانـــي

الإيجابيات الموضوعية :

بعد أن تحدثنا بشيء من الإيجاز عن طريقة الشيخ في ترتيبه لموضوعات الكتاب،والآن نتحدث عن الموضوعات والمسائل الرئيسية في كتاب (الوحي المحمدى) ، لاشك أن المؤلف قد وفق كل التوفيق في اختياره للموضوعات والقضايا التى أوردها في الكتاب ، كما وفق أيضا في عرضها ومناقشتها ، وايجاد الحلول اللازمة لها من واقع وروح الدين الاسلامى. فكانت تلك القضايا والمسائل تشغل بال كل مسلم غيور على دينه وحريص على ماينفع أمته في دنياها وآخرتها ، وهذه القضايا والمسائل والموضوعات نذكر طائفة منها مجملة ، ثم نذكر بعض النماذج من كلام المؤلف ليتبين من ذلك موقفه من هذه القضايا والمسائل والموضوعات ذكر المؤلف في الفصل الأول من كتابه ، معنى الوحى في اللغة وفي الشرع ، ومعنى النبى والرسول ، وحاجة البشر الى الرسالة ، وبين أصول الدين الذى أنزلت به الكتب ودعت اليه الرسل والاعتقاد عند أهل الكتاب في الأنبياء والبعث والجزاء ، كما ذكر في الفصل الثانى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، والزام المعترفين والمثبتين للوحى من الأوروبيين بالاعتراف بالوحى المحمدى ، وبين مميزات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم على غيره من الأنبياء بعد أن عمل مقارنة بين نبوته ونبوة موسى وعيسى ، وبين الآيات والعجائب عند المسلمين وأهل الكتاب ، وبعد ذلك ذكر الشبهات التى آثارها المستشرقون والمنصرون وغيرهم وخاصة درمنغام الذى جمع الشيخ أباطيله في عشر مقدمات وفند تلك المقدمات بالدليل والبرهان معتمدا في ذلك على نصوص الكتاب والسنة والحوادث التاريخية الثابته الصحيحة ، ثم بسط مايصورون به نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ودين الاسلام ، ورد على ذلك وإن كان في هذه النقطة حصل منه تكرار وتداخل في هذا الموضوع ومقدمات درمنغام مما سوف نذكره في المبحث الثانى،

وفي الفصل الرابع ذكر إعجاز القرآن بأسلوبه وبلاغته وتركيبه المزجى وحكمة إيجازه ، وما أحدثه في نفوس العرب خاصة المؤمنين والمشركين ، وفي الفصل الخامس تناول عموميات الدين ومبادئه ، وجمعها في مقاصد القرآن العشرة الرئيسية التى تحدث فيها عن أنواع الاصلاحات التى جاء بها الاسلام ودعا إليها ، وهذه الاصلاحات تناول فيها الشيخ المسائل الاقتصادية والدينية والسياسية والاجتماعية ....الخ ، وهذا الفصل شمل أركان الدين من عقيدة وعبادة وتشريع ، كما شمل النبوة والرسالة ووجوب الايمان بهما وفي هذا الفصل الذي يساوى في حجمه مجموع الفصول الأربعة ، ذكر محاسن الاسلام ومزاياه وجمعها في عشر جمل ، كما ذم التقليد والجمود الفكرى وحض على التفكير الحر في دائرة العقل ، وكان رحمه الله يعول على العقل في كثير من المسائل ، ثم تطرق لقضية الكرامات والولاية والخوارق وذم الذين يتمسكون بالخرافات والشعوذة ويصدقون الدجالين والمشعوذين وقال إنها أضرت بالدين ، وقد سبقت الاشارة الى ذلك في الفصل الثالث ،كما بين في هذه المقاصد حقوق النساء التى جاء بها الاسلام ولخص ذلك في عشرة أمور وبين هدى الاسلام في الرقيق ، وأنه دعا الى تحرير الارقاء .

وفي ختام هذا المطلب نذكر واحدا من ردوده كنموذج ومثال لما قلناه من طريقته المثلى في عرض حجة الخصم وفي تفنيده لتلك الحجج والأقوال . قال تحت عنوان العقل والعلم البشرى لايغنيان عن هداية الرسل (١) . قال عن : حجة الخصم : (فان قيل إن الإيمان بالغيب ووجود الرب غريزى في الفطرة البشرية كما حققتم أو الهام من الهاماتها يلقى في روع أفرادها عند نمو ادراكهم وان الحكماء المفكرين قد ارتقوا في معارفهم العقلية الى حيث أقاموا البراهين على وجود واجب الوجود وعلمه وحكمته ، ووجوب تعظيمه وشكره وعبادته ... ووصفوا للناس أصول الفضائل والتشريع والآداب التى تصلح بها الإنسانية وروابط الاجتماع .

---

(١) الوحى المحمدى ص ٥٤-٥٥.

قال في رده (قلت : نعم لكل ذلك أصل يشبته التاريخ الماضى ، ويشهده العصر الحاضر ، ولكن بين هداية الأنبياء وحكمة الحكماء وعلومهم فروقا في مصدر كل منهما في الثقة بصحته ، وفي الاذعان لحقيقته وفي تأثير في أنفس جميع طبقات المخاطبين .

فحكمة الحكماء وعلومهم آراء بشرية ناقصة ، وظنون لاتبلغ من عالم الغيب إلا أنه موجود مجهول ، وهى عرضة للتخطئه والخلاف ، ولايفهمها الا فئة مخصوصة من الناس ، وما كل من يفهمها يقبلها ، ولا كل من يقبلها يعتقد صحتها ويرجحها على هواه وشهواته ،إذ لاسلطان لها على وجدان العالم بها ، فلا يكون لها تأثير الإيمان واسلام الاذعان والتعبد ، لأن النوع البشرى يأبى طبعه وغريزته أن يدين ويخضع خضوع التعبد لمن هو مثله في بشريته وان فاقه في علمه وحكمته ، وإنما يدين لمن يعتقد أن له سلطان غيبيا عليه بما يملكه من القدرة على النفع والضر بذاته دون الأسباب الطبيعية المبذوله لجميع الناس بحسب سنن الكون ونظامه ١٠.هـ (١)

في رده على الفلاسفة والحكماء في دعواهم أنهم قد ارتقوا عند نمو ادراكهم ومعارفهم العقلية وعرفوا واجب الوجود وعلمه وحكمته .....الخ مقالتهم ، نرى طريقته المثلى في رده بالبراهين العقلية والمنطقية على هؤلاء لأنهم لايسلمون الا لدليل عقلي أو منطقي فهو رد عليهم من منهجهم واعتقادهم واستنبط الدليل من قولهم .

---

(١) الوحى المحمدى ص ٥٤-٥٥.

المبحث الثانـــى

السلبيـــات المنهجيـــة والموضوعيـــة

ويشتمل على مطلبين :-

المطلب الأول : السلبيـــات المنهجية .

المطلب الثانى : السلبيات الموضوعيـــة .

المطلب الأول

السلبيات المنهجية :

في المبحث الأول قد أشرت الى إيجابيات الكتاب الكثيرة ، ونؤكد ذلك القول ، ونقول إن الكتاب ذو قيمة علمية يكاد أن يكون فريدا في مواضيعه وذلك لما يشمل عليه من المسائل والقضايا التى كانت ومازالت مثار اهتمام كثير من المسلمين والتى أوردها الشيخ في كتابه ونهج في حلها أسلوبا عجيبا ، بما أتاه الله من العلم والحكمة والادراك المميز ، حيث تناول هذه المسائل بالتحليل والتدليل والرد المقنع ، وهذا القول ليس من باب المبالغة والمجاملة أو التحيز الى جانب المؤلف ، ولكن هذا الثناء والمدح موجود بشهادة العلماء الذين سبق وأن قرظوا الكتاب ، وموجودة تقاريظهم بذيله ولكن هذا لايمنع من أن نلقي نظرة على سلبيات الكتاب ، وخاصة أن منهجية البحث تلزمنا بأبداء الرأى ، لذلك أقول رأيي ، فإن كان صوابا فمن الله وان كان خطأ فمن نفسي .

نقول إن هناك ملاحظتين على منهج الشيخ في ترتيب الكتاب :-

١- الملاحظة المنهجية الأولى :

تتعلق بصياغة مباحث الفصول ، من الواضح أن المؤلف أسهب في تفريع وتجزئه بعض الفصول بينما نجده قد اختصر في البعض الآخر مما جعل حجم الفصول يتفاوت ولا يتناسب ، فمثلا الفصل الخامس بلغ عدد الصفحات التى تشتمل على موضوعات الفصل " ١٨٠" مائه وثمانون صفحة أى مايزيد على مجموع عدد صفحات الفصول الأخرى مجتمعة أو أكثر من نصف صفحات الكتاب ، جعله المؤلف فصلا واحدا ، كما نجد أيضا أن الفصول الاخرى غير متساوية الحجم فالأول مثلا تشغل موضوعاته ١٥ صفحة فقط والثاني ٢٨ صفحة والثالث ٥٨ صفحة والرابع ٢٤ صفحة ، اضف الى ذلك تصدير الطبعات الثالثة والثانية وفاتحة الثانية ومقدمة الأولى تشغل "٤٢" صفحة ،أى أكبر من حجم الفصل الأول والرابع مجتمعة أو مايعادل حجم الفصل الأول والثاني معا.

٢- الملاحظة المنهجية الثانية :

تتعلق بالمواضيع . اذا نظرنا الى المواضيع الواردة في الفصول يلحظ القارىء في بعضها التشابه والتقارب في المعنى ، بحيث يمكن ضم ونقل بعض الفصول أو بعض الموضوعات فيها الى بعض ومن ذلك مثلا قوله في الفصل الرابع والفصل الخامس (الموازنة بين تأثير القرآن في العرب والتوراة في بنى اسرائيل)(١) ، (وترجيح فضائل القرآن على فضائل الانجيل)(٢) وقوله في الفصل الأول والخامس :(حاجة البشر الى الرسالة وأصول دين الرسل ثلاثة)(٣) (بيان ماجهل البشر من أمور النبوة والرسالة ووظائف الرسل)(٤) فان هذه المواضيع وغيرها من المسائل المتشابه من الممكن أن تضم الى بعضها تحت عنوان أحد الفصول الصغيرة حتى يكون بالامكان تناسب حجم الفصول كما يكون بالامكان ضم تصدير وفاتحة الطبعة الثانية الى بعضهما تحت اسم تصدير أو فاتحة أو مقدمة الطبعة الثانية ، فان الفصول وكذلك بعض الموضوعات ليس بينها تقارب في الحجم ، بينما نجد بينها تشابها وتداخلا وتكرارا واسهاما وإيجازا في بعض المواضيع ، وهذا ماسوف نناقشة في المطلب الأخير بمشيئة الله . كملا يلاحظ أنه ذكر(٥) لولا أنه وضع الكتاب في قالب الاختصار لفصل المطالب ونظمها في سلك المقاصد أى مقاصد القرآن العشرة التى وضعها في الفصل الخامس .

---

(١) الوحى المحمدى ص ١٤٨.
(٢) نفس المصدر ص ١٩٣.
(٣) نفس المصدر ص ٤٨.
(٤) نفس المصدر ص ١٩٨.
(٥) نفس المصدر ص ١٨ .

المطلب الثاني

السلبيات الموضوعية :

إن السلبيات التي لفتت نظري ووقع عليها انتباهي أثناء تصفحي للكتاب قد حددتها في النقاط التالية :-

١- ذكره رحمه الله للمولد النبوي في مقدمة الطبعة الأولى وتصدير الطبعة الثالثة .

٢- موقفه المخالف لما قاله في كتابه من قضية الولاية والكرامات .

٣- قوله إن الاسلام قد وضع الأحكام الممهدة لزوال الرق بالتدرج [(١)] ، وأن الاسلام عمل على إبطال الرق .

٤- وقوله : ولولا حكاية القرآن لآيات الله التي أيد بها موسى وعيسى عليهما السلام لكان اقبال أحرار لافرنج عليه أكثر ...الخ) [(٢)] .

٥- وقوله في عالم الجن بأنها لاترى للإنسان ، وتأوله لذلك بأنها ميكروبات .

٦- قوله إن معجزة الرسول الدالة على نبوته ورسالته هي القرآن فقط وباقي المعجزات بأنها آيات كونية وقعت كرامة للنبي وأصحابه ، ولم تكن جاءت لإقامة حجة على النبوة والرسالة .

٧- التكرار والتداخل في بعض الموضوعات والعبارات والكلمات ...الخ .

١. ذكره للمولد النبوي في مقدمة الطبعة الأولى [(٣)] وتصدير الطبعة الثالثة :

بقوله إنه قد حرر المقدمة في ليلة ذكرى المولد المحمدي ، كما كرر القول في تصدير الطبعة الثالثة بأنه أصدر الطبعة الأولى في موعد ذكرى النبي

---

(١) الوحي المحمدي ص ٣٢٨، ٣٢٩.

(٢) نفس المصدر ص ٧٢.

(٣) نفس المصدر ص ١، ٣١.

صلى الله عليه وسلم من ربيع الأول سنة "١٣٥٢هـ" وكان يقصد من ذلك تيمنا بظهور نوره المشرق ، والذي يظهر لي أنه يقصد التبرك بالمولد النبوى، فإن كان الأمر كذلك فهذه بدعة في الدين ، لاسيما إذا حصلت من العالم ، فإن الجاهل يظن أن ذلك أمر مسنون في الاسلام ومشروع ،والتيمن والتبرك بالمولد لم يرد في كتاب الله ، لا لرسول ولا لغيره من الأنبياء والصالحين ، ولم يثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء في ذلك بل الثابت في الكتاب والسنة محاربة البدع بجميع أنواعها (أى المحدثة في الدين) ومنها الاحتفال بالمولد النبوى ، الذى أصبح من البدع الظاهرة التى فتن بها ضعاف العقول في هذا الزمن . ومن الغريب أن الشيخ - رحمه الله - كان يحارب البدع بجميع أنواعها ومنها الاحتفال بالمولد ، قال في ذلك (إن تعظيم المولد لم يظهر الا بعد أن ضعف الدين وان كثيرا المحتفلين بهذه المناسبة من أهل البدع والمعاصى والمترفين)[(١)] .

وصحيح ان هناك فرق بين الاحتفال بالمولد النبوى وبين التيمن والتبرك به ولكن يظهر لي أنهما يتفقان في المقصد ، لأن من أظهر سمات المولد النبوى عند العامة هو التبرك بهذا اليوم ، وبناء على ذلك أرى أنه يلحق بنوع البدع ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يأمر به ولم يفعله لذكر مولد أحد من الانبياء قبله ، ولم يفعله أحد من أصحابه أو التابعين ، بل الآيات والأحاديث تنص على كمال الدين وعدم احداث البدع والتحريف فيه .

قال تعالى " اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا)[(٢)] .

وفي الحديث (من أحدث في أمرنا هذا ماليس منه فهو رد)[(٣)] .

---

(١) مجلة المنار المجلد الثالث ص ٦٦٤.

(٢) سورة المائدة آية ٣.

(٣) فتح البارى جـ ٥ ص ٣٠١ ، صحيح مسلم جـ٣ ص ١٣٤٣.

٢- موقفه المخالف لما قاله في كتابه الوحى المحمدى عن الولاية والكرامات : قد سبق أن شرحنا موقف الشيخ من الولاية والكرامات وقلنا انه كان يحارب ادعياء الولاية والكرامات من الطرق الصوفية ، وذم المغالاة في ذلك ، وقال إنها فتحت بابا من الشرك في عقيدة التوحيد ، وإلى هذا القول والرأى من المؤلف نجد أنه يذكر لنفسه عدة كرامات ، من ذلك ماقاله بينما كان مرة يريد الوضوء في جامع بلدته القلمون جاءه شاب فقال الشيخ له كما قال الخليفة عثمان بن عفان لأحد الشبان الداخلين عليه (يدخل أحدكم في عينيه أثر الزنا) فقال الشاب لرشيد رضا انها المكاشفة وانى كنت في الطريق اليك أغازل امرأة ، وامتع نظرى بمحاسنها. فقال له رشيد رضا (كلا لا مكاشفة ، وإنما هو شيء وقع في قلبي عندما رأيتك ، وما أنا مما كان معك على يقين)(١) بل ذكر أن كراماته قد تعدت الآدميين الى الحيوانات ومن ذلك أن والدته قد استكتبته حجابا طلبه منها بعض نساء الاعراب لوضعه على الغنم لأن الموت قد فشا فيها(٢) . ويذكر أنه ترك ذلك بعد هجرته الى مصر مخافة الفتنة في هذه الأمور.

٣- قوله إن الإسلام قد وضع الأحكام الممهدة لزوال الرق بالتدرج ،وأن الاسلام عمل على إبطال الرق . نقول كان الرق سابقا للإسلام ، وموجودا وشائعا في الأمم قبل بعث الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكانت دواعيه وأسبابه كثيره ومنها الحرب ، وأسباب الحرية من الرق والخلاص منه تكاد أن تكون نادرة . وهذه الأمور نتفق مع الشيخ عليها.كما نتفق مع الشيخ على أن الاسلام دعا للحرية وعدد طرق الاعتاق من الرق ، وقد تناول الشيخ هذا الموضوع بكلام جميل لاغبار عليه وفصل في ذلك وذكر الأدلة الشريعية والعقلية بما فيه الكفاية . لكن ملاحظتى هى أن الاسلام عندما جاء كان الرق يأتى عن طريق الظلم

---

(١) مجلة المنار ، المجلد الثالث ص ٦٥٨.

(٢) نفس المصدر ص ٦٥٨.
الوحى المحمدى ص ٣٢٨-٣٢٩.

والعدوان ، ولم يكن أمرا مشروع من الله سبحانه لكن عندما جاء الاسلام جعل الاسترقاق أمرا جائزا في الشرع ولم يعمل على إبطاله كما قال الشيخ ولم يعمل الإسلام على تقليصه بالتدرج وإبطاله كما قاله في عباراته ، ولكن الاسلام حصر أسبابه في شرطين أساسين فقط لابد من وجودهما مجتمعان :
الشرط الأول الكفر ، والشرط الثانى مقاتلة المسلمين . والاسترقاق ليس الطريق الوحيد لمعاملة أسرى الحرب وسباياه هناك عدة طرق ذكرها العلماء عند تفسير قول الرب جل وعلا(فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منّا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها)(١)

وهذه الطرق مثل الفداء بالمال أو المن عليهم بدون مقابل أو قتل المحاربين منهم دون الضعفاء ، وهذه الطرق متروكة للحاكم يأخذ بما يراه مناسبا وليس ملزما أن يأخذ بالرق ، ولكن نقول إن الرق أمر مشروع ثابتة احكامه في دين الاسلام ، ولايمكن الغاؤه مادام هناك كفر في مقابلة الاسلام وهذه الأحكام جاءت بنصوص القرآن وسنة النبي صلى الله عليه وسلم الفعلية في سبايا الحرب مثل سبايا اوطاس من هوازن وبني المصطلق وغيرهما. قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله (فسبب الاسترقاق هو الكفر بشرط الحرب فالحر المسلم لايسترق بحال من الاحوال ، والمعاهد لايسترق ، والكفر مع المحاربة موجود في كل كافر ، فجاز استرقاقه ، كما يجوز قتاله ،فكل ما أباح قتل المقاتلة سبي الذرية، وهذا حكم عام في العرب والعجم ، وهذا مذهب مالك والشافعى في الجديد من قوليه وأحمد)(٢) .ونقول صحيح إن الاسلام حث ورغب في تحرير واعتاق الارقاء وخاصة بعد أن يسلم العبد أو الأمة ، وجعله من كفارات ذنوب المذنبين ، ولكن الاسلام مع هذا لم يبطله بالكلية بل جعل أصله في الاسلام أمرا مشروعا.

---

(١) سورة محمد آية ٤.

(٢) فتاوى ابن تيمية - ج ٣١ ص ٣٨٠ - تصوير الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـ .

٤- قوله (ولولا حكاية القرآن لآيات الله التى أيد بها موص وعيسى عليهما السلا م، لكان اقبال أحرار الافرنج عليه اكثر ، (يعنى الاسلام) واهتداؤهم به أعم وأسرع ، لأن أساسه قد بني على العقل والعلم ، وموافقة الفطرة البشرية وتزكية أنفس الأفراد وترقية مصالح الاجتماع .....الخ، فهمت من هذه العبارة ان الآيات التى أيد الله بها موسى وعيسى، والتى جاء الاخبار عنها في القرآن سبب ذلك منعا لليهود والنصارى من دخول الاسلام فإنكان الشيخ يريد ذلك فهذا غير صحيح ، وحاشى أن يقول الرب كلاما يكون مانعا للناس من الدخول في الهداية الربانية ، ويكون كلامه متناقضا ،ولكن الخطأ حصل من فهم الناس لكلام الله على غير حقيقته ، فإن الله سبحانه لم يقل إن اليهود والنصارى اتباع موسى وعيسى على حق بعد نزول القرآن الكريم وبعد ثبوت تحريفهم لكلام الله ، بل وصفهم بالكفر ، ولكن الله سبحانه وتعالى ذكر الآيات التى أيد بها الأنبياء حتى قبل موسى وعيسى، فاذا كانت هذه الشبهة تثبت حقا ، فإنه يلزم اتباع موسى وعيسى من اليهود والنصارى ألا ينكروا على اتباع الانبياء السابقين بل يلزمهم اتباعهم لأن الدين واحد عند الله تعالى .

ومما لاشك فيه ان القرآن نزل هداية للناس جميعا ولم يكن مانعا لأحد من اعتناقه والدخول فيه ، بل انه دين الله الذى أنزلت به الكتب ودعت اليه الرسل (إن الدين عند الله الاسلام) (١) (ومن يتبع غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) (٢).

٥- قوله (ومما أخبر به الأنبياء من أمر عالم الغيب : الجنّ والشياطين وأن مايجده الناس في أنفسهم من خواطر السوء ، وتقوية دواعي الشر والباطل فهو من وسواس الشياطين .....الى أن ، وقد أوضحناه بالدلائل في تفسيرنا

---

(١) سورة آل عمران آية ١٩.

(٢) سورة آل عمران آية ٨٥.

وضربنا له المثل بعوالم الجنّة المادية التى تسمى بالميكروبات ، وكون تأثيرها في الاجسام كتأثير الشياطين في الأرواح)[١] اهـ

ومن المعلوم أن الشيخ رشيد رضا ينكر رؤية الجنّ ويقول إن الجنّ لايرى للإنسان على أى حال من الأحوال، ويقول إن من يدعى رؤية الجنّ فذلك وهم منه وتخيل ، لا حقيقة له في الخارج ، ويضعف جميع الروايات التى تدل على أن الانسان يمكن أن يرى الجنيّ ويبصره ، بل نجد أنه يصف الجنّ ويقول انها قد تكون الميكروبات التى تسبب الأمراض للإنسان نوع من الجنّ[٢] .

الرد على المؤلف :

من المعلوم أن الجنّ خلق من خلق الله ، خلقها من المادة (النار) وأن الله كلف الجنّ بالعبادة له مثلما كلف الانس سواء بسواء والأدلة في ذلك كثيرة منها قوله تعالى(وما خلقت الجنّ والانس الآ ليعبدون)[٣] وأن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم للجنّ والانس وفي القرآن الكريم آيات كثيرة خاطبت الجنّ وأمرته بالتكاليف بل سور تحمل اسم الجنّ لما تضمنه من أوامر التكاليف الخاصة بهم ، ولكن الذى يهمنا هى الرؤيا ، فهي ثابته بالقرآن ، كما وردت بها السنة النبوية كثيرا ، ولكن نورد مثالين فقط : الأول : من القرآن الكريم قوله تعالى" واذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لاغالب لكم اليوم من الناس وإنى جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه "[٤] .

قال الطبرى في تفسير هذه الآية (عن ابن عباس قال جاء ابليس يوم بدر في جند من الشياطين ، معه رايته في صورة رجل من بنى مدلج في صورة سراقة

---

(١) الوحى المحمدى ص ٤٩ ، تفسير المنار جـ٣ ص ٩٥-٩٦.
(٢) تفسير المنار جـ٩ ص ٤١٨.
(٣) سورة الذاريات آية ٥٦.
(٤) سورة الأنفال آية ٤٨.

ابن مالك بن جعشم ، فقال للمشركين(لاغالب لكم اليوم من الناس وإنـــي جار لكم)[١] . ثم ذكر قصة هزيمة المشركين في بدر.

أما السنة : ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ان عفريتا من الجنّ جعل يفتك علـــيّ البارحة ، ليقطع عليّ الصلاة ، وأن الله أمكننى منه فذعته[٢] ، فلقد هممت أن أربطه الى جنب سارية من سوارى المسجد حتى تنظرون اليه أجمعون(كلكـم) ثم ذكرت قول أخي سليمان(رب اغفر لى وهب لى ملكا لاينبغى لأحد من بعـدى)[٣] فرده الله خاسئا "[٤] .

واذا كان الشيخ قد أنكر الرؤيا للجن وتأول أن الجن ربما تكون نوعا من الميكروبات وتضعيف الأحاديث الكثيرة التى تروى تشكل الجن ورؤيتهـــم ومحادثتهم والكلام معهم كل ذلك حصل وممكن ، وهذه الأمور قد حررها العلماء من قبله وتكلموا فيها ولم ينكروا الرؤيا للجن وخاصة أهل السنة والجماعة وهم بهذا المفهوم الصحيح الذي تشير اليه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية بأن الجنّ يتشكلون بالصور المختلفة . والشيخ يذهب مذهب استاذة الشيخ محمد عبده في قضية الجنّ والسحر وبعض المسائل الأخرى التى يخالفان الجمهـــور فيها وسبقت الاشارة الى بعضها. مما هو مذكور في تفسير المنار ،قال شيـــخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله (والجن يتصورون في صور الإنس والبهائـــم فيتصورون في صور الحيات والعقارب وغيرها ، وفي صور الإبل والبقر والغنـــم والخيل والبغال والحمير ، وفي صور الطير ، وفي صور بنى آدم)[٥] .

---

(١) عبد الكريم نوفان فواز عبيدان - عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة رسالة ماجستير ط ١(١٤٠٥هـ-١٩٨٥م) ص ١٩ ، دار ابن تيمية للنشر والتوزيع الرياض.

(٢) ذَعْتُهُ : خنقته .

(٣) سورة ص آية ٣٥.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب المساجد باب جواز لعن الشيطان في أثناء الصلاة ج١ ص ٣٨٤ ، وأخرجه البخارى بنحو هذا اللفظ ، كتاب التفسير، باب هب لى ملكا لاينبغى لأحد من بعدى فتح البارى ج٨ ص ٥٤٦.

(٥) مرجع سابق ، عالم الجن ص ١٨.

٦- يرى المؤلف أن معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم الدالة على نبوته ورسالته ، تنحصر في معجزة واحدة، وهى القرآن الكريم أما بقيّة المعجزات الكونية، فإنما هى في رأيه آيات كونية حصلت للرسول وأصحابه من باب الكرامة ، والعناية والرعاية ، وفي ذلك يقول (وأما ما أكرمه الله تعالى به من الآيات الكونية (يعني النبي صلى الله عليه وسلم) فلم يكن لإقامة الحجة على نبوته ورسالته ، بل كان من رحمة الله تعالى وعنايته به وبأصحابه في الشدائد ، كنصرهم على المعتدين عليهم من الكفار .....الخ)(١) ويقول ان انتصار الرسول في المعارك مثل غزوة بدر والأحزاب وغيرهما واشباع العدد الكثير من الطعام القليل وشفاء المرضى وابصار الأعمى .....الخ كلها ليست معجزات بل هى آيات كونية جاءت لاكرام الرسول صلى الله عليه وسلم والعناية به وبأصحابه ، وحجته في ذلك : ان المشركين اقترحوا الآيات الكونية على رسوله ، فاحتج عليهم بالقرآن في جملته ، وبما فيه من أخبار الرسل والكتب السابقة التى لم يكن يعلمها هو ولا قومه ، وبهدايته وبعلومه وباعجازه وعدم استطاعة أحد ولا جماعة ولا العالم كله على الاتيان بمثله ثم استشهد بقوله تعالى(قل لئن اجتمعت الانس والجنّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا)(٢) كما استشهد بحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم (ما من الأنبياء من نبي الا وقد أعطى من الآيات مامثله آمن عليه البشر ، وانما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله الىّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة "(٣) . فان المؤلف في هذه المسألة قد جانب الصواب بحصره معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم فقط وجعل ماسواه كرامات كونية .

---

(١) الوحى المحمدى ص ٥٩-٨١.

(٢) سورة الاسراء آية ٨٨.

(٣) فتح البارى جـ ١٣ ص ٢٤٧.

٧- التكرار والتداخل في بعض المواضيع والعبارات والكلمات ..... الخ

ان التكرار والتداخل قد حصل في بعض المواضيع ومن ذلك ، قوله (وأصول دين الرسل ثلاثة [١] ، ثم ذكر هذه الأصول وقال هى الايمان بالغيب ودراسة توحيد الله وصفاته وآياته ، والثانى مايجب اعتقاده من البعث بعد الموت والحساب والجزاء ، والثالث وضع حدود وأصول للأعمال التشريعية . ثم نجد أن المؤلف ذكرها مرة أخرى في المقصد الأول من مقاصد القرآن الكريم تحت مسمى حقيقة أركان الدين الثلاثة [٢] ، ويذكر منها الايمان بالله ، والايمان بالبعث ، وفي الفصل الثالث يورد شبهات [٣] عشر ويعزوها للمستشرق درمنغام وفي نفس الفصل يوردها مرة أخرى تحت عنوان بسط مايصورون به الوحى النفس من ثمانية وجوه . فيكرر الشبهات التى آثارها درمنغام نفسها مع اختلاف في الصياغة ، فصار تكرارا في المواضيع وتداخل ، وفي الحقيقة ان مقاصد القرآن التى أوردها المؤلف في الفصل الخامس تشتمل على الفصول الأربعة السابقة له لأن موضوعاتها من مقاصد القرآن الكريم .

أما تكرار العبارات والكلمات وكذلك تكرار بعض الاسماء فكثير ويحتاج الى بحث كامل ، ولكننى أذكر مثالا واحدا لعله يكون دليلا على مقالتى هذه من تكرار العبارات ، تعريفه للوحى وذلك في صفحة ٤٣-٤٤ ، ثم كرره مرة أخرى في هامش صفحة ١١١، كما نلاحظ تكراره للأسماء والكلمات من ذلك ذكره للباب الايراني والبهاء والفادياني فقد ذكر هذه الاسماء في صفحة ٩٢ ثم أورد ذكرهم مرة أخرى في صفحة ٢٢٨ ، كما يلاحظ انه اسهب في بعض الموضوعات واختصر في البعض الآخر مع أن الموضوع يحتاج زيادة الشرح والأدلة . ملاحظة أخيرة جدا لو أفردت المستشرقين بفصل مستقل ، يتضمن الشبهات والردود عليها لكان في رأينا أفضل والله أعلم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد .

---

(١) الوحى المحمدى ص ٤٨-٥٠.

(٢) نفس المصدر ص ١٦٨.

(٣) نفس المصدر ص ٩٥-١٠٥.

خاتمة البحث

الحمد لله العلى القدير الذي أعاننى على إتمام هذا البحث حتى خرج بهذه الصورة التى حاولت بكل ما أوتيت من جهد وطاقة أن يخرج بها، آملا أن يكون وافيا شاملا لأهم موضوعات كتاب الوحى المحمدى، وتفصيلا لبعض المسائل التى تناولتها بالشرح والايضاح والتعليق ، مستندا ومستدلا في ذلك بنصوص الكتاب والسنة وأقوال العلماء والبراهيم العقلية ، وقد أجملت النتائج التى توصلت اليها من خلال دراستى لبعض موضوعات الكتاب في النقاط التالية :-

أولا : اتضح لي أن الكتاب قد احتوى على عدة أمور سلبيّة منها :-

١- قد ذكر المؤلف المولد النبوي في مقدمة الطبعة الأولى(١) وفي تصدير الطبعة الثالثة ، ويظهر لى من ذلك أمران :-

الأول : التبرك بالمولد النبوى ونص عليه في تصدير الطبعة الثالثة وهذا الأمر في رأيي أنه بدعة لم ترد عن النبى صلى الله عليه وسلم ولا عن صحابته رضى الله عنهم .

الثانى : ذكره للمولد مرة أخرى في تصدير الطبعة الثالثة فيه تكرار وفيه تأكيد على تلك البدعة . وقد بينا قول الحق في ذلك ، ولماذا قلنا انها بدعة .

٢- كما لاحظت أن المؤلف قد وصف الجنّ بالعوالم المادية التى تسمى بالميكروبات(٢) وذلك عندما طرق موضوع الإيمان بالغيب وبيّنت الخطأ في ذلك كما أشرنا الى موقفه من رؤية الجنّ ، وقلنا إنه ينكر ذلك . وان كان هناك تناقض في رأيه الذى ذكره في تفسير المنار من عدم الرؤية ورأيه في كتاب الوحى المحمدى الذي نص على الرؤية بالمجهر وأنها ميكروبات .

---

(١) الوحى المحمدى ص ١، ٣١.

(٢) نفس المصدر ص ٤٩.

٣- وتحت عنوان الآيات والعجائب وإثبات النبوة عندنا وعندهم[١] (يعنى أهل الكتاب قد لاحظت رأيه في ذكر القرآن للآيات التى ايّد الله بها موسى وعيسى عليهما السلام ، على أنها صارت مانعة للافرنجة من الدخول في الاسلام وبيّنت الخطأ في ذلك ، ولعله ماقصد هذا المعنى رحمه الله).

٤- كما وجدت أنه يرى أن معجزة[٢] الرسول صلى الله عليه وسلم هو القرآن فقط وذلك لما فيه من الاخبار بالغيب وشموله على الآيات العلمية والكونية وما فيه من البلاغة والاسلوب الفريد وسائر علومه الأخرى وما يحويه من التشريع والعبادة وغيرها.

ويقول عن المعجزات الأخرى على أنها كرامات ، وقلنا ان المؤلف في هذه النقطة جانبه الصواب ، وبيّنا خطأ هذا القول .

٥- كذلك عندما استعرضت موضوع الولاية والكرامة ورأى الشيخ في هذه القضية وجدته يخالف رأيه في كتابه (الوحى المحمدى) ويذكر لنفسه عدة كرامات وذلك في مجلة المنار.

٦- ومن خلال دراستى لمواضيع الكتاب كذلك وجدت رأيه في الرق أن الاسلام عمل على إبطال الرق[٣] ، وقلت أن الاسلام ، جعل الرق أمرا مشروعا مادام هناك كفر في مقابل الاسلام وأن الرق قبل الاسلام لم يكن مشروع لأنه حصل نتيجة للعدوان والظلم.

٧- أشرت الى التكرار والتداخل فيما بين بعض موضوعات الكتاب والعبارات المتكررة ، كذلك بيّنت عدم تساوى حجم الفصول حيث اشتمل الفصل الخامس على أكثر من نصف الكتاب .

---

(١) الوحى المحمدى ص ٧٢.

(٢) نفس المصدر ص ٧٩-٨١.

(٣) نفس المصدر ص ٣٢٨، ٣٢٩.

٨- أما ايجابيات الكتاب فهى كثيرة جدا وقد سبق أن قلنا الكتاب شمل كثيرا من عموميات مبادىء الاسلام وجزئياته ، وأنه ذو قيمة علمية ، وذكرنا تقاريظ العلماء الذين سبق انبيّنوا قيمة الكتاب وما تحويه مواضيعه من ايجابيات .

ثانيا : التوصيات :

أ- نقول إن كتاب الوحى المحمدى جاء عام لأصول الدين وفروعه وقد شمل المبادىء والأسس التى من خلالها يفهم هدف الاسلام على أنه جاء لاسعاد البشرية ودعوتهم الى الدخول فيه أفواجا وأنه دين الحق الذي به تصلح الحياة ويمنع الظلم ويحارب الفساد والاعتداء على حرية الانسان وعرضه وماله .فحبذا لو عرضت هذه المبادىء عرضا أفضل من عرض المؤلف ونظمت تنظيما ينسجم مع مسميات الفصول وماتحويه من مواضيع ، كان ذلك في رأيي أجدى وأنفع وأسهل في مفهم تلك الموضوعات .

ب - وضع المؤلف عنوانا عاما للفصل الخامس يصلح أن يكون عنوانا لكل فصول الكتاب وهو مقاصد القرآن لأنجميع موضوعات الكتاب في رأيي من مقاصد القرآن الكريم فلو اعيدت صياغة فصول الكتاب تحت مسمى هذا العنوان فإنه افضل من ترتيبيه الحالى وكذلك دراسة مواضيعه وابعاد التكرار وتلافى التداخل في بعض المواضيع واضافة شيئا من الدراسة الى بعض المواضيع المختصرة ووضع الكتاب في جزئين أو أكثر .

ج - كما نرى أن المقدمة والتصديرات وفاتحة كل طبعة تعاد صياغتها تحت مسمى المقدمة فقط .

د - نرى كذلك أن التقاريظ تحتاج إلى أن تفصل عن الكتاب وتوضع بجزء مستقل باسم تقاريظ كتاب الوحى المحمدى . هذه وجهة نظرى وبالله التوفيق .

ثالثا : الاستدراكات على البحث :

أ- ان بعض الشخصيات لم أترجم لها وذلك لأحد سببين ،اما لعدم وجود ترجمة لتلك الشخصية في الكتب التى اطلعت عليها، واما لوجود تشابه في الاسم مع غيرهم، وخاصة بعض المستشرقين مما جعلنى أترك الترجمة خوفا من الوقوع في الخطأ .

ب - فصول البحث غير متساوية في الحجم وخاصة الفصل الثاني توسعت فيه عن غيره لأنه صلب الموضوع ، والفصل الرابع حكمتنى فيه سلبيات الكتاب فهى قليلة حددتها في صفحات معدودة ، أما الايجابيات فهى كثيرة اكتفيت بذكر بعضها دون الكل .

ج - حصل شبهة تكرار في المطلب الثانى من المبحث الثانى من الفصل الأول عندما تحدثت عن قيمة الكتاب العلمية ، حيث استشهدت ببعض تقاريظ العلماء للكتاب ، مع ذكرنا لتقاريظ العلماء في المطلب الأول من المبحث الثالث عندما ذكرنا تقاريظ العلماء للكتاب .

د - وفي خاتمة البحث أود أن أعتذر عن تقصيرى ، في عدم ايفاء الكتاب حقه ، حيث مواضيعه الجمة تشتمل على كثير من المسائل والقضايا التى تحتاج الى بحوث مستقلة ورسائل عديدة ومتسع من الوقت ، وهذه الأسباب جعلتني ابتعد عن الدخول في كثير من المسائل والقضايا والخوض فيها بدون الخروج بنتيجة ، هذا والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه واتباعه وسلم تسليما .

المراجع

القرآن الكريم :

م	اسم الكتاب	المؤلف	الطبعة وتاريخها	الناشر
١	إحياء علوم الدين	الغزالى/ أبى حامد الغزالى		دار الندوة الحديثة بيروت لبنان .
٢	ارشاد الثقات الى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات	الشوكانى /محمدبن علي	الأولى ١٤٠٤هـ ١٩٨٥م .	دار الكتب العلمية / بيروت . لبنان .
٣	الاستشراق والمستشرقون	وزان / عدنان محمد	١٤٠٤هـ/١٩٨٤م	مطبعة رابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة (العدد ٢٤) .
٤	أسباب النزول	النيسابوري/علي بن أحمد الواحدي		عالم الكتب / بيروت لبنان .
٥	الاصابة في تمييز الصحابة	العسقلانى/ أحمدبن علي ابن حجر	الأولى ١٣٢٨هـ مطبعة السعادة مصر	دار صادر
٦	إعجاز القرآن والبلاغة النبوية	الرافعي/مصطفي صادق	التاسعة ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م	دار الكتاب العربي / بيروت
٧	إعجاز القرآن العلمي	الاستانبولي / محمود مهدي	١٣٩٦هـ/١٩٧٦م	بيروت
٨	الأعلام	الزركلي/خير الدين	السادسة ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م	دار العلم للملايين - بيروت . لبنان .
٩	الأعمال الكاملة	الامام محمد عبده تحقيق د/ عماره	١٩٧٢م	المؤسسة العربية للدراسات والنشر
١٠	تاريخ الاستاذ الامام	رضا / محمد رشيد	١٩٣١م	مطبعة المنار
١١	تذكرة الدعاه	الخولى / محمد البهى	الخامسة ١٣٩٧هـ	دار العلم بيروت. لبنان .
١٢	التعريفات	الجرجانى/علي بن محمد ابن علي	١٣٠٨ هـ	استانبول

م	اسم الكتاب	المؤلف	الطبعة وتاريخها	الناشر
٢٥	الدعوة الى الاسلام	أبو بكر ذكرى		دار العروبة / مصر
٢٦	رسالة التوحيد	محمد عبده	الأولى ١٣٩٦ هـ	دار احياء العلوم
٢٧	رشيد رضا الامام المجاهد	ابراهيم العدوى	١٩٦٤م	الدار المصرية للتأليف والترجمة .
٢٨	زعماء الاصلاح	أحمد أمين	الثانية ١٩٦٥م	دار الكتاب العربي
٢٩	سنن ابن ماجه تحقيق فؤاد عبد الباقى	ابن ماجه/ محمد بن يزيد	١٣٩٥ هـ	
٣٠	سنن الترمذي	الترمذي/محمدبن عيسى	١٣٩٨هـ/١٩٧٨م	دار الفكر بيروت.لبنان
٣١	صحيح البخاري	الجعفى أبى عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخاري		دار الفكر. بيروت. لبنان
٣٢	صحيح مسلم	النيسابوري /أبى الحسين مسلم بن الحجاج القيشيري		دار الفكر . بيروت لبنان .
٣٣	عالم الجن	عبد الكريم /نوفان فواز	الأولى١٤٠٥هـ/١٩٨٥م	دار ابن تيمية للتوزيع والنشر / الرياض
٣٤	فتاوى الامام رشيد رضا	تحقيق صلاح المنجد ويوسف الخوري		دار الكتاب . بيروت
٣٥	فتح البارى بشرح صحيح البخارى	العسقلانى/ أحمدبن علي ابن حجر		مكتبة الرياض الحديثة
٣٦	الفرقان بين أولياء الرحمن و أولياء الشيطان	ابن تيمية / أحمد بن عبد الحليم	١٣٩٧هـ/١٩٧٧م	ادارة ترجمان السنة لاهور/ باكستان .

م	اسم الكتاب	المؤلف	الطبعة وتاريخها	الناشر
٣٧	الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار	د/ محمد البهي	التاسعة	مكتبة وهب / القاهرة مصر
٣٨	فكرة اعجاز القرآن منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر	نعيم الحمص	الثانية ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م	مؤسسة الرسالة ٠بيروت لبنان
٣٩	في ظلال القرآن	سيد قطب	١٣٩٣هـ/١٩٧٣م	دار الشروق ٠ بيروت لبنان
٤٠	قاموس محيط المحيط	البستاني/ المعلم بطرس	١٩٧٧ مؤسسة جوار للطباعة	مكتبة لبنان٠ بيروت
٤١	قصص الأنبياء	النجار/عبد الوهاب		دار احياء التراث العربي بيروت٠ لبنان
٤٢	كتاب النبوات	ابن تيمية/ أحمد بن عبد الحليم	١٤٠٢هـ/١٩٨٢م	دار الكتب العلمية٠ بيروت
٤٣	الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل	الخوارزمي/ أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري		دار المعرفة٠ بيروت لبنان٠
٤٤	لسان العرب	الافريقي /محمد بن منظور	طباعة دار صادر	دار الفكر ٠ بيروت لبنان
٤٥	الله ينجلي في عصر العلم	نخبة من العلماء الامريكيين		دار القلم ٠ بيروت لبنان ٠
٤٦	مباحث في علوم القرآن	د/ صبحي الصالح	السادسة عشر ١٩٨٥م	دار العلم للملايين بيروت ٠ لبنان
٤٧	مباحث في علوم القرآن	مناع القطان	١٣٩٦ هـ الرابعة	مؤسسة الرسالة/بيروت لبنان ٠

م	اسم الكتاب	المؤلف	الطبعة وتاريخها	الناشر
٤٨	محمد في الكتاب المقدس	البروفسور/عبد الأحد داود/ ترجمة فهمي شمّا	الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م	رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية/بدولة قطر .
٤٩	المجددون في الاسلام	عبد المتعال الصعيدى	١٩١٢م	القاهرة
٥٠	مجلة المنار	محمد رشيد رضا	الطبعة الأولى والثانية	مطبعة المنار/ مصر
٥١	مجموعة فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية	جمع الحنبلي/ عبد الرحمن بن محمد ابن قاسم العاصمى النجدى وساعده ابنه محمد	١٣٩٨ هـ	مطابع الدار العربية للطباعة والنشر والتوزيع . بيروت . لبنان .
٥٢	المستشرقون	نجيب العقيقى	١٩٦٤م	دار المعارف / مصر
٥٣	المستشرقون والاسلام	د/عرفان عبد المجيد	الثالثة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م	المكتب الاسلامى بيروت
٥٤	المستشرقون والتراث	د/ عبد العظيم الديب	الأولى ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦م	مكتبة ابن تيمية المحرق البحرين
٥٥	المعجم المفهرس لالفاظ القرآن	محمد فؤاد عبد الباقى	١٣٦٤ هـ	دار الكتب المصرية
٥٦	المعجم الوسيط	د/ ابراهيم أنيس ورفاقه	الثانية	دار الباز للنشر والتوزيع . مكة المكرمة السعودية
٥٧	معجم المؤلفين	كحالة/عمر ضا	١٣٧٨هـ/١٩٥٩م	دمشق
٥٨	مفتريات على الاسلام	أحمد محمد جمال	الثانية ١٩٧٥م	دار الشعب / القاهرة
٥٩	مفتاح كنوز السنة	محمد فؤاد عبد الباقى	١٣٩٧ هـ	ادارة ترجمان السنة لاهور/ الباكستان

قائمة الفهارس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	١
الفصل الأول : التعريف بالمؤلف :	١٠
المبحث الأول : بعض المعلومات العامة عن المؤلف	١١
المطلب الأول : عصر المؤلف	١٢
حالة وضع العالم الاسلامى في عصره .	١٣
المطلب الثانى : ترجمة عن حياته ونشأته .	١٦
المطلب الثالث : أ- المرحلة الثانية من تكوينه العلمى	٢٠
ب - رحلاته داخل العالم الاسلامى وخارجه	٢٢
المطلب الرابع : آثاره العلمية .	٢٦
المبحث الثانى : معلومات عن الكتاب :	٣٠
المطلب الأول : الهدف من تأليف الكتاب .	٣١
المطلب الثانى : قيمة الكتاب العلمية .	٣٣
المطلب الثالث : ذكر بعض المصادر التى اعتمد عليها	٣٧
المؤلف في تأليفه كتابه .	
المبحث الثالث : مكانة الكتاب في الأوساط العلمية .	٤٢
المطلب الأول : تقاريظ الكتاب .	٤٣
بعض الشخصيات التى قرظت الكتاب .	٤٤
الملاحظات التى أشار اليها بعض العلماء .	٤٧
المطلب الثانى : عدد طبعات كتاب الوحى المحمدى	٤٩
والاضافات في تلك الطبعات .	
المطلب الثالث : ترجمة كتاب الوحى المحمدى الى اللغات	٥٣
الأجنبية .	

الموضـــــوع	الصفحة
الفصل الثانى : إثبات النبوة بشواهد القرآن ، والرد على منكريها	٥٥
المبحث الأول : الوحى وأنواعه .	٥٦
المطلب الأول : معنى الوحى عند المسلمين وتعريفاته	٥٧
تعريف الوحى عند النصارى	٥٩
أنواع الوحى	٦٣
الفوارق بين الوحى والالهام	٦٤
المطلب الثانى : القرآن يتفق مع الانجيل والتوراة فـــي	٦٦
الأصول والمضمون في إثبات نبوة محمـــد	٦٧
صلى الله عليه وسلم .	
الإيمان بالله	٦٧
ذكر المعاد والجنة والنار واليوم الآخر	٦٩
المطلب الثالث : إتفاق الشرائع على إثبات النبوات :	٧١
أولا : يجب الإيمان بالأنبياء والرسل اجمالا .	٧١
ثانيا : النبوة والرسالة لايمكن اكتسابها .	٧٢
ثالثا : هدف النبوة والرسالة .	٧٢
رابعا : الأنبياء والرسل بعضهم يصدق بعضا .	٧٣
خامسا : ذكر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فـــي	٧٤
التوراة والانجيل .	
سادسا : مايقول المفكرون والمنصفون من علماء الغرب	٧٦
عن محمد صلى الله عليه وسلم .	
المبحث الثانى : إعجاز القرآن :	٧٨
المطلب الأول : إعجاز القرآن في اسلوبه وبلاغته	٧٩
معنى الاعجاز في اللغة وفي الاصطلاح	٧٩
إعجاز القرآن في الأسلوب	٨٠

الموضـــــــــوع	الصفحة
بلاغة القرآن	٨٢
أنواع الأخبار التى تحدى بها البشر	٨٢
المطلب الثانى : إعجاز القرآن العلمي	٨٦
المطلب الثالث : الإعجاز الكوني .	٩٣
التفسير العلمى عن ظاهرة الشمس باختصار .	٩٤
المبحث الثالث : شبهة المنكرين للوحي ومزاعمهم والرد عليها	١٠١
المطلب الأول : شبهة منكرى الأخبار بالغيب .	١٠٢
رد الشيخ محمد رشيد رضا على الشبهة التى أثيرت حول الفتاة الفرنسية (جان دارك).	١٠٣
المطلب الثانى : تصويرهم لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم	١٠٦
أقوال المستشرقين والمنصرين المتحاملين علـــــــى الاسلام ونبيه .	١٠٩
أقوال المنصفين من المستشرقين .	١١١
المطلب الثالث : مقدمات درمنغام .	١١٣
الشبهات التى ذكرها الشيخ رشيد رضا لدرمنغام	١١٥
الشبهات التى وجدتها في نصوص كتاب حياة محمد لدرمنغام زيادة على ماذكره الشيخ.	١١٥
تفنيد تلك المزاعم .	١١٧
الفصل الثالث : الدعوة في الكتاب ، ورأى المؤلف في بعض المسائل .	١١٩
المبحث الأول : محاسن الاسلام ، ومزاعم المستشرقين والمنصرين.	١٢٠
المطلب الأول : الدعوة الى الاسلام وتبيين محاسنه .	١٢١
تعريف الدعوة في اللغة والاصطلاح .	١٢١

الموضـــــــــوع	الصفحة
محاسن الاســـــلام ومزايـــاه .	١٢٦
المطلب الثاني : ذكر بعض مزاعم المستشرقين والمنصّرين - والرد عليها.	١٢٨
الفرية الأولى والدليل على بطلان تلك المزاعم من القرآن والسنة .	١٢٩
الرد العقلي والمنطقي .	١٣١
الفرية الثانية .طعنهم في السنة النبوية ومحاولة تشويهها .	١٣٣
الرد على تلك المزاعم والأكاذيب .	١٣٥
المبحث الثاني : حرية الفكر ومحاربة الجمود الفكري .	١٣٩
المطلب الأول : الدعوة الى حرية الفكر في إطار النص الشرعي	١٤٠
اعتراف الاعداء بحرية الفكر التى جاء بها الاسلام.	١٤١
المطلب الثاني : ذم التقليد ومحاربة الجمود الفكري .	١٤٥
المبحث الثالث : الولاية والكرامة .	١٥١
المطلب الأول : تعريف الولاية والكرامة ومذاهب الناس في ذلك.	١٥٢
تعريف الولاية في اللغةوالاصطلاح .	١٥٢
تعريف الكرامة .	١٥٢
مذاهب الناس في الولاية والكرامة .	١٥٣
المطلب الثاني : رأي المؤلف في الولاية والكرامة ، وموقفـــــه من مدعيها وتبيين الحق في ذلك .	١٥٧
رأى المؤلف في الولاية والكرامة .	١٥٧
رأى الباحث في الولاية والكرامة وثمرة القول في ذلك .	١٦١

الموضـــــــــــــوع	الصفحة
الفصل الرابع : إيجابيات وسلبيات كتاب الوحي المحمدي .	١٦٤
المبحث الأول : الإيجابيات المنهجية والموضوعية .	١٦٥
المطلب الأول : الإيجابيات المنهجية .	١٦٦
المطلب الثاني: الإيجابيات الموضوعية .	١٦٨
المبحث الثاني : السلبيات المنهجية والموضوعية .	١٧١
المطلب الأول : السلبيات المنهجية .	١٧٢
المطلب الثاني : السلبيات الموضوعية .	١٧٤
خاتمـــــة البحـــــث	١٨٣
قائمـــــة المصـــــادر	١٨٧
قائمـــــة الفهـــارس	١٩٣